

رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم
قسم البحوث والمناهج

هكذا فلنحفظ القرآن

(ومعه برنامج عملي لحفظ القرآن)

تأليف

الدكتور محمد مصطفى أحمد شعيب

رئيس قسم البحوث والمناهج

بالهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

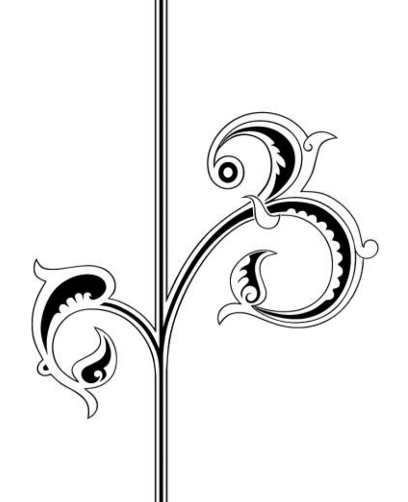
شعيب ، محمد مصطفى
هكذا فلنحفظ القرآن. / محمد مصطفى شعيب .- الرياض ،
١٤٣٤هـ
٤٨٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦٣-٦٩٦-٩٩٦٠-٩٧٨

١- القرآن - تحفيظ ٢- فضائل القرآن ٣- القرآن - القراءات و
التجويد أ. العنوان
ديوي ٢٢٨,٩ ١٤٣٤/٢٥٤١

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٥٤١
ردمك: ٨-٦٣-٦٩٦-٩٩٦٠-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم



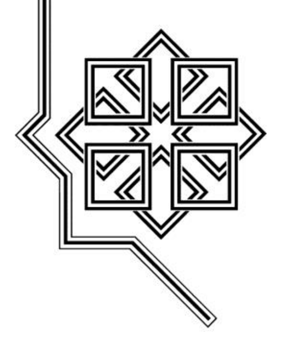
الطبعة الرابعة

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم

جـــدة – حـــي النســـيم

طريق الملك عبد الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فمما لا شك فيه، أنَّ مصدر عز هذه الأمة ورفعتها وتقدمها على الأمم وريادتها لها، هو كتاب الله عز وجل، وهو - كما وصفه ربنا جل وعلا – كتابٌ عزيزٌ ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢] .

وحتى تتحقق لنا الرفعة والعزة والتمكين، لا بد لنا أن نعود إلى هذا الكتاب العزيز، تلاوةً وفهماً وحفظاً وتدبُّراً وعملاً ودعوةً ، لا بد أن نجعله واقعاً ملموساً ، نعيش أحكامه وتشريعاته بجوارحنا وأفعالنا ، كما كان الحال مع نبينا ﷺ ، والذي «**كان خلقه القرآن**»[١]، كما وصفته بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكما رآه المسلمون وغيرهم من أمم الأرض، فقد كان النبي ﷺ قرآناً يمشي على الأرض، يتخلق بأخلاقه، ويعمل

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٠١) (١٤٨/٤١) ، وقال محققو «المسند» ط. الرسالة: «حديث صحيح».

بأحكامه وشرائعه، ويطبقها في واقع المسلمين، ويدعو إليها أهل الأرض جميعاً.

ولن ترتقي هذه الأمة وتتقدم، ويعلو شأنها، وتأخذ مكانتها السامية المرموقة بين الأمم، إلا بأن تقتدي بالنبي ﷺ في ذلك، وأن تنتهج نهجه في التعامل مع القرآن؛ تلاوةً وتدبراً وعملاً، ومن ثَمَّ ؛ كان عنوان هذا المؤتمر العالمي الثاني لتعليم القرآن الكريم: (المنهج النبوي في تعليم القرآن الكريم).

وهذا الكتاب الذي أقدم له في هذه السطور(هكذا فلنحفظ القرآن) للأخ الدكتور: محمد مصطفى شعيب، يتناول في ثناياه، معالم المنهج النبوي المبارك، في التعامل مع القرآن الكريم، في حفظه، وتلاوته، وتدبره، والعمل به، والدعوة إلى تعاليمه، والتحذير من هجرانه، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه الكتاب من فوائد، مما يجعل من طباعته وتبنيه في هذا المؤتمر أمراً له أهميته البالغة، ويحقق بإذن الله تعالى المزيد من النفع والفائدة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل، لمملكة البحرين، حكومةً وشعباً، وللمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ووزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بالمملكة البحرينية، نشكرهم جميعاً على

رعايتهم لذلك المؤتمر[1]، وعلى ما قدموه من جهد ووقت في سبيل إقامته وإنجاحه ، وأسأل الله أن يجعل ما بذلوه في موازين حسناتهم .

كما أسأله سبحانه، أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئيه، وأن يكتب لهم الأجر والمثوبة، وأن يجعلنا جميعاً ممن يتأسون بالنبي الكريم ﷺ في تخلقه بالقرآن وعمله به، وفي جميع شئون حياتنا، آمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبدالله بن علي بصفر

---

(١) كان هذا التقديم بمناسبة طباعة الكتاب طبعة خاصة بالمؤتمر العالمي الثاني لتعليم القرآن الكريم، والذي أقامته الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، بالتعاون مع مملكة البحرين، وكان عنوان المؤتمر: (المنهج النبوي في تعليم القرآن الكريم) في الفترة ١٧- ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ الموافق ٢٧-٣٠ أبريل ٢٠١٣م ، وأقيم في مملكة البحرين ، ووزِّع الكتاب على المشاركين والحضور في المؤتمر .

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه، وبعد:

فإني أحمد الله تعالى على كريم إفضاله، وجزيل إنعامه، فنحن نتقلب في نعم الله سبحانه الظاهرة والباطنة ليل نهار؛ قال جل وعلا بعد أن عدَّد الكثير من مظاهر نعمه وإحسانه على عباده: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

وإن من نعم الله تعالى عليَّ أن أكرمني بإعداد هذا الكتاب، وأن وضع له القبول بين الناس حتى نفدت منه عدة طبعات حتى وقت تسطير هذه المقدمة، وها أنا أقدم للطبعة الثالثة للكتاب بذلك العنوان: (هكذا فلنحفظ القرآن) [١]، فلله الحمد والشكر على ذلك.

---

(١) وهناك ثلاث طبعات أخرى للكتاب بعنوان قديم، هو: (الكلمات الحسان في ما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن)، وسيأتي هنا في [ص ١٣] بيان سبب تغيير هذا العنوان إلى (هكذا =

وتتميز هذه الطبعة بمزيد من جودة الطباعة والإخراج، إضافةً إلى إعادة بعض المباحث المتعلقة بالدعاء كما كانت في الطبعات الأخرى للكتاب [١].

وأسأل الله سبحانه المزيد من فضله وكرمه، وأن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه أو نظر فيه، وأن يرزقني الإخلاص وحسن القول والعمل، في السر والعلن، وأن يكتب لي الأجر والمثوبة على ذلك، وأن يتجاوز عني فيما قصرت فيه، وأن يغفر لي كل خطأ وزلل، آمين، آمين، آمين، آمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

د. محمد مصطفى أحمد شعيب

٢٥ من صفر ١٤٣٤هـ

الموافق ٧ من يناير ٢٠١٣م

فلنحفظ القرآن) .

(١) ومن هذه المباحث: آداب الدعاء ومستحباته وأوقات الإجابة وأسبابها وموانعها، ومن يُستجاب دعاؤه، وما ينبغي أن يحذره الداعي... الخ، وكنت قد لخصتُ ذلك في الطبعة الأولى للكتاب ، وتم حذفه من الطبعة الثانية بناء على مشورة بعض الفضلاء، ثم بدا لي أن أعيده إتماماً للفائدة، وإكمالاً للموضوع، فأعدته في هذه الطبعة .

مقدمة الطبعة الثانية [١]

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ (١) قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف: ١ – ٥].

والصلاة والسلام على مَنْ بعثَه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه سبحانه بإذنه وسراجاً منيراً، سيد البشر قاطبةً وإمامهم ومعلمهم الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ حفظ القرآن وفهمه، وتلاوته والعمل به، والدعوة إليه والصبر على ذلك كله؛ هو سبيل عِز الأمة ورفعتها، وطريق تمكينها في الأرض ونصرها وسعادتها .

وهاهم المسلمون الأوائل في سنواتٍ قليلة، وثبوا وثبةً ملأوا بها الأرض قوةً وبأساً، وحكمةً وعلماً، ونوراً وهدايةً؛ وتحقق فيهم الأنموذج

---

(١) وهي الطبعة الخاصة بالهيئة العالمية لتحفيظ القرآن بجدة .

الفريد، والمثال الأعلى للبشرية في كونهم ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠] بعد أن كانوا فرائق بدداً، لا نظام، ولا قوام، ولا علم، ولا شريعة.

وما حصل لهم ذلك إلا بإقبالهم على القرآن، وتطبيقهم لتعاليمه، وتعلمهم له، وتعليمهم إياه، وإحسانهم التعامل معه تلاوةً وحفظاً، وتفسيراً وعملاً، ودعوةً وجهاداً، فاستحقوا أن ينجز الله لهم وعده، ويحصل لهم الرفعة والتمكين.

ثُمَّ خلَف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وأعرضوا كلَّ الإعراض عن القرآن، وهجروه وغفلوا عنه، ونكصوا عن هديه، وتنكَّروا لتعاليمه ومبادئه، وحِكَمِه وأحكامه، ونظمه وتشريعاته، وأعرضوا عنه إلى غيره، وانشغلوا عنه بسواه.

فقام المخلصون من أبناء هذه الأمة ورجالاتها ؛ علماء وأدباء، وخطباء وشعراء ، ودعاة ومصلحين.. كلهم يحْدونهم للرجوع إلى كتاب الله، والإقبال عليه، والنهل من معينه، والاهتداء بهديه، والظفر بدرره وكنوزه .

وقد رأيت أن أشاركهم الأجر، فكان هذا المؤلَّف؛ مع اعترافي بعجزي وتقصيري، وضعف همتي، وقلة بضاعتي، ودنوِّ رتبتي في العلم والعمل .

وإنَّما جرأني على ذلك قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من**

ثلاثة: صدقةٍ جارية، أوعلم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[1] فأردتُ أن أُبقي لي شيئاً ينفعني الله به بعد مماتي، وقد قيل: «كتاب العالِمِ ولدُه المخلَّد».

وأقول كما قال الإمام النوويُّ – رحمه الله تعالى –:

أموتُ ويَبقى كُلُّ ما قد كَتَبْتُهُ فيا ليتَ مَنْ يقرأْ كِتابِي دَعَا لِيا
لعلَّ إلهى أَن يَمُنَّ بلُطفِهِ ويَرحَمَ تقصيري وسوءَ فِعالِيا[2]

والله أسأله الإخلاص في القول والعمل، والسر والعلن، وأنْ يتقبَّل مني سائر العمل، ويغفر لي النقص والخلل، وأن ينفع بهذا العمل، ويردَّ مَنْ شاء من عباده إليه سبحانه بسببه، ويكتب لي بفضله ورحمته مثل ثوابه وأجره، فإنه سبحانه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقد جاءت الطبعة الثانية للكتاب مغايرةً للأولى، فقدَّمتُ في الكتاب وأخَّرتُ، وزدتُ[3] فيه ونقصتُ، وغيَّرتُ فيه وبدَّلتُ.. وهذا شأن البشر، فالنقصُ صفةٌ ملازمةٌ لهم، والكمالُ عزيزٌ، والمرءُ لا يزال يتعلَّم ويزداد علماً وبصيرةً حتى يوافيَه أجلُه..

---

(١) رواه مسلم [١٦٣١] وغيره، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) «الإمام النووي» د. عبد الغني الدُّقر [ص ١٩١].

(٣) في هذه الطبعة زيادات كثيرة جداً، وربما تقدَّر بضعف حجم الكتاب - في طبعته الأولى – تقريباً.

ولله درُّ القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني [ت ٥٩٦هـ] - رحمَه الله - حيث كتب إلى نائبه في وزارة الكتابة الأديب الشهير العماد الأصفهاني [ت ٥٩٧هـ] - رحمَه الله -، كتب إليه يقول: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومٍ إلاَّ قال في غدِه: لو غيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقصِ على جملة البشر»[1].

هذا، وقد كان عنوان الكتاب في السابق: «الكلمات الحسان في ما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن»[2]؛ وهو بهذا شامل لكل أبواب الكتاب ومباحثه، غير أن بعض إخواني الفضلاء من طلبة العلم ؛ اقترحوا عليَّ اسماً

---

(١) كان الأستاذ أحمد فريد الرفاعي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ هو الذي شهر هذه الكلمة، حيث وضعها أول كل جزء من أجزاء «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، وغيره مِنَ الكتب - وتداولها عنه الناس - منسوبةً إلى العماد الأصفهاني، وصواب نسبتها أنها للقاضي الفاضل بعث بها إلى العماد، كما في أول «شرح الإحياء» للإمام المرتضى الزبيدي - رحمَه الله - [١/ ٣].

«تحقيق مسند عمر بن عبد العزيز» لمحمد عوَّامة. ط. مؤسسة علوم القرآن. بيروت. الطبعة الثانية. في المقدمة. ص أ. حاشية (١)، وهو هنا مستفاد منه.

(٢) الطبعات التي طبعت بمصر إلى وقت تسطير هذه المقدمة، طبعت بنفس ذلك العنوان «الكلمات الحسان في ما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن»، وبنفس محتوى الطبعة الأولى، دون أي تغيير - بحذف أو إضافة - .

آخر أكثر تداولاً، وإن كان أقل شمولاً؛ فرأيت الاستجابة لهم في ذلك، ليكثر المنتفعون به - إن شاء الله - فكان هذا العنوان الجديد، وهو: «هكذا فلنحفظ القرآن»[1] .

فالله أسأله - سبحانه - أن أكون وفّقتُ في هذه الطبعة إلى الأحسن والأجمل، والأكمل والأتم، كما آمل من إخواني طلبة العلم وحملته، أن يُسدِّدوا ويصوِّبوا ما قد يجدوه في هذا الكتاب من خطأ، ويقوِّموا ما فيه مِن اعوجاج، ورحم الله مَنْ أهدى إليَّ عيوبي، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أبو الحارث

محمد بن مصطفى بن أحمد بن شعيب

مساء الأحد، جدة: ١٢ من رمضان ١٤٢٣هـ

---

(١) في هذه الطبعة زيادات كثيرة جداً، فقد كان الكتاب في طبعته الأولى (٢٥٠ صفحة) ، وفي هذه الطبعة (٥٢٥ صفحة)، حتى غدا الكتاب بصورته الحالية كتاباً جديداً مختلفاً عن سابقه، وقد رأيت أن يُطبَع الكتابان كما هما، فكلٌّ منهما فيه مزيةٌ لا توجد في الأخرى، فالأول (الكلمات الحسان) أكثر اختصاراً ، وأسرع في إيصال المراد، والثاني (هكذا فلنحفظ القرآن) أكثر شمولاً واستيعاباً ، وأحسن ترتيباً وتنسيقاً، والله أسأل أن ينفع بكلا الكتابين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كلامُ الله، وخير الهدي هدي محمد

ﷺ، وشرَّ الأمور محدَثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فهذه سطور سطّرتُها، ومسائل حررتها، وكلمات جمعتها، نصيحة لنفسي أولاً، ثُمَّ لكل مسلم أراد لنفسه النجاة، فإنه لا نجاة إلا بالعودة إلى كتاب الله تدبراً وفهماً، وعلماً وعملاً.

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

وما كان ينبغي للأغمار الأقزام، والذين لَمْ تتقلَّم أظفارهم في العلم بَعدُ أن يتطفَّلوا على موائد العلماء، أو أن يكتبوا أو يصنِّفوا.

ولكنها كلمات أردتُّ بجمعها مجرد النصح للمسلمين عامةً،ولطلبة العلم الشرعي خاصةً، والدافع لي على ذلك أمور منها:

١- إعراض كثير مِن المسلمين عن كلام رب العالمين، وهجرهم له بترك قراءته، وعدم تدبرهم له، وإعراضهم عن العمل به، وقد قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال الإمام ابن القيم – رحمَه الله –: «هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته اللفظية لا تحصِّل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»[(١)].

ومن أنواع الهجر كذلك، ما نراه في أيامنا هذه من الاحتفاظ بالمصاحف داخل السيارات، وعلى أرفف المكتبات، إما للزينة أو للبركة – زعموا – مع عدم قراءتهم فيها، فضلاً عن العمل بها، ومثله مَنْ يزين

(١) « الفوائد » لابن القيم [ص ١١٢]. ط. الريان.

بآيات القرآن جدران منزله أو مسجده مع تركه للعمل به[1].

٢- ومنها: ذلك التخبط الذي يعيشه شباب الصحوة، وذلك الغبش الذي أصاب الكثيرين من طلبة العلم، حتى قدَّموا كلام البشر على كلام رب البشر، وأقبلوا على حفظ المتون في شتى الفنون، وما حفظوا كلام الله الذي هو أساس جميع العلوم، وما هكذا فعل السلف الصالح، ولم يكن هذا هديهم، ولا هذه طريقتهم في طلب العلم.

٣- ومنها: عدم التخلق بأخلاق القرآن من كثير ممن حفظوه، فترى منهم العُجب والرياء، والمفاخرة والاستعلاء، وإرادة حطام الدنيا الفاني، ومتاعها الدنيء، بحفظهم وتلاوتهم له، وما هكذا كان المخلصون.

٤- ومنها: تشوُّفُ كثير مِن شباب الصحوة وطلائعها، لحفظ القرآن، وتطلُّعُهم إلى ذلك، مع عدم سلوكهم الطريق الأمثل في حفظه واستذكاره، فترى الواحد منهم متردِّداً في حفظه، مشتَّتاً في فهمه واستيعابه، متحيِّراً في طريقة حفظه ومراجعته، فتارة يقبل على الحفظ

---

(١) قال ابن قدامة المقدسي في «مختصر منهاج القاصدين»: «مَنْ كان عنده مصحف ينبغي أن يقرأ فيه كل يوم آيات - ولو - يسيرة لئلا يكون مهجوراً». [ص ٦٨]ط. دار الفيحاء.

بجد ونشاط، وتارة يُصاب بالفتور والإحباط، وتارة يعتريه ملل وضجر وقد يتأخر القهقرى بسببه، وربما ترك الحفظ جملةً بعدما بدأ فيه.

لهذه الأمور وغيرها: استعنت الله على جمع هذه الكلمات، وتنسيق هذه الجمل والعبارات، وأحوج الناس إليها كاتبها، ولكن كما قيل: «لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر»[1].

وقسمت هذا البحث إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة

فبينت: في **المقدمة** أهمية الموضوع والدافع لي على اختياره والكتابة فيه.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره عن مالك عن ربيعة بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير به، قال مالك: وصدق، مَنْ ذا الذي ليس فيه شيء!

ولما قال الحسن البصري لمطرف بن عبد الله: عِظْ أصحابك؛ فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل؛ قال: يرحمك الله! وأيُّنا يفعل ما يقول! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر.

وانظر: «تفسير القرطبي» [١/ ٣٦٧]، الطبعة الثالثة، دار الكاتب العربي.

وقد أحسن مَنْ قال:

فلو لم يعظ في الناس مَنْ هو مذنبُ   فمن يعظ العاصين بعد محُمدِ

وفي **الفصل الأول**: تحدَّثت عن فضل القرآن، والحث على تلاوته، وتدبره، مع الترغيب في بعض سور وآيات مخصوصة.

وفي **الفصل الثاني**: بيَّنت ماهية الحفظ مع ذكر بعض فوائده وفضائله، وما الذي يُبدأُ به في الحفظ.

وفي **الفصل الثالث**: بيَّنت بعض الأمور التي تعين طالب العلم على الحفظ، وذكرت ثلاثاً وعشرين قاعدة تساعد على الحفظ والاستيعاب.

وفي أثناء هذه القواعد ذكرت فوائد ولطائف يحسن بطالب العلم مطالعتها والإفادة منها.

وفي **الفصل الرابع والخامس**: بيَّنت ما ينبغي أن يكون عليه حامل القرآن مِن الأخلاق الفاضلة، والآداب الرفيعة، وكذا آداب تلاوة القرآن وما ينبغي على القاريء مراعاته في أثنائها.

وفي **الفصل السادس**: ذكرت بعض ما ورد في التحذير من نسيان القرآن، وبيَّنت خطورة إهماله، وعدم تعهده بالتلاوة والمراجعة.

وفي **خاتمة هذا البحث**: وضعت برنامجاً عملياً لحفظ القرآن، يشتمل على تطبيق لبعض القواعد المذكورة في أثناء هذا البحث.

والله أسأل، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع

به كاتبه وقارئه وناشره، وأن يضع له القبول في الأرض، وأن يدخر ثوابه وأجره لي عنده في السماء. آمين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وكتبه

أبو الحارث محمد بن مصطفى بن أحمد بن شعيب

نزيل المدينة النبوية المنورة

ليلة الاثنين ١٨ من رمضان ١٤١٤هـ

الموافق ٢٨ من شباط (فبراير) ١٩٩٤م



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل تدبر القرآن وتلاوته.

المبحث الثاني: الترغيب في سور وآيات مخصوصة.

المبحث الأول: فضل تدبر القرآن وتلاوته

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: فيه شرفكم[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وأَيُّ تجارة أعظم من تلك التجارة، وأي ربح أعظم من ذلك الربح.. قال قتادة: كان مطرف بن عبد الله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء[2].

وقد مدح الله طائفة من أهل الكتاب بأنهم: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[آل عمران: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٣/ ١٧٠] ط. مكتبة العلوم والحكم.

(٢) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٥٣٢].

ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨].

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: «المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله»، وقال: «أميناً عليه؛ يحكم على ما كان قبله من الكتب»[1].

قال سبحانه: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[يونس: ٥٨].

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: «فضل الله القرآن، ورحمته حين جعلهم من أهل القرآن»[2].

وقال جل وعلا: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال جل شأنه: ﴿ **قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ** ﴾[المائدة: ١٥].

والقرآن كلام الله تعالى، معجز في لفظه ونظمه، مُتعبَّدٌ بتلاوته وترداده، تتلوه الألسنة، وتستمع إليه الآذان، وتتدبره العقول، وتزكو به

---

(١) «تفسير الطبري» [٨/ ٤٨٨] ط. دار هجر.

(٢) «تفسير الطبري» [١٢/ ١٩٧].

النفوس، وتطمئن به القلوب، وتهفو إليه الأرواح، وهو أوسع الكتب تلاوة وحفظاً على وجه الأرض.

وعن أبي أمامة ﷺ ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتُه الطعام والشهوة فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفِّعني فيه، قال: فيشفعان**»(٢).

ومن كان شفيعه القرآن، فهو إن شاء الله من أهل الجنان، الناجين برحمة الله وفضله مِن النيران، والمنعمين في الجنة بالقرب من ربهم والرضوان.

---

(١) رواه مسلم [٨٠٤] كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن، وأحمد [٥/ ٢٤٩].

(٢) رواه أحمد في المسند [١٠/١١٨] رقم [٦٦٢٦]، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، وقال الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٣/ ١٨١]: «رجاله رجال الصحيح».

والحديث رواه الحاكم أيضاً [٢٠٨٠] في كتاب فضائل القرآن، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: «ولا شك أن الجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر، والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل. وهو من جملة مَنْ عنى الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣]، والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع...»[(٢)].

وعن عائشةَ- رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران**»، وفي روايةٍ: «**مَثَلُ الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة...**» **الحديثَ**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري [٥٠٢٧]، وأبو داود [١٤٥٢]، والترمذي [٢٩٠٩]، وغيرهم.

(٢) «فتح الباري» [٨/ ٦٩٤]، ولأجل ذلك فرَّغ الكثيرون مِنَ السلف أنفسهم لتعليم القرآن بعد أن تعلَّموه. وانظر هنا: «قاعدة [١٩]: تعليم الناس المحفوظ، وقاعدة [٢١]: مراجعة سير القوم».

(٣) رواه البخاري [٤٩٣٧]، ومسلم [٧٩٨]، ورواه التِّرمذي [٢٩٠٦]، وأبو داود
=

والحديثُ دليلٌ على فضل حافظ القرآن، الماهر بتلاوته، وأنه مع الملائكة الأبرار حملة القرآن، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس ١١-١٦].

وهل يريد قاريء القرآن شيئاً أكثر من هذا، إن كان ممن تعلموا القرآن وعلموه غيرَهم، فهو من خيار الناس، بل: هو خيرهم، وإن كان مِن المتقِنين لتلاوته، المجيدين لقراءته، فهو في نعيم الجنات، مع الملائكةِ السفرة الكرام البررة.

وإن كان مِن المبتدئين في تلاوته، والمتعلمين لقراءته، ويتردد في حروفه وكلماته، ويشق عليه بثقل لسانه في نطق آياته، فله أجران، أجر على قراءته، وأجر لصبره على مشقة القراءة والتعتعة حتى يتعلم، فهو في جميع أحواله من الفائزين المفلحين.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجَّة** [١]؛ **ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل**

[١٤٥٤].

(١) الأترجَّة: فاكهة ذات رائحة طيبة وطعم لذيذ، وهذا إشارةٌ لسلامة الباطن والظاهر عند المؤمن الذي يُقبل على كلام الله تعالى، وأما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، فمثله كالتمرة طعمها =

المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق – وفي روايةٍ: **الفاجر – الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مر**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، بل ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**»(٢).

طيب ولا ريح لها، وهذا مثال لحلاوة الباطن وطيبه عند المؤمن، لكنه افتقد هنا طيب الظاهر لبعده عن القرآن، والمنافق؛ خبيث القلب، سيّيء الباطن، لكنه لَمَّا أقبل على القرآن – خداعاً ورياءً – أصبح كالريحانة، رائحتها طيبة، فإن اغترَّ بها أحدٌ فأراد أن يأكل منها وجد المرَّ والعلقم؛ وكذا المنافق يخدع الناس بظاهره، وفي باطنه السُّمُّ الزُّعاف، والداء القاتل؛ ولا يعرفه حقيقةً إلا مَنْ عاشره واقترب منه؛ فاكتوى بناره وذاق مرارته..؛ فإن لَمْ يُقبل المنافق على القرآن فهو حينئذٍ خبيث المظهر والمخبر، فاسد الظاهر والباطن؛ ولهذا مثلُه كالحنظلة لا ريح لها وطعمها مرٌّ خبيث.. فما أروع بلاغة النَّبيِّ ﷺ.

(١) رواه البخاري [٥٠٢٠]، ومسلم [٧٩٧] صلاة المسافرين، والتِّرمذي [٢٨٦٩] في الأمثال، وأبو داود [٤٨٣٠] في الأدب. وغيرهم.

(٢) رواه التِّرمذي رقم [٢٩١٢] في ثواب القرآن وقال: «حديث حسن صحيح»، والدارمي [٣٣١١] في فضائل القرآن، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٣٤٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤها**»(١).

فيالَسعادة المكثرين من التلاوة لكتاب الله رب العالمين، والحفظ لآياته وسوره، فدرجاتهم في الجنان عالية، وحسناتهم عند ربهم كثيرة ومتنامية.

ويا لخسارة المقلِّين، وقد تخلَّفوا عن ركب السَّابقين المقرَّبين، وتحسَّروا على تفريطهم في تلاوة القرآن، وحفظ كلام ربهم الرحمن، وندموا حيث لا ينفعهم ندم.

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من**

---

(١) رواه أبو داود [١٤٦٤] في الصلاة، والتِّرمذي [٢٩١٥] ثواب القرآن، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد [٢/ ١٩٢]، وصححه الشيخ أحمد شاكر، وفي ط. الرسالة برقم [٦٧٩٩] وقال محققو المسند: «صحيحٌ لغيره»، والحديث في «صحيح الجامع الصغير» [٨١٢٢]، و«صحيح أبي داود» [١٣١٧].

وتأمل قولَه: «لصاحب القرآن»، والصاحب هو الذي يُلازَم ويُؤلَف ويُحبّ، فكأن حافظ القرآن له مِنَ الألفة مع القرآن والمحبة له، ما ليس لغيره، ولذا ذلَّ له لسانه، وسهل عليه قراءته، بخلاف مَنْ هجره وتركه فضيَّعه ونسيه. والله المستَعان، وقد تكررت لفظة «صاحب القرآن» في عدد مِنَ الأحاديث، وسيأتي شيء منها - إن شاء الله تعالى -. وانظر: «فتح الباري»[٨/ ٦٩٧].

بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده»[(١)].

وعن عقبة بن عامر ﵁ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفَّة، فقال: «**أيُّكم يغدو إلى بُطْحَان العَقِيق، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم أو قطيعة رحم؟**»، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلَّم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهنَّ من الإبل**»[(٢)].

وقوله: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلَّم** »، في هذا الحديث والذي قبله إشارة إلى أن جوَّ المسجد أنسب للتعلم والحفظ من غيره، مع ما في المكث فيه من الأجر والثواب، إضافة إلى نزول السكينة عليهم فتطمئن نفوسهم وتزكو أرواحهم، فلا يصيبهم ما يصيب غيرهم من الهموم

---

(١) رواه مسلم [٢٧٠١]، وأبو داود [١٤٥٥]، وأحمد [٢/ ٢٥٢، ٤٠٧، ٤٤٧].

(٢) رواه مسلم [٨٠٣]، وأبو داود [١٤٥٦]. وقوله: «يغدو» أي: يذهب في الغدوة وهي أول النهار. وقوله «بطحان»: اسم موضع بقرب المدينة، و«العقيق»: واد بالمدينة، و«كوماوين»: الكوماء مِنَ الإبل: عظيمة السنام طويلته. وانظر: «لسان العرب» [١٢/ ٥٢٩]، و«صحيح مسلم» ط. دار الكتب العلمية[١/ ٥٥٢] حاشية.

والغموم، والأنكاد والأحزان، والقلق والاضطراب، وغير ذلك من أمراض نفسية تجعل الحياة جحيماً لا يطاق.

فهذا لا يصاب به أهل القرآن؛ وإنما تنزل عليهم السكينة، وتحفهم الملائكةُ بأجنحتها تشريفاً وتعظيماً لما هم فيه، بل ويباهي الله عز وجل بهم ملائكته، ويذكرهم عنده في الملأ الأعلى.

فهل يريد أهلُ القرآن أكثر من هذا، وهل يُعرِض عاقل عن القرآن بعد سماع ذلك الفضل العظيم، ومعرفته بتلك المنازل الرفيعة السامية والتي أعدَّها الله لأهل القرآن، فالله المستعان.

ثُمَّ تأمَّل قوله «**فيتعلم منه آيتين**» ومفاده الترداد والحفظ والفهم والتدبر، والذي يكون من ثمرته فيما بعد: العمل، والله أعلم.

وفي روايةٍ عن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيحب أحدُكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاثَ خَلِفاتٍ عظامٍ سِمانٍ؟**» فقلنا: نعم، قال: «**فثلاث آيات يقرأُ بهنَّ أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان**»[1].

والخلفات: الحوامل من الإبل إلى أن يمضيَ عليها نصف أمدها.

---

(١) رواه مسلم [٨٠٢] في صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه.

وهذا الترغيب من الرسول ﷺ لأصحابه أسلوب تربوي فريد في توجيه اهتمامهم إلى الكنز الحقيقي الذي لا تعدله كنوز الدنيا، وهو تعلم القرآن الكريم، وتلاوته، وحفظه..

فتلاوة الآية الواحدة لا تحتاج إلى جهد كبير، ولا إلى وقت طويل؛ ومع ذلك فهي خير وأبقى من الناقة العظيمة التي يبذل الناس في شرائها أموالهم وأوقاتهم، ويتحملون من أجل الحصول عليها المشقة والتعب، ثُمَّ تجدهم في خوف من أن تُصاب بسوء أو أذى، فيخسرون ما جنوه.. وهذا هو حال اللاهثين وراء حطام الدنيا، الذين تشغلهم أموالهم عن العمل الصالح والمسارعة في الخيرات(١).

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتي فلان، فعملتُ مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل**»(٢).

---

(١) «ورتل القرآن ترتيلاً» [ص ٢٤، ٢٥]، ط (٥) نور المكتبات.

(٢) ورُوي عن ابن مسعود وابن عمر – رضي الله عنهما – مثله، وانظر: البخاري [٥٠٢٥]، [١٤٠٩]، ومسلم [٨١٥، ٨١٦]، والترمذي [١٩٣٧] باب: ما جاء في الحسد.

والحسد المعني في الحديث: هو الغبطة، وهي أن تتمنى مثل ما للمحسودِ من النعم التي وهبها الله له دون أن تتمنى زوالها، فأمّا تمني زوال النعمة عن المحسودِ فهذا قبيحٌ مذموم، شرعاً وعقلاً.

وعن بُرَيدة الأسلمي ﵁ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن القرآن يلقى صاحبَه يوم القيامة حين ينشقُّ عنه قبرُهُ، كالرجل الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلكَ، وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراءِ تجارته، وإني لك اليوم من وراء كل تجارة.**

فيُعطى المُلك بيمينه والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلَّتين لا يَقومُ لهما أهلُ الدنيا، فيقولان: بِمَ كُسينا هذا؟ فيُقال: بأخذ وَلَدِكُمَا القرآن، ثُمَّ يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما كان يقرأ، هَذَّاً كان أو ترتيلاً»[1].

---

(١) رواه أحمد [٥/ ٣٤٨]، وابن ماجه [٣٧٨١] باب ثواب القرآن، والدارمي [٢/ ٤٥٠] في فضائل القرآن، وفيه بشير بن المهاجر، وهو ضعيف.

وقال الألباني في «صحيح ابن ماجه» [٣٠٤٨]: «يحتمل التحسين».

وقال محققو المسند ط. الرسالة [٢٢٩٥٠]: «إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغَنَوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير =

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن لله أهلين من الناس**». قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»(١).

وعن ابن مسعود ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ سرَّه أن يحبَّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»(٢).

وعن جابر ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**القرآن شافع مشفَّعٌ، وماحلٌ مصدَّق، مَنْ جعلَه أمامه قاده إلى الجنة، ومَنْ جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**»(٣).

[١/ ٦٢]».

(١) رواه أحمد [٣/ ١٢٧]،وابن ماجه [٢١٥] في المقدمة، والحاكم [٢٠٩٠]، والدارمي [٥٢٥] كلاهما في فضائل القرآن، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» [١٧٨]، و«صحيح الجامع الصغير» [٢١٦٥].

(٢) رَوَاه أبو نُعَيمٍ في «الحلية» [٧/ ٢٠٩]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٢٢١٩]، وابن عديٍّ في «الكامل» [٣/ ٣٨٧]، وكنت قد ذكرت في الطبعة السابقة أنه حديث منكر؛ لأن المصاحف لم تتخذ إلا بعد النبي ﷺ – كما أنكره بذلك الذهبي، وقد ردَّ الحافظ ابن حجر ذلك بقوله: (هذا التعليل ضعيف، ففي الصحيحين: " أن النبي ﷺ نهى عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو"، وما المانع أن يكون الله أطلع نبيه على أن أصحابه سيتخذون المصاحف؟) ، وقد حسَّن الألباني الحديث، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٣٤٢].

وصح عن ابن مسعود ﷺ موقوفاً: «أديموا النظر في المصحف».

(٣) رواه ابن حبان [١٢٤]، والبزار [١٢٢]، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١/ ١٧١]:

=

ولأجل هذه النصوص وغيرها: اشتدت عناية السلف الصالح بكتاب الله عز وجل، تلاوةً وحفظاً وتدريساً وعملاً، وكانوا ينصحون بالإقبال على هذا القرآن، وعدم الانشغال عنه بغيره، ومن أقوالهم في هذا(١):

قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «مَنْ قرأ القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي، فقد عظَّم صغيراً، وصغَّر عظيماً»(٢).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام

«رجاله ثقات». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٤٤٤٣]، و «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٠١٩].

وقوله ﷺ: (ماحلٌ مُصدَّق) أي: خصمٌ مجادلٌ مُصدَّقٌ. وقيل: ساعٍ مُصدَّق؛ من قولهم مَحَلَ بفلان، إذا سَعى به إلى السلطان. يعني: أن من اتبعه وعمل بما فيه، فإنه شافعٌ له مقبول الشفاعة، ومصدَّق عليه فيما يُرفَعُ من مَسَاويه إذا تركَ العمل به.

انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» [٤/ ٣٠٣] ط. الحلبي. مادة (مَحَلَ).

(١) «جامع العلوم والحكم» [٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣] ط. الرسالة، و«البحر الرائق في الزهد والرقائق» [ص ١٠٤]. ط. دار البخاري.

(٢)عزاه ابن كثير في «فضائل القرآن» [ص ٢٩٦] ط. مكتبة ابن تيمية، للطبراني مرفوعاً، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٢٣٥٢] موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ورجاله ثقات.

ربكم».

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «مَنْ أحب القرآن فقد أحب الله، فإنما القرآن كلام الله».

وقال أبو هريرة ﷺ: «إن البيت الذي يُتلى فيه القرآن اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين. وإن البيت الذي لا يُتلى فيه القرآن، ضاق بأهله، وقلَّ خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين»[١].

وقال خباب ﷺ: «تقرَّبْ إلى الله ما استطعت، فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه».

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -: «إن من أشراط الساعة أن يُبسط القول، ويُخزن الفعل، ويُرفع الأشرار، ويُوضع الأخيار، وأن تُقرأ المثناة على رؤوس الناس لا تغير، قيل: وما المثناة؟ قال: ما استكتب من غير كتاب الله، قيل له: فكيف بما جاء من حديث رسول الله ﷺ ؟ فقال: ما أخذتموه عمن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه، وعليكم بالقرآن فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون وبه تُجزون، وكفى به

---

(١) «إحياء علوم القرآن» للغزالي [١/ ٢٧٤].

واعظاً لمن عقل»[١].

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: «عليك بتقوى الله فإنها رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض»[٢].

وقال ابن مسعود ﷺ: «هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير: الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي يسمع منه سورة البقرة»[٣].

---

(١) مقدمة كتاب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي [ت: ٥٤٦ هـ]، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) «نزهة الفضلاء» [٢/ ٢٤٨] ط. دار الأندلس.

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٧/ ١٦٤]: «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال هذا الطريق رجال الصحيح».

وقوله: أصفر البيوت (بالفاء) أي: أخلاها مِنَ الخير والبركة، مِنَ الصَّفَر وهو الخلو، ومنه أخذ الصِّفْر في الحساب، وهو يعني العدم إذا كان وحده.

وروى الحاكم في فضائل القرآن [٢١٢٥] موقوفاً على ابن مسعود ﷺ جزءاً منه وهو قوله: «إن أصفر البيوت بيت ليس فيه من كتاب الله شيء»، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب»، باب الترهيب من نسيان القرآن [٢١٣٦] ط. ابن حزم، بلفظ «أصغر» بالغين لا بالفاء، ومعناه

=

وقيل لمحمد بن سعيد - رحمه الله -: ما هذا الترديد في القرآن للقصص؟

فقال: ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ في الاعتبار.

وعن عبد الحميد الحماني[١] قال: سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن؟ فقال: يقرأ القرآن؛ لأن النَّبيّ ﷺ قال: «**خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه**» [٢].

ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي - رحمَه الله - في المسجد وبين يديه المصحف، فقال له الشافعي: شغلكم الفقه عن القرآن، إني لأصلي العتمة، وأضع المصحف بين يدي، فما أطبقه حتى الصبح[٣].

وقال بعض السلف لأحد طلابه: أتحفظ القرآن؟ قال: لا، قال: واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن! فبم يترنم! فبم يتنعم! فبم يناجي ربه

أهون البيوت منزلة وأدناها قيمة.

(١) هو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، أبو يحيى الكوفي، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطيء ، ورُميَ بالإرجاء، [ت: ٢٠٢هـ]، رَوَى له البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي». انظر: «تقريب التهذيب» [١/ ٣٣٤].

(٢) رواه البخاري [٥٠٢٧]، وأبو داود [١٤٥٢]، والترمذي [٢٩٠٩]، وغيرهم.

(٣) «البرهان في علوم القرآن» للزركشي [١/ ٤٦٢] ط. دار التراث.

تعالى؟!.

وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن، ثُمَّ اشتغل عنه بغيره، فرأى في المنام قائلاً يقول له:

إن كنت تزعم حُبّي   فلِمَ جَفَوتَ كتابي
أما تأمَّلت ما فيـ   ـه من لطيفِ عِتابي

وللقرآن تأثيرٌ عجيب في قلب الإنسان، شهد به كل مَنْ سمعه من مسلم وكافر، وهو ما جعل المشركين من أهل مكة يحاولون التشويش عليه عند تلاوته، خوفاً على نسائهم وصبيانهم وضعفائهم من سماعه، فقد يتأثرون به، ويؤمنون برسالة مَنْ بعثه الله به.

يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [فصلت: ٢٦].

وقد كان بعض المشركين يستمعون للقرآن خلسة، بعضهم من وراء بعض، حتى يضبط أحدهم الآخر متلبساً بسماع القرآن.

وسمع الوليد بن المغيرة مِن النَّبي ﷺ آية: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل: ٩٠]، فقال له: أعد عليَّ، فأعاد..

فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر[(١)]! .

وقد سمعه الجن فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

ولقد أجرى الدكتور أحمد القاضي ومعه بعض الأطباء المسلمين - في مستشفاهم الخاص بولاية (فلوريدا) بأمريكا، مستشفى أكبر - تجارب على عدد من المرضى يُسمعونهم القرآن، ويسجلون بالأجهزة الحساسة مدى تأثير القرآن عليهم، وفيهم المسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي، والعجيب أنهم وجدوا تأثير القرآن عليهم - جميعاً - تأثيراً إيجابياً بنسب متفاوتة، فالعربي المسلم غير العربي الذي ليس بمسلم، والمسلم الذي ليس بعربي؛ ولكن الكل تأثروا حتى الذي ليس بمسلم وليس بعربي.

وهذا يدل على أن في هذا الكلام سرّاً خاصّاً، لا يوجد في أي كلام

---

(١) قال الزبيدي في «شرح الإحياء» [٤/ ٤١٧]: «رواه البيهقي في الشُّعب من حديث ابن عباس، بإسناد جيد».

آخر من كلام البشر، نثراً أو شعراً [1].

* * * * *

(١) «كيف نتعامل مع القرآن» [ص ١٥٧، ١٥٨]. ط(١). دار الشروق.

المبحث الثاني: الترغيب في سور وآيات مخصوصة

١ - سورة الفاتحة:

عن أبي سعيد رافع بن المعلَّى ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟**» فأخذ بيدي، فلمَّا أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله: إنك قلت: لأعلِّمنَّك أعظم سورة في القرآن. قال: «﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢]، **هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[١].

و«**المثاني**»[٢] جمع مثناة: إما من التثنية لأنها تثنى في كل ركعة من

---

(١) رواه البخاري [٥٠٠٦] فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب.

(٢) فائدة في أقسام القرآن:

١ - السبع الطوال: مِنَ البقرة إلى الأنفال مع براءة (التوبة).

٢- المئين: من يونس إلى القصص. (وقيل: هي السور التي عدد آياتها مئة فأكثر).

٣- المثاني: مِنَ العنكبوت إلى الفتح. (وقيل: ما كان عدد آياتها أقل من مئة وأكثر مِنَ المفصّل).

٤- المفصّل: مِنَ الحجرات إلى الناس، والمفصّل هو السبع الأخير مِنَ القرآن؛ بحسب تحزيب الصحابة له وسيأتي قريباً إن شاء الله.

=

الصلاة، أو لاشتمالها على قسمين ثناء ودعاء، أو لاشتمالها على فصاحة البيان وبلاغة المعاني، أو لأنها تثنى على مرور الزمان وتتكرر فلا تنقطع، وتدرس فلا تندرس، وإما من الثناء لاشتمالها على الثناء على الله وتمجيده بأسمائه وصفاته[1]، والله أعلم.

قال الطيبي: «أوله سورة الحجرات، وسُمي بذلك لأن سوره قصار، كل سورة كفصل مِنَ الكلام».

والمفصّل على ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار، وقد اختلف العلماء في تحديد ذلك: فعند الحنفية: طواله مِنَ «الحجرات» إلى «البروج»، وأوساطه مِنَ «البروج» إلى «لَمْ يكن»، وقصاره من «لَمْ يكن» إلى آخر القرآن.

وعند المالكية: طواله مِنَ «الحجرات» إلى «النازعات»، وأوساطه مِنَ «عبس» إلى «والليل»، وقصاره من «الضحى» إلى آخر القرآن.

وعند الشافعية: طواله مِنَ «الحجرات» إلى «عم يتساءلون»، وأوساطه مِنَ «النازعات» إلى «الضحى»، وقصاره إلى آخر القرآن.

وعند الحنابلة: طواله مِنَ «ق» إلى «عم يتساءلون»، وأوساطه مِنها إلى «الضحى»، وقصاره مِنها إلى آخر القرآن.

انظر: «الفتح الرباني» [٣/ ٢١١]، و«الجامع والتركيز لحفظة الكتاب العزيز» [ص ٣٥]، و«سنن القراء» [ص ١٨٤، ٢٠٧].

(١) انظر في بيان هذه الأقوال وغيرها: «دليل الفالحين» [٦/ ١٧٩، ١٨٠] ط. دار الكتاب العربي.

[واعلم أنَّه ورد استعمال لفظِ (المثاني) في النُصوصِ مُراداً به ثلاثة معانٍ كلُّها تعود إلى القرآن:

الأول: القرآنُ كلُّه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وسُمِّي بذلك لأن القَصَص والأنباءَ ثُنِّيت فيه.

والثاني: ماكان دون المِئِين وفوق الْمُفَصَّلِ من السور.

كما في حديث واثلة بن الأسْقعِ ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**أُعطيتُ مكان التوراةِ السبعَ الطوال، ومكان الزبورِ المئينَ، ومكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلْتُ بالْمُفَصَّل**»[1].

والسببُ في إطلاقِ هذه التسمية على هذا المقدار من السُّوَرِ، هو نفسُهُ في إطلاقها على جميع القرآن؛ لكونها أكثرَ اختصاصاً به.

والثالث: سورةُ الفاتحةِ خاصَّةً، لحديث أبي سعيد بن المعلَّى وغيره.

---

(١) رواه أحمد [١٦٩٨٢]، وهو في «مسند الطيالسي» [١٠١٢]، والطبري في «تفسيره» [١٢٦]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [١٣٧٩]، والبيهقي في «دلائل النبوة» [٥/ ٤٧٥]، وقال محققو المسند: «إسناده حسن».

والسببُ في إطلاقِ ذلك عليها انَّها تُثَنَّى في الصلاة في كلِّ ركعة[١]، فلفظ (المثاني) مُشتركٌ في هذه المعاني جميعاً، يتبيَّنُ المراد به بالقرينة][٢].

وقوله: «**والقرآن العظيم الذي أوتيته**» أي: وهي المُسمّاة بذلك؛ لأنها اشتملت على مقاصد القرآن الكريم كله،ولذا سميت بأم القرآن.

قال الحسن البصري رحمه الله:«إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثُمَّ أودع علومه في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسيره».

والفاتحة قد اشتملت على أمور منها: الثناء على الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وتقرير أنواع التوحيد الثلاثة، والترغيب والترهيب، وفيها حصر العبادة لله وحده فلا يعبد إلا إياه، وقصر الاستعانة عليه فلا يستعان إلا به، وفيها إثبات القيامة والمعاد، وفيها توجيه للعباد أن يلجأوا إلى الله على الدوام، وأن يسألوه الهداية والاستقامة، وأن يسلك بهم سبيل مَنْ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يباعد بينهم وبين سبيل المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى. فما أعظمها من سورة.

---

(١) «غريب الحديث»، لأبي عبيد [٣/ ١٤٥، ١٤٦]ط. الهند (١٩٦٤م -١٩٦٧م).

(٢) «المقدمات الأساسية في علوم القرآن» ط. مؤسسة الريّان. [ص ١٤٥-١٤٧].

٢- سورتا البقرة وآل عمران:

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا الزهراوين، البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحآجّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»، قال معاوية بن سلام: بلغني أن البطلة السحرة[1].

وعنه ﷺ أن النَّبي ﷺ قال: «**اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، في ثلاث سور من القرآن، في البقرة، وآل عمران، وطه**».

قال القاسم أبو عبد الرحمن - الراوي عن أبي أمامة ﷺ -: «فالتمستُ في «البقرة»؛ فإذا هو في آية الكرسي: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ**

---

(١) رواه مسلم [٨٠٤].

وقوله: «الزهراوين»، قال الإمام النووي - رحمه الله -: « سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما، وعظيم أجرهما».

وقوله: «لا تستطيعها البطلة» قيل: لا تستطيع قراءتها، وقيل: لا تستطيع النفاذ إلى قارئها، و«الغيايتان»: مثنى غياية وهي كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية ونحوهما، و«فرقان» أي: قطعتان. والمعنى: أن ثوابهما يظله يوم القيامة كأنه غمامتان أو كقطيع الطير وجماعته.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وفي «آل عمران» فاتحتها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]، وفي «طه»: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] »(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النَّبي ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(٢).

٣- خواتيم سورة البقرة:

عن أبي مسعود البدري ﷺ أن النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ قرأ بالآيتين مِن آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»(٣).

قيل: كفتاه عن المكروه تلك الليلة، وقيل: كفتاه عن قيام الليل، وقيل: كفتاه عما ورد من الأدعية الكثيرة، لأن الدعاء بما فيهما متكفل لخيري الدنيا والآخرة. وقيل غير ذلك.

---

(١) رواه ابن ماجه [٣٨٥٦]، والطبراني في «المعجم الكبير» [٨/ ٢١٤/ ٧٧٥٨]، والحاكم [١٩٠٤]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٩٧٩]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٧٤٦].

(٢) رواه مسلم [٧٨٠] في صلاة المسافرين، والترمذي [٢٨٨٠].

(٣) رواه البخاري [٥٠٠٨، ٥٠٠٩]، ومسلم [٨٠٨]، وأبو داود [١٣٩٧]، والترمذي [٢٨٨٤].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «ما كنت أرى أحداً يعقل - دخل الإسلام - ينام حتى يقرأ آية الكرسي والثلاث الأواخر من سورة البقرة»[١].

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: «بينما جبريل عليه السَّلام قاعد عند النَّبيِّ ﷺ سمع نقيضاً من فوقِه، فرفع رأسه فقال: «**هذا باب من السماء فُتح اليوم، ولم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لَمْ ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشِرْ بنورين أوتيتَهما لَمْ يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**»[٢].

والنقيض: هو الصوت. والباء في قوله: «لن تقرأ بحرف» للاستعانة. والمعنى: لن تقرأ مستعيناً بحرف منهما على قضاء حاجة لك أو غرض معين إلا أعطيته.

٤ - آية الكرسي:

عن أبي أمامة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَن قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة**

(١) قال الإمام النووي: «واه ابن أبي داود بإسناده عن علي ﷺ». وانظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ١٨١]. ط. مكتبة المؤيد.

(٢) رواه مسلم [٨٠٦] باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والنسائي [٢/ ١٣٨].

مكتوبة، لَمْ يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[١].

وفي حديث أبي هُرَيْرة ﷺ لَمَّا كان عاملاً على الصدقة وجاء الشيطان يحثو منها وأمسك به في الثالثة ليرُدَّه إلى النَّبيِّ ﷺ قال له الشيطان: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ** ﴾ حتى تختمها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح»، فلَمَّا أخبر النَّبيَّ ﷺ بذلك قال: «**صدقَك وهو كذوب**»[٢].

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟** قلتُ: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ** ﴾،

---

(١) قال الإمام المنذري في «الترغيب والترهيب» [٢/ ٢٩٩] [٢٤٦٨]: «رواه النسائي والطبراني بأسانيد أحدها صحيح، وقال شيخنا أبو الحسن: هو على شرط البخاريِّ، ورواه ابن حبان في كتاب الصلاة وصححه».

ورواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» [١٢٤]، والحديث صححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٩٧٢]، و«صحيح الجامع الصغير» [٦٤٦٤]، و«مشكاة المصابيح» [٩٧٤].

(٢) رواه البخاري [٥٠١٠] كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة. وهو هنا مختصر بمعناه.

فضرب في صدري وقال: لِيَهْنَكَ العلمُ أبا المنذر»(١).

قال الإمام النَّووي في «شرح مسلم»: «وفيه منفعة عظيمة، ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم لفضلاء أصحابه، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولَمْ يخف عليه الإعجاب ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى»(٢).

٥- سورة الكهف:

عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال**»، وفي روايةٍ: «**من آخر سورة الكهف**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً: «**مَنْ قرأ سورة الكهف ليلة**

---

(١) رواه مسلم [٨١٠].قلتُ: ما أروع أخلاق النَّبيِّ ﷺ وما أجمل شمائله، وما أحوجنا إلى التمثُّل بها، والسير على منوالها، ومشابهته فيها، ما أحوجنا إلى أن نتحلى - على الأقل - بروح الإنصاف، وأن لا نتعالى على غيرنا، وأن نعترف لأهل الفضل بالفضل، وأن لا نبخس الناس حقوقهم، وأن لا نتهم غيرنا في قصده ونيته؛ لأجل كلمة قالها، أو عبارة تلفظ بها: لها في الخير ألف محمل، ثُمَّ لا نحملها إلا على السوء والشر، فالله المستعان.

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي [٦/ ٩٥].

(٣) رواه مسلم [٨٠٩]، وأبو داود [٤٣٢٣]، والتِّرمذي [٢٨٨٨].

الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق»، وفي روايةٍ: «**مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين**»(١).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشَّته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلَمَّا أصبح أتى النَّبيَّ ﷺ فذكر له ذلك فقال: «**تلك السكينة تنزلت بالقرآن**»(٢).

٦- سورة الفتح:

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لقد أُنزلت علي سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ثُمَّ قرأ** ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾

(١) رواه الدارمي [٣٤١٠] في فضائل القرآن، والحاكمُ [٢١١٦] وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» [٦٢٦]، وانظر: «صحيح الجامع الصغير» [٦٤٧٠ - ٦٤٧١].

(٢) رواه البخاري [٥٠١١] كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف.

والمراد بالسكينة: قيل: هي ريح هفَّافةٌ، لها وجه كوجه الإنسان،واختاره الحافظُ ابن حجر في «فتح الباري»، وقيل: هي روح مِنَ الله، قاله وهب بن منبه، وقيل: هي الرحمة، أو سكون القلب، قاله الضحاك بن مزاحم، وهو اختيار الطَّبريِّ، وقيل: هي الطمأنينة، وقيل: الوقار، وقيل: الملائكةُ، وقيل غير ذلك. واختار النووي أنها شيء من مخلوقات الله فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكةُ.

وانظر: «فتح الباري» [٨/ ٦٧٤].

[الفتح: ١]»[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لقد أُنزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعاً ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾**[الفتح: ١] »[٢] .

٧- سورة تبارك:

عن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**من القرآن سورة ثلاثون آية، شفعت في صاحبها حتى غفر له، وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾** [الملك: ١] »[٣] .

وفي رواية عن أنس ﷺ مرفوعاً: «**سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي** «**تبارك**»»[٤].

وفي رواية عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً «**سورة تبارك هي المانعة من**

---

(١) رواه البخاري [٥٠١٢] باب فضل سورة الفتح.

(٢) رواه مسلم [١٧٨٦].

(٣) رواه أبو داود [١٤٠٠]، والترمذي [٢٨٩١] وقال: «حديث حسن »، وصححه ابن حبان [١٧٦٦] ، والحاكم [٢/ ٤٩٧ - ٤٩٨]، ووافقه الذهبي، والحديث في «صحيح الجامع الصغير» [٣٦٤٣]، [٣٦٤٤].

(٤) «صحيح أبي داود» [١٢٦٥].

عذاب القبر»[١].

وعن جابر ﷺ قال: «كان النَّبيُّ ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ الٓمٓ ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ »[٢].

٨ - سور: «التكوير، الانفطار، الانشقاق»:

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ سرَّهُ أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾** [التكوير: ١]، و**﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾** [الانفطار: ١]، و **﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾** [الانشقاق: ١]، **وأحسب أنه قال: «سورة هود»** [٣].

٩- سورة الإخلاص:

عن أبي هريرة ﷺ قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**أقرأ عليكم**

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١١٤٠].

(٢) رواه أحمد [٣/ ٣٤٠]، والترمذي [٤٠٠١]، والنسائي [٧٠٧] في «عمل اليوم والليلة»، والحاكم [٢/ ٤١٢] وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٤٨٧٣]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٥٨٥].

(٣) رواه أحمد [٤٨٠٦] ط. الرسالة، والترمذي [٣٣٣٣]، والحاكم [٤/ ٥٧٦]، وقال: «صحيح الإسناد». وقال محققو المسند: «إسناده حسن». وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٠٨١]، و«صحيح الجامع الصغير» [٦٢٩٣].

ثلث القرآن». فقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١، ٢] **حتى ختمها»**[١].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**سلوه؛ لأي شيء يصنع ذلك**»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أنَّ الله يحبه**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال في سورة الإخلاص: «**والذي نفس محمد بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**» [٣].

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلث القرآن في ليلة**»؟ فشقَّ عليهم ذلك. وقالوا: أيُّنا يطيق يا رسول الله؟ فقال: «﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ** ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]

---

(١) رواه مسلم [٨١٢] كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة «قل هو الله أحد».

(٢) رواه مسلم [٨١٣].

(٣) رواه البخاري [٦٦٤٣]، وأبو داود [١٤٦١]، والنسائي [٢/ ١٧١].

ثلث القرآن»(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله: إني أحب هذه السورة ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾ فقال: «**إنَّ حبَّها أدخلك الجنة**» وفي رواية «**إن حبك إياها**»(٢).

وعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه مرفوعاً: «**مَنْ قرأ** ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾ **عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة**»(٣).

وسبب كونها تعدل ثلث القرآن؛ أن القرآن أنزل أثلاثاً، ثلثاً منه أحكام، وثلثاً منه وعد ووعيد، وثلثاً منه أسماء وصفات، وقد جمعت ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾ أحد الأثلاث؛ وهو الأسماء والصفات.

ودلَّ على هذا التأويل حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إن**

---

(١) رواه البخاري [٥٠١٣ - ٥٠١٤ - ٥٠١٥]، وأبو داود [١٤٥٨]، والنسائي [٢/ ١٣٩] ومثله عند مسلم [٨١١].

(٢) رواه البخاري [٧٧٤] باب الجمع بين السورتين في الركعة، وهو عند التِّرمذيِّ أيضاً [٢٩٠٣] وقال: «حديث حسن».

(٣) رواه أحمد [٣/ ٤٣٧]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٦٤٧٢]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٥٨٩].

الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن»(١)، وهذا نصٌّ؛ وبهذا المعنى سميت سورة الإخلاص، والله أعلم(٢).

١٠ - المعوِّذتان:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لَمْ ير مثلهنَّ قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾** [الفلق: ١]، و**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾** [الناس: ١]»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلَمّا نزلت أخذ بهما وترك ما

---

(١) رواه مسلم [٨١١]، وقال المازريّ: « قيل: معناه أنّ القرآن نزل على ثلاثة أنحاء: قصص، وأحكام، وصفات لله تعالى، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ متمحِّضة للصفات فهي ثلث وجزء من ثلاث أجزاء». وهناك رسالة قيِّمة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عنوانها: «جواب أهل الإيمان في أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن».

(٢) «تفسير القرطبي» [١٠/ ١٦٩]، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) رواه مسلم [٨١٤] باب: فضل قراءة المعوّذتين، وأبو داود [١٤٦٢]، والترمذي [٢٩٠٤]، والنسائي [٢/ ١٥٨].

سواهما»[١].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دُبُرِ كل صلاة» ولفظ الترمذي: «بالمعوذتين»[٢].

وعن عائشةَ - رضي الله عنها - أن النَّبيَّ ﷺ كان يقرأ كل ليلة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين، يجمع كفَّيه وينفث فيهما ويقرأ، ثُمَّ يمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده، ويفعل ذلك ثلاث مرات[٣].

وعن إبراهيم النخعي - رحمَه الله - قال: «كانوا يستحبون أن يقرؤوا هؤلاء السور في كل ليلة ثلاث مرات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتان»،

---

(١) رواه التِّرمذي [٢٠٥٩] وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه [٣٥١١].

(٢) رواه أبو داود [١٥٢٣]، والتِّرمذي [٢٩٠٣]، والنسائي [٣/ ٦٨]، وأحمد [١٧٤١٧، ١٧٧٩٢]، وقال محققو المسند: «حديث صحيح».

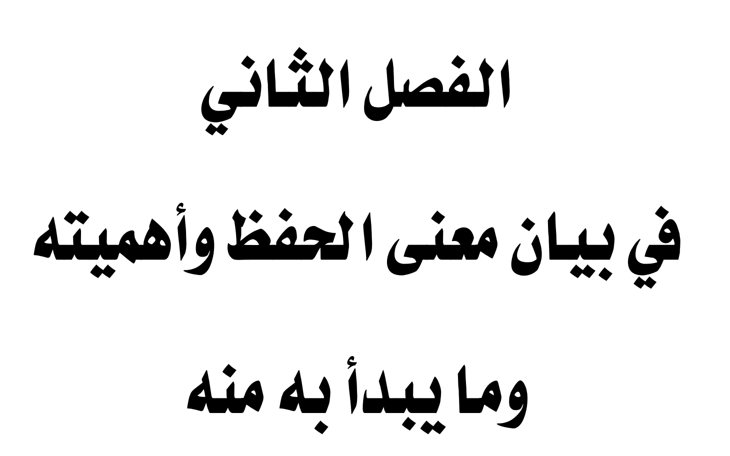
(٣) رواه البخاري [٥٠١٦ - ٥٠١٧]، ومسلم [٢١٩٢]، والتِّرمذي [٣٣٩٩]، وابن ماجه [٣٥٢٩]، وهو هنا بمعناه.

وفي «صحيح الجامع الصغير» [٤٨٧٤]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٦٤١]، من حديث عائشةَ - رضي الله عنها - أن النَّبيَّ ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ «الزمر» و«بني إسرائيل». أي: الإسراء.

قال الإمام النَّووي في «التبيان»[1]: «إسناده صحيح على شرط مسلم» .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) [ص ١٨٢] ط(١). بتحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد ١٤١٢هـ.



الفصل الثاني

في بيان معنى الحفظ وأهميته

وما يبدأ به منه

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في فضل الحفظ وأهمِّيته وشيءٍ من فوائده.

المبحث الثاني: في بيان معنى الحفظ وسهولته وحكمه.

المبحث الثالث: في ما يُبدأ به في الحفظ.

المبحث الأول: فضل الحفظ وأهميته وشيء من فوائده

إن حفظ القرآن من أجلِّ القُرُبات، وأفضل الطاعات، وبه ينال العبد رضا ربِّ الأرض والسموات، وكذلك حفظ علوم الشرع من سنَّة النَّبيِّ ﷺ ، وأقوال أهل العلم الموضحة لمعاني نصوص الوحيَيْن الكريمين، وهأنذا: أسرد لك بعض فوائد الحفظ وفضائله، ليكون ذلك باعثاً للهمم، ومقوِّياً للعزائم، فتُقبل على كلام الله، وسنَّة رسوله ﷺ بجد واجتهاد، وصبر وثبات، حفظاً ودراسةً، وفهماً وعملاً.

١ - الحافظ من الذين أوتوا العلم:

قال سبحانه: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾[العنكبوت: ٤٨ - ٤٩].

ويكفي الحافظ لكتاب الله تعالى عزاً وشرفاً أن يوصف بهذا الوصف، وأن ينال تلك المنزلة والمكانة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره: «﴿ **بَلْ هُوَ** ﴾، أي: هذا القرآن ﴿ **ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ** ﴾ لا خفيَّات ﴿ **فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ**

﴿ٱلْعِلْمَ﴾ هم: سادة الخلق وعقلاؤهم، وأولو الألباب، والكُمَّل منهم. فإذا كانت آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم»[١].

وقال الحافظُ ابن كثير: «أي: هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً يحفظه العلماء، يسَّره الله عليهم حفظاً وتلاوةً وتفسيراً»[٢].

وآيات الله عز وجل محفوظة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن أسباب حفظها، صدور الذين أوتوا العلم، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً لمن حفظ القرآن والسنَّة، فإنه من أسباب حفظ الدين ووسائل حفظ الشريعة.

٢- لا يكون الرجل عالماً إلا بالحفظ:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان» [٦/ ٩٦] ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

(٢) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٤٠٣] ط. مكتبة العلوم والحكم.

وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: ٩].

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨].

وعن معاوية ﵁ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١).

وعن صفوان بن عسَّال ﵁ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن الملائكة لتضع أجنحتَها لطالب العلم رضاً لما يطلب**»(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة**»(٣).

فهذه النصوص - وغيرها كثير - تبيِّن قيمة العلم وشرفَ أهله، وعلوَّ منزلتهم عند ربهم، وفي دنياهم ومعادهم.

والرجل لا يكون عالماً حتى يحفظ من القرآن والسنَّة وأقوال أهل

---

(١) رواه البخاري [٧١]، ومسلم [١٠٣٧].

(٢) رواه التِّرمذي [٣٥٣٥]، وابن ماجه [٢٢٦]، وأحمد[١٨٠٩٥]، وابن حبان [١٣٢١]، وقال الشيخ شعيب: «إسناده حسن».

(٣) رواه مسلم [٢٦٩٩]، وأبو داود [٢٦٤٣]، والتِّرمذي [٢٦٤٨].

العلم الموضحة لمعانيها ما يرفعه إلى تلك المكانة، ويسمو به إلى تلك المنزلة.

ولهذا قيل: «احفظ فكل حافظٍ إمام»، و«آفة العلم النسيان»، فالعلم هو الحفظ، ومن لَمْ يكن حافظاً لَمْ يكن عالماً.

والمحمود في طلب العلم هو الحفظ والفهم والاستيعاب، ولا يُحمد جمع الكتب، وتكديس المكتبات بها - للزينة والتباهي - مع عدم الاستفادة منها، والقراءة فيها.

فالعلم ليس بكثرة الكتب، ولا بسَعَة المكتبات ولو كان الأمر كذلك لكان أعلم الناس هم الأثرياء، وأصحاب رؤوس الأموال والثروات، لأنهم يستطيعون بأموالهم تحصيل ما لا يحصله غيرهم من الكتب والمراجع؛ وإنما العلم: الحفظ والفهم والاستيعاب، وقد يكون الرجل عالماً ولا يملك من الكتب إلا أقل القليل، وهناك مَنْ عندَه من الكتب القيِّمة، والمراجع النَّفيسة، والمخطوطات النادرة، عشرات المجلدات، وهو - مع ذلك - مهمل لها، تاركٌ القراءة فيها، والاستفادة منها، وفي هذا خطر عظيم.

ولله درُّه من قائل:

رُبَّ إنسانٍ ملأ أسفاطَهُ[1]　　　كُتُبَ العلم يعدُّ ويَخُطّ

---

(١) الأسفاط: جمع سفط، وهو مستودع الكتب.

وإذا فَتَّشتَه عن علمه قال: عِلمي ياخليلي في السَفْط

في كراريس جياد أُحرزت وبخط أي خطٍ أي خطّ

وإذا قلتَ له هاتِ إذاً حكَّ لَحْييه جميعاً وامتخط

وقال الإمام الشافعي - رحمَه الله - [1]:

علمي معي حيثما كنتُ يتبعُني صدري وعاءٌ له لا بطنُ صندوقِ

إن كنتُ في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوقِ

وقال عبيد الله الصيرفي- رحمَه الله -:

ما العلم إلا ما حواه الصدرُ وليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ[2]

فذاك فيه شرف وفخر وزينة جليلة وقدرُ

وقال ابن بشير الأزدي- رحمَه الله -:

أأشهدُ بالجهل في مجلسٍ وعلميَ في البيت مستودعُ

إذا لَمْ تكن حافظاً واعياً فجمعُك للكتْبِ لا ينفعُ

والإكثار من شراء الكتب مع إهمالها وعدم الدراسة فيها، والاستفادة منها؛ قد يكون سبباً في شقاء العبد وهلاكه يوم القيامة، لأن الله سائلُه عن

(١) ويُنسب هذان البيتان إلى هبة الله البغدادي، وكذا إلى منصور الفقيه.

(٢) القمطر: صندوق الكتب.

ذلك، والعلم إما حجة لك أو عليك، والعلم إن لَمْ ينفعك ضرَّك. والله المستعان.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «قيمة كل امرئٍ ما يُحسنه»، ولم يقل: ما يجمعه!!!

وقال أبو هلال العسكري - رحمَه الله -: «وإذا كان ما جمعتَه من العلم قليلاً، وكان حفظاً كثُرت المنفعة به، وإذا كان كثيراً غير محفوظ قلَّت منفعتُه».

وقال عبيد الله بن الحسن- رحمَه الله -: «وجدتُ أحضَرَ العلم منفعةً ما وعيتُه بقلبي، ولُكْتُهُ بلساني».

وقال عبد الرزاق - رحمَه الله -: «كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمَّام فلا تعدَّه علماً».

وقال الأصمعي - رحمَه الله -: «كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمَّام فهو زور».

وقال الأعمش - رحمَه الله -: «احفظوا ما جمعتم، فإن الذي يجمع ولا يحفظ كالرجل كان جالساً على خِوانٍ، يأخذ لقمةً لقمة، فينبذها وراء ظهرِه، فمتى تراه يشبع؟!».

٣- الحفظ سبب للنجاة:

عن أبي الدرداء ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف** [وفي روايةٍ: «**من آخر سورة الكهف**»] **عُصم من الدجال**» [(١)].

فإذا كان هذا الفضل والثواب، وهذا العطاء والجزاء، وهو العصمة من أكبر فتنة على ظهر الأرض منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة، ألا وهي فتنة الدجال؛ فإذا كان المسلم ناجياً من فتنة الدجال بحفظه عشر آيات من سورة الكهف، أولها أو آخرها، فكيف بمن حفظ كتاب الله كله، لا شك أن ثوابه عند الله أعظم، وأجره عند ربه أوسع وأعم.

قال الشافعي - رحمَه الله -: «مَنْ حفظ القرآن عظمت قيمته، ومَنْ طلب الفقه نبل قدره، ومَنْ كتب الحديث قويت حجَّته، ومَنْ نظر في النحو رقَّ طبعُه، ومَنْ لَمْ يَصُن نفسَه لَمْ يصنه العلم»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم [٨٠٩]، وأبو داود [٤٣٢٣]، والتِّرمذي [٢٨٨٨].

وأخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح - كما قال الحافظُ ابن حجر في «فتح البَارِي» [٨/ ٦٩٧]- عن أبي أمامة ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن ولا تغرَّنكم هذه المصاحف المعلّقة، فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن». وانظر أيضاً: «سنن الدارمي» [٣٣١٩].

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» [ص ٤٦٤ - ٤٦٥].

٤- حافظ القرآن مقدَّم في دنياه وأخراه:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط**»(١).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»(٢).

وممن رفعهم الله بالقرآن -كما قال عمر بن الخطاب ﷺ -: عبد الرحمن ابن أبزى الخزاعي – ﷺ – وهو من أواخر صغار الصحابة، وكان مولى لنافع بن عبد الحارث، وكان نافع مولاه استنابه على مكَّة حين تلقى عمر بن الخطاب قادماً إلى عسفان فقال له: مَنْ استخلفت على أهل الوادي؟ – يعني مكَّة – قال: ابن أبزى. قال: ومَنْ ابن أبزى؟ قال: مولى

---

(١) رواه أبو داود [٤٨٤٣]، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [٤٠٥٣]. وقوله «غير الغالي فيه»: الغلو: تجاوز الحد سواء في التجويد وأداء الحروف والمخارج، أو في معناه بالتأويل الباطل، والشطط في الفهم كما هو حال أهل البدع.

وقوله «والجافي عنه»: الجفاء: الإعراض والتباعد عن تلاوته وتدبره، وإحكام قراءته، وفهم معانيه، والعمل بما فيه. والله أعلم.

(٢) رواه مسلم [٨١٧]، والدارمي [٣٣١٨]، وابن ماجه [٢١٨].

من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه عالم بالفرائض قاريء لكتاب الله، قال عمر: أَما إنَّ نبيكم ﷺ قال: «**إن هذا القرآن يرفع الله به أقواماً ويضع به آخرين**»(١).

وهذا أبو العالية رفيع بن مهران - رحمَه الله - وهو إمام مقريء حافظ مسند - وكان مولى لامرأة - يقول: «كان ابن عباس يرفعني على السرير، وقريشٌ أسفل السرير، فتغامزت بي قريشٌ، فقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرَّة».

قال الإمام الذَّهبي - رحمه الله -: هذا كان سرير دار الإمرة لَمَّا كان ابن عباس متولِّيها لعلي - رضي الله عنهما - (٢).

ومن المواطن التي يقدَّم فيها حافظ القرآن على غيره ما يلي:

أ - في إمامة الصلاة:

عن أبي مسعود البدري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يَؤُمُّ القوم أقرؤهم**

(١) «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء» [١/ ٢٥٣] ط. دار الأندلس، و «صحيح مسلم» [٨١٧] كتاب: صلاة المسافرين، باب: [فضل مَنْ يقوم بالقرآن..].

(٢) «نزهة الفضلاء» [١/ ٣٦٦ - ٣٦٧].

لكتاب الله... »[(١)] الحديث.

فالأقرأ لكتاب الله تعالى هو المقدَّم في إمامة الصلاة، وإن كان صبياً مُمَيِّزاً، فعن عمرو بن سلمة ﷺ قال: «لَمَّا كانت وقعة الفتح، بادر كل قومٍ بإسلامهم، وبادر أبي قومي بإسلامهم، فلَمَّا قدِمَ قال: جئتكم من عند النَّبيِّ ﷺ حقاً. فقال: صلُّوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذِّن أحدكم وليؤمّكم أكثركم قرآناً، فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قرآناً مني، فقدَّموني بين أيديهم، وأنا ابن ستّ أو سبعِ سنين...»[(٢)] الحديث.

ب - في المشورة والرأي:

عن ابنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: «كان القُرَّاءُ أصحابَ مجلس عمر ومشاورته، كُهُولاً كانوا أو شُبَّاناً»[(٣)].

ج - في الدفن بعد الموت:

---

(١) رواه مسلم [٦٧٣]، والتِّرمذي [٢٣٥]، [٧٧٣]، وأبو داود [٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤]، والنسائي [٢/ ٧٦- ٧٧]، وأحمد [٤/ ١١٨ - ١٢١].

(٢) رواه البخاري [٤٣٠٢]، وأبو داود [٥٨٥]، والنسائي [٢/ ٨٠ - ٨١]، وانظر: «الفتح» [٧/ ٦١٦ - ٦١٨]، و«شرح السنَّة» [٣/ ٤٠١ - ٤٠٢].

(٣) رواه البخاري [٤٦٤٢]، [٧٢٨٦].

عن جابر ﷺ: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يجمع بين الرَّجُلين من قتلى أحد، ثُمَّ يقول: «**أيُّهما أكثر أخذاً للقرآن**»، فإن أُشيرَ إلى أحدهما قدَّمه في اللحد»[١].

د - في الإمارة:

عن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً، وهم ذوو عدد فاستقرأهم، فاستقرأ كلَّ واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سِنّاً، فقال: «**ما معك يا فلان**»؟ قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة، فقال: «**أمعك سورة البقرة**»؟ قال: نعم. قال: «**فاذهب؛ أنت أميرهم**». فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة، إلا خشية ألاَّ أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «**تعلَّموا القرآن، فاقرؤوه وأقرئوه، فإن مَثَلَ القرآن لمن تعلَّمه فقرأه وقام به كمثل جِرَابٍ محشوٍّ مِسْكاً، يفوح بريحه كلُّ مكانٍ، ومَثَلُ مَنْ تعلَّمه فيرقد وهو في جوفه كمَثل جراب وُكِيَ على مسكٍ**»[٢].

---

(١) رواه أحمد [٥/ ٤٣١]، والبخاري [١٣٤٧]، وأبو داود [٣١٣٨]، والنسائي [٤/ ٨٣ - ٨٤].

(٢) رواه التِّرمذي [٢٨٧٦] في فضائل القرآن، واللفظ له، وابن حبان [٢٥٧٨] في الص- لاة، وابن ماجه [٢١٧] مختصراً، والنسائي في «السنن الكبرى»[٨٧٤٩] باب: مَنْ أولى بالإمامة، وابن خزيمة [١٥٠٩]. وقال التِّرمذي: «حديث حسن».

ولمَّا قَدِم وفد ثقيف للمدينة، وأعلنوا إسلامهم، وكتب النَّبيُّ ﷺ كتابهم، وأراد أن يُؤمِّر عليهم؛ أشار أبو بكر الصديق ﷺ بعثمان ابن أبي العاص، وكان أحدثهم سِنّاً، فقال الصدِّيق: يا رسول الله! إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن[1].

وكان عثمان بن أبي العاص ﷺ كلَّما نام قومه بالهاجرة، عمد إلى رسول الله ﷺ فسأله في الدين، واستقرأه القرآن حتى فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائماً عمد إلى أبي بكر، وكان يكتم ذلك عن أصحابه، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وعجب منه وأحبَّه[2].

٥ – علو درجة الحافظ في الجنة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[3].

---

(١) انظر: «تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين» د. جميل عبد الله المصري. ط(١) مكتبة الدار، بالمدينة المنورة، ١٤٠٧هـ [ص ١٥٢].

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام للذهبي – المغازي» [ص ٦٧٠] ط. دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.

(٣) تقدَّم تخريجه [ص ٣١] حاشية [١].

وفي رواية أبي سعيد ﷺ مرفوعاً «**يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعدُ بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه**»(١).

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلِّه، فيُلبَس تاج الكرامة، ثُمَّ يقول: يا رب زدهُ. فيلبس حُلَّة الكرامة، ثُمَّ يقول: يا ربِّ ارضَ عنه، فيرضى عنه، ويُقال له: اقرأ وارقَ، ويُزاد بكل آية حسنة**»(٢).

وقالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن فليس فوقه أحد(٣).

---

(١) رواه أحمد [١١٣٦٠]، وابن ماجه [٣٧٨٠]ط. دار الكتب العلمية،و وقال محققو المسند: «صحيحٌ لغيره»، ورواه أيضاً في [١٠٠٨٧] موقوفاً على أبي هريرة أو أبي سعيد- شكَّ الأعمش- قال: «يُقال لصاحب القرآنِ يوم القيامة: اقْرهْ وارْقَهْ، فإنَّ مَنزِلكَ عند آخرِ أيةٍ تَقرُؤُها»، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو في حكم المرفوع، فمثله لا يُقال بالرأي »، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٨١٢١].

(٢) رواه التِّرمذي [٢٩١٥] في فضائل القرآن، وقال: «حسن صحيح»، ثُمَّ رواه موقوفاً على أبي هُرَيْرة، وقال: «هذا أصح عندنا»، والحديث رواه الحاكم [٢٠٧٣] في فضائل القرآن، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وأقرَّه الذهبي.

(٣) «أخلاق حملة القرآن» للآجري [ص ٣١]، وكذا ذكره السُّيوطيُّ في« الجامع الصغير» =

قال الإمام الخطابي- رحمَه الله - في «معالم السنن»: «جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقاريء: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منها، كان رقيُّه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»[١].

والخبر السابق يدل على فضيلة الحفظ، لأن الارتقاء يكون بحسبه، فيرتقي في الجنة من يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويقرؤه غيباً، لا مَنْ يقرأ في المصحف، فلهذا تتفاوت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم.

٦- تزويج الحافظ بغير صداق إكراماً له:

قال البخاري في صحيحه: «باب: التزويج على القرآن بغير صداق»، وترجم الإمام النَّووي في شرحه لمسلم: «باب الصداق وجواز كونه تعليمَ قرآن وخاتم حديد»، وترجم النَّسائي: «باب: التزويج على سورةٍ من القرآن».

ثُمَّ أوردوا حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: جاءت امرأة إلى

وقال: «رواه البيهقي عن عائشة». «فيض القدير» [٤/ ٣٠٨]، ط. دار المعرفة.

(١)«معالم السنن» [١/ ٢٨٩، ٢٩٠].

رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئتُ أهبُ لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعَّد النظر فيها وصوَّبه، ثُمَّ طأطأ رسول الله ﷺ رأسَه، فلَمَّا رأت المرأة أنه لَمْ يقضِ فيها شيئاً جلسَتْ.

فقام رجلٌ من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لَمْ يكن لك بها حاجة فزوِّجنيها، قال: «**فهل عندك من شيء**»؟ فقال: لا والله يا رسول الله، فقال: «**اذهب إلى أهلكَ فانظر هل تجد شيئاً**»؟ فذهبَ ثُمَّ رجَع فقال: لا والله ما وجدتُ شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «**انظر ولو خاتماً من حديد**»، فذهب ثُمَّ رجَع فقال: لا والله يا رسول الله؛ ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري [قال سهل: ماله رداء] فلها نصفُه، فقال رسول الله ﷺ: «**وما تصنَع بإزارِك؟ إن لبستَه لَمْ يكن عليها منه شيء، وإن لبسَتْه لَمْ يكن عليك منه شيء**»، فجلس الرجلُ حتى إذا طال مجلسُه قام، فرآه النَّبيُّ ﷺ مولِّياً، فأمَر به فدُعيَ، فلَمَّا جاء قال: «**ماذا معك من القرآن**»؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا، وعدَّدَها، فقال: «**تقرؤهنَّ عن ظهر قلب**»؟ قال: نعم، قال: «**اذهب فقد ملَّكتُكَها بما معك من القرآن**». وفي روايةٍ: «**اذهب فقد زوَّجتُكَها، فعلِّمها من القرآن**»[1].

---

(١) رواه البخاري [٥١٤٩]، ومسلم [١٤٢٥]، والنسائي [٦/ ١١٣]، وانظر: «فتح البَارِي» [٩/ ١١٢- ١٢٤] فإنه مُهِمٌّ.

=

وقوله ﷺ: «**تقرؤهنَّ عن ظهر قلب**» دليلٌ على الحفظ .

فحفظُه لبعض سورٍ من القرآن كان سبباً في زواجه رغم شدَّة فقرِه وحاجتِه، حتى إنه لا يجد خاتماً من حديد يدفعه مهراً لزوجتِه، وهذا دليل

قلت: إذا كانت سماحة الإسلام بلغت هذا المبلغ حتى جاز للرجل أن يتزوج المرأة على خاتم من حديد، وعلى أن يعلِّمها بعض سور القرآن... ألا فليتَّقِ الله أناسٌ جعلوا مِنَ الزواج تجارةً، ووسيلةً لابتزاز الأموال، فغالَوْا في أخذهم للمهور وطلبهم لها حتى أعجزوا الشباب عن الزواج، وصدُّوهم عن الحلال الذي أباحه الله لهم، مما تسبَّب في انتشار الرذيلة وفساد المجتمع وكثرة العوانس في بيوتنا.

ألا فليتقوا الله في أنفسهم وبناتهم، وليحذروا أن يدخلوا ضمن مَنْ قال الله فيهم: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: ١٩]، فإنهم بفعلهم هذا ساعدوا على نشر الرذيلة وإشاعة الفاحشة في مجتمعات المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا أدري - وايم الله! - أيُّ فضيلةٍ في رفعهم للمهور، ومغالاتهم فيها! وهلِ المرأة سلعةٌ تُباع وتُشترى؟! وهلِ المرأةُ بهيمةٌ تُعطى لمن يدفع أكثر؟! وكيف يستقيم هذا المنطق السقيم مع قول نبينا عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم: «**إذا جاءكم مَنْ ترضَون دينه وخلُقَه فزوِّجوه، إلاَّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض**».

وكيف يستقيمُ مع قَوله في الحديث الآخر: «**إن أكثر النكاح بركةً أقلّه مؤونةً**»، أي: أقلّه تكلفةً، وقولُه: «**يُمن المرأةِ قلَّة مهرها**»... وصدق - وايم الله - فما نُزعت البركةُ من بيوتنا، وما كثرت المشكلات الزوجية في مجتمعاتنا، وما تفكَّكتِ الروابط الأسريّة فيما بيننا، إلاَّ يومَ أنْ تركنا هذه الأحاديث وهجَرْنا العمل بها، فإلى الله المشتكى.

ظاهر على فضيلة الحفظ.

وقال الإمام النَّووي - رحمَه الله -: «وفيه دليلٌ لجواز النظر لمن أراد أن يتزوج امرأةً وتأمُّله إياها، وفيه استحباب عرض المرأة نفسَها على الرجل الصالح ليتزوجها، وفيه أنه يُستحب لمن طلبت منه حاجة لا يمكنه قضاؤها أن يسكت سكوتاً يُفهم منه ذلك ولا يُخجله بالمنع إلا إذا لَمْ يحصل الفهم إلا بصريح المنع فيصرِّح، وفيه جواز لبس الرجل ثوب امرأتِه إذا رضيَتْ أو غلب على ظنه رضاها». وذكَر فوائد أخرى فراجعها(١).

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «**هل تزوجت يا فلان**»؟ قال: لا والله يا رسول الله، ما عندي ما أتزوج به، قال: «**أليس معك** ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١]؟» قال: بلى، قال: «**ثلث القرآن**»، قال: «**أليس معك** ﴿**إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ**﴾ [النصر: ١]؟» قال: بلى، قال: «**ربع القرآن**»، قال: «**أليس معك** ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾ [الكافرون: ١] ؟» قال: بلى، قال: «**ربع القرآن**»، قال: «**أليس معك** ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾ [الزلزلة: ١]؟»

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي [٩/ ٢١٢ - ٢١٤] ط. الريان.

قال: بلى، قال: «**ربع القرآن، تزوَّج تزوَّج**»[١].

٧- النَّبيُّ ﷺ يأمر بالحفظ ويدعو لصاحبه:

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: إنَّ وفد عبد القيس لما أَتَوْا النَّبيَّ ﷺ قال: مَنِ القوم؟ قالوا: ربيعة، قال: مرحباً بالقوم غيرَ خزايا ولا ندامى، فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيَك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمُرنا بأمرٍ نخبر به مَنْ وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرَهم بأربع، ونهاهم عن أربع.

أمرَهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تُعطوا من المُغْنم الخُمُس**».

ونهاهم عن أربع: عن الحنتَم والدُبَّاء والنَّقير والمُزَفَّت وقال:

---

(١) رواه أحمد (١٣٣٠٩) (٢١/ ٣٢) ط. الرسالة، والترمذي [٢٨٩٥] وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ؛ الحسن بن سليم»، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٥٤٩).

«احفظوهنَّ، وأخبروا بهنَّ مَنْ وراءكم»[١].

فإذا أمرهم النَّبيُّ ﷺ بحفظ كلامِه وتبليغِه، وندبَهم إلى ذلك؛ فلأَنْ يُحفظ كلامُ الله عز وجل، ويُعتنى بتلاوتِه وفهمِه، من باب أَوْلى.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**نضَّر الله امرءاً سمع منَّا شيئاً فبلَّغه كما سمعَه، فرُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامع**»[٢].

وفي روايةٍ: «**نضَّر الله امرءاً سمع منَّا حديثاً فحفظَه حتى يبلِّغَه غيرَه، فرُبَّ حامِلِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه، ورُبَّ حامِلِ فقهٍ ليس بفقيه**»[٣].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على فضيلة الحفظ - والفهم - وشرف أهله، فنسأل الله أن يجعلنا من حفَّاظ هذه الشريعة، الواعين لها،

---

(١) رواه البخاري [٥٣] كتاب الإيمان. باب: أداء الخُمُس مِنَ الإيمان.

وهذه الأربع المنهي عنها: هي أوعيةٌ نهاهم عن الانتباذ فيها، لأنه يُسرع فيها الإسكار، فربما شرب منها وهو لا يشعر بذلك. «فتح البَارِي» [١/ ١٥٧ - ١٦٣].

(٢) رواه أحمد [١/ ٤٣٧]، والتِّرمذي [٢٦٥٨]، وابن ماجه في «المقدمة» [٢٣٢]، وابن حبان [٦٦]، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسنادُه حسن».

(٣) قوله: «نضَّر الله امرءاً»: دعاءٌ له بالنَّضارةِ، وهي النعمة والبهجة، يقال: نضَّره الله ونضَرَه - مثقَّلاً ومخفَّفاً - وأجودهما التخفيف، وقولُه: «أوعى»: وعيتُ الشيء أَعِيْه: إذا حفظتُه وفهمتُه، وفلانٌ أوعى من فلان، إذا كان أحفظ منه. «جامع الأصول» [٨/ ١٨] ط. دار الفكر.

العاملين بها، آمين.

ومن فوائد الحفظ أيضاً:

٨ - أنَّ حفظ القرآن وكثرة مدارسته وتكرارِه يقوِّي ذاكرة حافظيه ويشحذ أذهانهم، فتراهم: أسرع الناس بديهة، وأكثرهم حفظاً، وأشدهم فهماً واستيعاباً، وهذا لا يحتاج إلى برهان أو دليل، وإنما يكفي أن تنظر في أحوال طلاب المدارس والمعاهد والجامعات؛ لتجد أن الحافظين للقرآن منهم، أتقن لدروسهم وأحفظ من غيرهم، وهم على الدوام في طليعة المتفوقين، مع أن الجميع في سنٍّ متقاربة وظروف بيئية واجتماعية متشابهة(١).

٩- أنَّ الحافظ لكلام الله عز وجل وسنَّة النَّبيِّ ﷺ، متميِّزٌ بين الناس

---

(١) وقد رَوَى ابنُ عساكر عن أنس ﷺ أنه قال: «لا يخرَفْ قاريء القرآن». وقال عبد الملك بن عمير - كما في «النشر الكبير» لابن الجزري [١/ ٤] -: «أبقى الناس عقولاً قرَّاء القرآن». وعند الحاكم [٤٠٠٦] في تفسير سورة التين - وعزاه في «الدر المنثور» [٦/ ٦٢١] للبيهقي في «شُعب الإيمان» - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: «مَنْ قرأ القرآن لَمْ يُرَدَّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً، وذلك قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾ [التين: ٥ - ٦]، قال: إلا الذين قرؤوا القرآن». قال الحاكمُ: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه».

بأخلاقِه الحسنة، وسلوكِه القويم، وتواضعه الجمِّ، وعلاقاته الطيبة مع الناس جميعهم؛ أهله وأقاربه، وأساتذته ومعلِّميه، وأصدقائه وزملائه[1]، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩].

١٠- أنَّ الحافظ لكلام الله عز وجل، والمكثر من تلاوته وتكراره؛ عنده من الفصاحة والبيان، والبلاغة وحسن الصياغة، وقوة التعبير وسلامته، ما ليس عند غيره من الناس، فهو أفصح الناس عبارةً، وأطلقهم لساناً، وأسلمهم نطقاً.

وصدق الله حيث قال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

١١- ومما يدل على فضيلة الحفظ وشرف أهله: أن النَّبيَّ ﷺ كان يبعث القُرَّاء من أصحابِه إلى القبائل ليعلِّموهم دين الله تعالى، لأنهم بما معهم من القرآن أقدر الناس على القيام بهذه المهمة، ومن هؤلاء الصحابة: السبعون الذين استشهدوا في وقعة (بئر معونة)، وكان قد غدر بهم

---

(١) هذا هو الواجب على حملة القرآن ودارسي علوم الشرع، أما ما نراه في هذه الأيام من كثير من حملة القرآن وطلبة العلم، من تحلّلٍ وفسوقٍ ومجون، وحسدٍ وكبرٍ وغرور، واتخاذ الدين وسيلةً للكسب والمعاش؛ فهذا شذوذٌ عن الأصل الواجب أن يكونوا عليه. وانظر هنا: فصل (٤): «آداب حامل القرآن».

المشركون وقتلوهم جميعاً[(١)].

١٢- ولا يقتصر ثواب حافظ القرآن والعامل به عليه وحده، بل يتعدَّاه إلى والديه؛ ففي حديث بُريدةَ الأسلميِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قرأ القرآن وتعلَّمه وعمل به أُلبِس يوم القيامة تاجاً من نورٍ ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتانِ لا تقومُ لهما الدنيا، فيقولان: بِمَ كُسينا هذا؟ فيُقال: بأخذ ولدكما القرآن»**[(٢)].

وإنما نالَ الوالدان هذا التكريم الإلهي، لأنهما أسهما في توجيه ولدهما إلى حفظ القرآن وتلاوتِه وتعلّمه منذ صغرِه، وفي هذا ترغيبٌ للآباءِ والأمهات وغيرهما من أولياء أمور الصغار، لتوجيه الأولاد إلى حفظ القرآن وحثِّهم على ذلك منذ الصغر.

وبعد: فهذا الذي ذكرتُ لك، هو بعض فوائد الحفظ وفضائله بالنسبة للقرآن خاصَّةً، ولغيره مِن علوم الشريعة عامَّةً، وما تركتُه أكثر مما ذكرتُه، واللبيبُ تكفيه الإشارةُ.

---

(١) «كيف نتعامل مع القرآن» [ص ١٣٤].

(٢) رواه الحاكمُ [٢١٣٢] في فضائل القرآن، وقال: «هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي [١/ ٥٦٧]، وأخرجه أحمد [٥/ ٣٤٨]، وابن ماجه [٣١٨١] مختصَراً.

ولعلَّ فيما ذكرتُه ما يشحذ همم الصادقين للإقبالِ على كتاب الله عزَّ وجلَّ، ثُمَّ على كتب السنَّة وأقوال أهل العلم بالحفظ والدراسة والتحصيل والاستيعاب.

واللهَ أسأل؛ أن يوفِّق كل طالبِ علمٍ لِمَا يحبُّه سبحانَه ويرضاه، آمين.

* * * * *

المبحث الثاني: معنى الحفظ وسهولته وحكمه

أولاً: معنى الحفظ:

الحفظ لغةً: ضد النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة.

قال ابن منظور: المحافظة: المواظبة على الأمر، وفي مُحكم التنزيل: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

أي: صلّوها في أوقاتِها، وحفظتُ الشيء، أي: استظهَرتُه شيئاً بعد شيء(١).

ويقال: حمل فلانٌ القرآنَ على ظهر لسانه، كما يقال: حفظَه عن ظهر قلبِه... تقول: قرأت القرآن عن ظهر قلبي، أي: قرأتُه من حفظي، وظهرُ القلبِ: حِفْظُه عَنْ غير كتاب. وقد قرأه ظاهراً واستظهرَه، أي: حفظَه وقرأه ظاهراً (٢).

ومادة «حفظ» جاءت في القرآن بمعانٍ متعدِّدةٍ، منها: الصيانةُ

---

(١) انظر: «لسان العرب» [٧/ ٤٤١] مادة «حفظ».

(٢) انظر: «لسان العرب» [٤/ ٥٢٦] مادة «ظهر».

والرعاية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، أي: نصونُه ونرعاه.

ومنها: الإمساك عن المحرَّم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]، أي: أمسَكوا فروجَهم عن الحرام.

وقال في «مختار الصحاح»: «حَفِظَ» الشيء - بالكسر - حِفظاً: حَرَسَه، وحفظَه أيضاً: استظهَرَه، و«التحفّظ»: التيقّظ وقلَّة الغفلة، و«تحفَّظ» الكتاب: استظهرَه شيئاً بعد شيء[1].

وقيل للإمام أحمد - رحمه الله -: ما الحفظ؟ قال: «الإتقان هو الحفظ».

وقال عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله -: «الحفظ الإتقان».

والحفظ لا يكون إلا بأمورٍ ثلاثة:

١ - شدة العناية.

٢ - وكثرة الدرس، فإذا لَمْ يكن درس لَمْ يكن حفظ.

٣- طول المذاكرة، فإذا لَمْ تكن مذاكرة قلَّت منفعة الدرس[2].

---

(١) انظر: «مختار الصحاح»، مادة «حفظ»، [ص ١٨٩]. ط. دار الفكر.

(٢) انظر: «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ٣٥].

وقيل للبخاري- رحمه الله -: هل تتناول دواءً للحفظ؟ فقال: «لا أعلم من ذلك شيئاً إلا: نهمة الرجل، ومداومة النظر».

وحفظ القرآن يفيد أموراً ثلاثة:

الأول: ضبط الصورة المدركة في الذهن، بحيث يمكن أداؤها من غير كتاب.

الثاني: المواظبة والمعاهدة للمحفوظ.

الثالث: عدم النسيان.

والحفظ اصطلاحاً: اصطلاح حافظ القرآن أو حامل القرآن لا يكاد يُطلق إلا على مَنْ حفظ القرآن كله وضبط الحفظ ضبطاً يؤهِّله لأدائه إلى غيرِه على قواعد التلاوة وأُسُسِ التجويد المعروفة، فإن حفظَه ثُمَّ أهملَه وأغفَل مراجعتَه حتى نسيَه، أو نَسيَ بعضَه أو جلَّه؛ فمثل هذا لا يسمَّى حافظاً، ولا يستحق لقب (حامل القرآن)، لأنه إذا صحَّ رواية الحديث بالمعنى، وجاز تحوير بعض الشعر والنص الأدبي - مثلاً -؛ فمثل هذا ممتنعٌ في مجال القرآن الكريم[1].

---

(١) «كيف تحفظ القرآن الكريم» د. عبد الرب نواب الدين [ص ٤٠ - ٤١]، ط(٢) مكتبة ابن القيِّم. المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.

ثانياً : سهولة حفظ القرآن:

القرآن هو كلام الله عز وجل، خالق هذا الكون، ومدبِّر شؤونه، ومُحكم نظامه، تحدَّى به سبحانه الثَّقلَيْن؛ الإنس والجانَّ أن يأتوا بعشرِ سوَرٍ من مثلِه؛ بل بسورةٍ من مثلِه؛ فعَجَزُوا.

قال سبحانه: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [يونس: ٣٨].

والقرآن كتابٌ عظيمٌ جليل، لو نزَل على الجبال الصماء لاندكَّت من جلالِ الله تعالى والخوف منه والخشية له.

قال سبحانه: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ** ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا** ﴾ [الرعد:٣١]، والمعنى: لكان هذا القرآن.

والقرآن وصفَه الله تعالى بقَولِه: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ [المزمل:

٥]، ووصفَه بالعظمةِ فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٧٨].

وعلى الرّغم من ذلك كله، فإن الله سبحانه - رحمةً منه بعبادِه، وتفضُّلاً عليهم وإكراماً لهم - يسَّر حفظ القرآن وتلاوته وفهمه، وتدبره واستيعاب معانيه، ولولا أن الله سبحانه يسَّره لما استطاع إنسانٌ قراءتَه؛ فضلاً عن حفظِه ودراستِه.

قال الحافظُ ابن كثير - رحمه الله - في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]: «أي: هذا القرآن آياتٌ بيِّنةٌ واضحةٌ في الدلالةِ على الحقِّ أمراً ونهياً وخبراً، يحفظِه العلماء، يسَّره الله عليهم حفظاً وتلاوةً وتفسيراً، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]» [(١)].

وقال: «ولأنه محفوظٌ في الصدور، ميسَّرٌ على الألسنة، مهيمنٌ على القلوب، معجِزٌ لفظاً ومعنىً، ولهذا جاء في الكتب المقدَّسة في صفة هذه الأمة: أنَّ أناجيلَهم في صدورهم...» [(٢)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٤٠٣].

(٢) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٤٠٣].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧ – ٢٢ – ٣٢ – ٤٠]: «أي: سهَّلْنا لفظه ويَسَّرْنا معناه لمن أراده؛ ليتذكر الناس كما قال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ – [ص: ٢٩] – ، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ – [مريم: ٩٧] – .

قال مجاهد: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ يعني: هوَّنَّا قراءته، وقال السدي: لولا أن الله يَسَّرَهُ على الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل...

وقوله: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي يسر الله حفظه ومعناه؟»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾: «أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظَه للحفظ والأداء، ومعانيَه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظاً، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيراً .

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٤/ ٢٦٦].

فكل مَنْ أقبل عليه، يسر الله مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه.

والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون، من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة.

ولهذا كان علم القرآن حفظاً وتفسيراً أسهل العلوم، وأجلَّها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أُعين عليه.

وقال بعض السلف عند هذه الآية: «هل من طالب علم فيُعان عليه؟»، ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾»[1].

وفي تفسير الجلالين: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ «أي: سهَّلْناه للحفظ، وهيَّأْناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: هل من متَّعظ به، حافظ له؟ والاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتَّعظوا به، وليس يُحفظ من كتب الله عن ظهر قلب غيرُه».

وقال القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي- رحمه الله - [ت: ٥٤٦هـ]: «قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾،

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» [٧/ ٢٣٢]، ط. الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾، أي: علم معانيه، والعمل به، والقيام بحقوقه ثقيل: فمال الناس إلى المُيَسَّر - يعني الحفظ والتلاوة - وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم»[١].

وقال الإمام القرطبي - رحمَه الله -: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ «أي: سهَّلناه للحفظ، وأعنَّا عليه مَنْ أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيُعان عليه»[٢].

قال الإمام ابن الجزري - رحمَه الله -: «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله؛ إلا نظراً لا على ظهر قلب.

ولَمَّا خصَّ الله تعالى بحفظه مَنْ شاء من أهله، أقام له أئمةً ثقاتٍ تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقَّوْه من النَّبيِّ ﷺ - حرفاً حرفاً- ولم يهملوا منه حركة ولا سكوناً»[٣].

---

(١) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ط. دار الكتب العلمية (١/ ٣٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» [١٧/ ١٣٤].

(٣) «النشر في القرءات العشر» [١/ ٦].

وقال الإمام الماوردي - رحمَه الله - «من إعجازه - أي: القرآن - تيسيره على جميع الألسنة، حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ودار به لسان القبطي الألكن، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به، وما ذاك إلّا بخصائص إلهية فضّله بها على سائر كتبه»[١].

ثالثاً : حكم تَعَلُّم القرآن وحفظه:

هل يجب حفظ القرآن كاملاً على كل أفراد الأمة؟ أو يجب حفظ بعضِه دون بعض؟ أو أن ذلك ليس بواجب أصلاً؟

صرَّح العلماء - رحمَهم الله - بأن حفظ القرآن واجب على الأمة في مجموعها؛ بحيث لا ينقطع عدد التواتر في حفَّاظه، ولا يتطرَّق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ سقط الإثم عن باقي الأمة، وإلا فالكل آثم[٢].

قال الإمام الزركشي - رحمَه الله -: «قال أصحابنا: تعليم القرآن فرض كفاية، وكذلك حفظه واجب على الأمة. والمعنى فيه - كما قال الجويني - ألاَّ ينقطع عدد التواتر فيه، ولا يتطرَّق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ سقط عن الباقين، وإلا فالكل آثم. فإذا لَمْ يكن في البلد

---

(١) «أعلام النُّبوَّةُ» لأبي الحسن الماوردي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٠٩هـ [ص ٨٦].

(٢) «الدر المختار» [١/ ٥٣٨]، و «الإقناع» [١/ ١٤٨]، و«منتهى الإرادات» [١/ ١٠٤].

أو في القرية مَنْ يتلو القرآن أَثِموا بأسرِهم، وإذا كان هناك جماعةٌ يصلُحون للتعليم وطُلب من بعضِهم وامتنَع، لَمْ يأثم في الأصح - كما قال النَّوويُّ في «التبيان» -... وصورة المسألة: فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير، فإن كانت تفوت لَمْ يَجُز الامتناع»[1].

هذا بالنسبة لحفظ القرآن كاملاً، أما حفظ بعضه؛ كالفاتحة- ونحوها من السور التي يقرؤها المسلم في صلاتِه- فهو فرض عين على كل مسلم؛ إذ لا تصح الصلاة بغير الفاتحة؛ للحديث: «**لا صلاة لمن لَمْ يقرأ بفاتحة الكتاب**»[2].

ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والصلاة واجبة، ولا تتم إلا بالفاتحة ومقدار ما يجزئ بعدها- عند من يقول بوجوبه- فيجب حفظ ذلك على كل مكلف، وأما سوى ذلك فحفظه مُسْتحبٌ بالإجماع.

جاء في حاشية «الروض المربع»: «يستحب حفظ القرآن إجماعاً، وفيه فضلٌ عظيم، وحفظه فرض كفاية إجماعاً...ويجب منه ما يجب في الصلاة اتفاقاً»[3].

---

(١) انظر: «البرهان» [١/ ٤٥٦]، ط. دار الفكر عام ١٤٠٠هـ.

(٢) رواه البخاري [٧٥٦]، ومسلم [٣٩٤] من حديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعاً.

(٣) «حاشية الروض المربع» لابن قاسم [٢/ ٢٠٦].

ومن أتمَّ حفظ القرآن كاملاً أو أتمَّ حفظ بعضه؛ فإنه يجب عليه المداومة على حفظه وعدم تعريضه للنسيان، وقد ذهب كثير من المفسِّرين إلى أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠]: قراءة القرآن بعينها دون الصلاة؛ أي: دراسة القرآن ليحصل الأمن من النسيان[(١)].

ولقد كان للأمة الإسلامية - في مجموعها - صفحات وضَّاءة في مجال حفظ القرآن وتحفيظِه، وتعلّمه وتعليمه، وتجويده وتفسيره؛ غير أننا نلحظ في عصرنا الحاضر؛ انصراف الهمم عن تعلم القرآن وتعليمه، وإعراض الكثيرين الكثيرينَ عن ذلك كلَّ الإعراض، مما يجعل العنايةَ بالقرآن والإقبال عليه - والحال هذه - آكدَ وألزمَ.

وتأمل أُخَيَّ تلك الكلمات التي كتبها بمداد قلبه - لا قلمه - ذلك الأديب الأريب: مصطفى صادق الرافعي [ت: ١٩٣٧م] يصف فيها حال شباب المسلمين؛ وكيف هم مع القرآن؛ كلام الله رب العالمين.

يقول - رحمَه الله -: «نحن نأسف اليوم أشدّ الأسف وأبلغَه، بل أحراه أن يكون همًّا يعتلج في الصدر، ويستوقد في الضلوع، إذ نرى نشء هذه الأيام قد انصرفوا عن جمع القرآن واستيعابه، وإحكامه قراءةً وتجويداً؛ فلا يحفظون

---

(١) «مفاتيح الغيب» للرازي [١٥/ ١٨٧]، ط (٢). دار الفكر.

منه - إن حفظوا - إلا أجزاء قليلة على أنهم ينسَوْنها بعد ذلك، ثُمَّ يشب أحدهم كما يشب قرن الماعز، ينبت على استواء، ولا يثبت إلا على الْتواء، ويخرج وقد عقَّ لغتَه، وأنكر قومَه، وانسلخ من جلدته، واستهان بدينه، وخرج من آدابه، ولا يستحي من ذلك أن يقول: هأنذا فاعرفوني! قد عرفناك - أصلحك الله - فهل أنت إلا أدب مسلوب، ولسان مقلوب، وضمير مغلوب، ورأس ارتقى؛ حتى أنكر في النسب أعطافَه، وجلدة من جلود العلم، ولكن حشوها خرافة»[1].

* * * * *

(١) «إعجاز القرآن» للرافعي [ص ٢٤٣]. ط. دار الكتاب العربي.

المبحث الثالث: فيما يبدأ به في الحفظ

مما لا شك فيه أن أول ما ينبغي تقديمه في الحفظ والدراسة إنما هو كلام الله عز وجل؛ فهو أصل الأصول، والمعوّل عليه في جميع الأمور، وهو مرجع أساس لسائر المناهج والعلوم؛ ولهذا كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - لا يبدؤون إلا به، فإذا أتقنوه حفظاً وفهماً ودراسةً، انتقلوا إلى سائر العلوم الشرعية من الحديث والفقه والتفسير وغيرها.

قال الإمام ابن الجوزي - رحمَه الله -: «أول ما ينبغي تقديمه، مقدمة في الاعتقاد، تشتمل على الدليل على معرفة الله سبحانه، ويذكر فيها ما لا بد منه، ثُمَّ يعرف الواجبات، ثُمَّ حفظ القرآن، ثُمَّ سماع الحديث، ولا بد من حفظ مقدمة في النحو يقوَّم بها اللسان، والفقه عمدة العلوم، وجمع العلوم ممدوح إلا أن أقواماً أذهبوا الأعمار في حفظ النحو واللغة، وإنما يُعرَف بها غريب القرآن والحديث، وما يفضل عن ذلك ليس بمذموم، غير أن غيره أهم منه.

وإن قوماً أذهبوا أزمانهم في علوم القرآن فاشتغلوا بما غيرُه أصلح منه من الشواذِّ المهجورة، والعمر أنفس من تضييعه في هذا.

وإن قوماً أذهبوا أعمارهم في طرق الحديث، ولعمري إن ذلك حسَن، إلا أن تقديم غير ذلك أهم... » لخ [(١)].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر – رحمه الله-: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب، لا ينبغي تعدِّيها، فمن تعداها جملةً فقد تعدى سبيل السلف رحمَهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضلَّ، ومن تعدَّاه مجتهداً زلَّ.

فأول العلم: حفظ كتاب الله عز وجل، وتفهُّمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكني أقول: إن ذلك شرطٌ لازمٌ على مَنْ أحبَّ أن يكون عالماً فقيهاً ناصباً نفسه للعلم، ليس من باب الفرض.

وقال أيضاً: القرآن أصل العلم، فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى مايستعين به على فهمه من لسان العرب، كان ذلك له عوناً كبيراً على مراده منه، ومن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه، ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك، وهو أمر قريبٌ على من قرَّبه الله عز وجل عليه، ثُمَّ ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فبها يصل الطالب إلى مراد الله عز وجل في كتابه، وهي

---

(١) قاله في «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ» [ص ٤٧].

تفتح له أحكام القرآن فتحاً.

ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الثقات الحفاظ، الذين جعلهم الله خزائن لعلم دينه، وأمناء على سنن رسوله ﷺ »[(١)].

وكان كثير من السلف - رحمهم الله - يرفضون تدريس الحديث - وغيره من العلوم - للحَدَث؛ حتى يحفظ القرآن أولاً.

فعن الوليد بن مسلم قال: «كنا إذا جالسنا الأوزاعيَّ فرأى فينا حَدَثاً، قال: ياغلام، قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم. قال: اقرأ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [النساء: ١١] الآية، وإن قال: لا، قال: اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم»[(٢)].

وكان يحيى بن يمان إذا جاءه غلام أمرد استقرأه رأسَ سبعين من الأعراف، ورأس سبعين من يوسف، وأول الحديد؛ فإن قرأها حدَّثه، وإلا لَمْ يحدثه.

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» [٢/ ١١٢٩، ١١٣٠] ط. ابن الجوزي.

(٢) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ٧١]، وأمره بقراءة هذه الآيات دون غيرها لأنها مِنَ السور الطوال، وعادة الأحداث حفظ السور القصار دون الطوال، ولأنها مِنَ الآيات التي لا يتقنها إلا لبيب.

وقال الإمام ابن خزيمة محمد بنُ إسحاقَ: «استأذنتُ أبي في الخروج إلى قتيبة [لطلب العلم وسماع الحديث] فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، قال: فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصَلِّيَ بالختمة [(١)]، ففعلتُ، فلَمّا عيَّدنا أذن لي».

وهكذا كان شأن السلف الصالح جميعهم رحمَهم الله تعالى.

فهذا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمَه الله – وهو إمام الدنيا في الحفظ ؛ حفظ القرآن وعمره أقل من عشر سنين، ثُمَّ طلب الحديث ورحل لأجله في الأمصار.

وهذا خاتمة الحفاظ الإمام الحافظُ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حفظ القرآن كله وهو ابن تسع سنين، وبدأ يبحث في التجويد والتفسير وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

وهذا شيخ الحنفية تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي حفظ القرآن وهو صغير مميِّز، وقرأه بالقراءات العشر، وله عشرة أعوام.

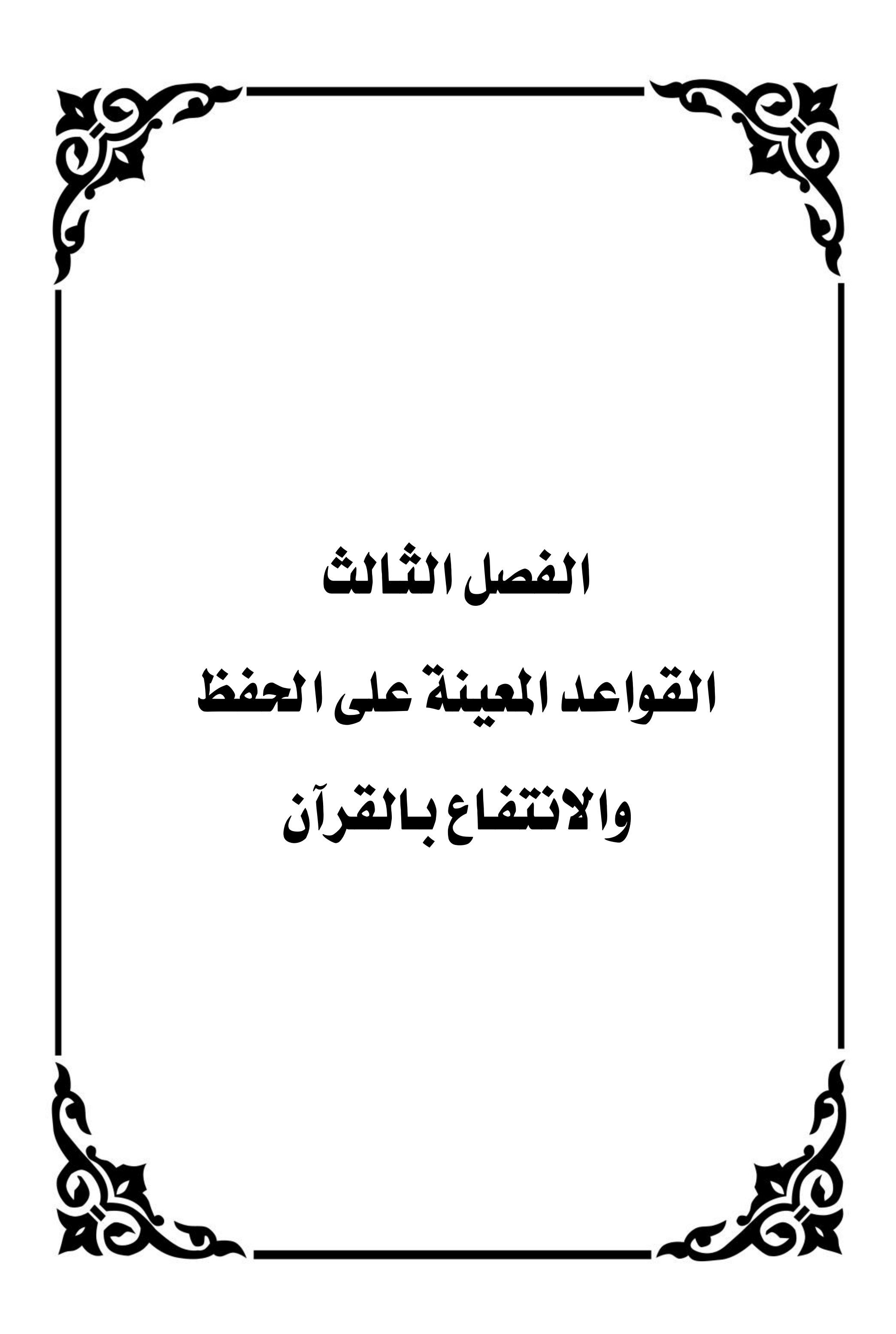
---

(١) فيه إشارة إلى أن الصلاة بالمحفوظ مِنَ القرآن مما يثبِّته ويقويه، وانظر هنا قاعدة (١١): «قيام الليل بالمحفوظ».

واقرأ تراجم القوم، تجد من ذلك الشيء الكثير.

فالله أسأل أن يَمُنَّ علينا بسلوك طريقهم والسير على منوالهم، وأن يجمعنا وإياهم في جنات النعيم، فإنه سبحانه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



الفصل الثالث

القواعد المعينة على الحفظ والانتفاع بالقرآن

في هذا الفصل أذكر لك أخي القاريء الحبيب بعض الأمور التي تساعد مَنْ أراد الحفظ على الحفظ، سواء أراد حفظ القرآن أو السنَّة، أو ما يعين على فهمهما من أقوال أهل العلم رحمهم الله.

وهذه الأمور بمثابة القواعد التي ينبغي على مَنْ أراد الحفظ أن يراعيَها ويلتزمَها.

وقد اطَّلعتُ على بعض ما كتبه القُدامى والُمحْدَثون في موضوع الحفظ، واستقرأت أحوال بعض الحفاظ؛ فخلصت من ذلك إلى ستٍّ وعشرين قاعدة معِينة على الحفظ لمن أراده.

«وهاأناذا»[1] أسردها عليك واحدةً تلو الأخرى مع إجمال الكلام على كلٍ، وأسأل الله أن يجعلني وإياك مِن ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨].

* * * * *

(١) وتكتب أيضاً: «هأنذا» بحذف الألف بعد هاء التنبيه كـ«هذا، وهذه، وهؤلاء...»، كما هو مقرر في قواعد الخط والإملاء الحديثة، وهل يقال: «هاأنا»، أو: «هاأناذا» فيه بحث، انظره في: «التحرير والتنوير» [١/ ٥٨٦ - ٥٨٨].

القاعدة الأولى:

الإخلاص لله تعالى

وهذه القاعدة هي أهم قاعدة في الكتاب كله؛ بل هي أَهمُّ ما في هذا الدين وأعظمه، وهي أهم ماأمر الله به عباده في فترة الابتلاء والامتحان في هذه الحياة الدنيا، وهي أَهمُّ أسباب قبول الأعمال عند الله تعالى؛ فبدونها لا يقبل الله من عبده صرفاً ولا عدلاً، بل يجعل عمله هباءً منثوراً، وهي سرُّ التوفيق والسداد والفلاح والرشاد، وهي سبب الفتح من الله على عبده في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا** ﴾[الكهف: ١١٠] .

وفي هذه الآية شرطان لقبول العمل؛ فلا يقبل العمل إلا بتوفرهما فيه:

الأول: صلاح العمل ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا** ﴾، ولا يكون العمل صالحاً إلا باتباع سنة النَّبيّ ﷺ وعدم الابتداع في الدين.

والثاني: إرادة الله وحده بالعمل ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، وهذا هو الإخلاص. فالإخلاص والمتابعة شرطان أساسان في قبول الأعمال جميعها[1].

[وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

قال الفضيل بن عياض- رحمه الله-: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: ياأبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله.

---

(١) وهذان الشرطان تشملهما وتدل عليهما أيضاً: شهادة التوحيد التي يلوكها جُلُّ المسلمين في هذا الزمان بألسنتهم، ولا يفهمون معناها ومدلولها فـ «لا إله إلا الله» إفراد لله تعالى وحده بالقصد والعبادة، و«محمد رسول الله» إفراد للنبي ﷺ وحده بالاتباع.

والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته .

وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أُرِيدَ بها غير وجه الله][1].

وحديثنا في هذه القاعدة إنما هو عن الإخلاص لله تعالى؛ وأتناوله من خلال مباحث خمسة:

---

(١) «مدارج السالكين» [٢/ ٨٨، ٨٩]ط. دار الكتاب العربي.

المبحث الأول: الترغيب في الإخلاص والتحذير من ضِدّه

تكاثرت نصوص الشرع المطهّر في الأمر به والترغيب فيه، والتحذير من ضِدّه، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله جل وعلا: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]، وقال جل شأنه: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧][1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ

---

(١) رَوَى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن جريج قال: «كان أهل الجاهلية ينضحون البيوت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النَّبيِّ ﷺ فنحن أحق أن ننضح، فنزلت هذه الآية ».

=

لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]، وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤].

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هُرَيْرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك، لِمَا رأيت من حِرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»[١].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُه لدنيا يصيبها، أو امرأةٍ يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٢].

«تفسير ابن كثير» [٣/ ٢١٧]. ومعنى الآية: لن يصل إلى الله سبحانه إلا ما أريد به وجهه فيقبله ويثيب عليه، بخلاف العمل الذي تعرّى عن النية الصحيحة فلا يقبل من صاحبه ولا يثاب عليه.

(١) رواه البخاري [٩٩]، كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث.

(٢) رواه البخاري [رقم ١] في بدءِ الوحي، وذكرَه في ستة مواضع أخرى، ومسلم [١٩٠٧]، وأحمد [١/ ٢٥، ٤٣]، وأبو داود [٢٢٠١]، والتِّرمذي [١٦٤٧]، والنسائي [١/ ٥٩

=

والنية هي القصد والإرادة، فليراقب كلٌّ نفسَه، هل أراد بحفظِهِ للقرآن، أو طلبه للعلم، أو قيامه الليل، أو أي عملٍ كان، هل أراد به وجه الله تعالى؟ أو أراد مدح الناس وثناءهم، والنجاة من ذمِّهم؟!.

هل أراد بعمله دخول الجنان، والنظر إلى وجه ربه الرحمن، والتنعُّم بالحور العين، ومجاورة النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين؟ أو أراد بعملِهِ مالاً أو منصباً أو جاهاً أو أي مقصدٍ آخر من المقاصد الدنيويَّة الدَّنيئة؟! .

فليصحِّح كلٌّ عملَه قبل الشروع فيه، ولينظر ماذا أراد به، ولتكن نيته لله خالصةً.

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: «إنما يحفظ المرءُ على قدر نيَّته»، وقال غيره: «إنما يُعطى الناس على قدر نياتهم».

وقد يُرزَق غيرُ المخلص – من المرائين والمنافقين– العلم والحفظ إلا أنَّ ذلك من الله استدراجٌ له، وليس له عند الله في الآخرةِ نصيبٌ إلا النار، وبئس المصير والقرار.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا

– ٦٠]، وابن ماجه [٤٢٢٧].

وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

وقال جل وعز: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾[الإسراء: ١٨ - ١٩].

وقال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وعن محمود بن لبيدٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أخوَف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة - إذا جزى العبادَ بأعمالهم -: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟!**»(١).

فمن أراد الدنيا ونعيمَها وملذاتها وآثرَها على نعيم الآخرة؛ فإنه قد

---

(١) رواه أحمد [٥/ ٤٢٨]، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٢): «رجاله رجال الصحيح»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ١٢٠]، رقم [٣٢] ط. مكتبة المعارف.

ينالها، ولكنه حينئذٍ مطالَبٌ بأن يعدَّ نفسَه للنار - والعياذ بالله - أياً كان عملُه!

فلو كان مجاهداً للكفار، وأزهقت روحه في القتال، ولم يكن لله مخلصاً؛ فلينتظر النار!

ولو كان حافظاً للقرآن، ومتفقِّهاً في شريعة رب الأنام، وداعية إلى الله وإلى الإسلام، ولم يكن لله مخلصاً؛ فلينتظر النار!

ولو كان من الأثرياء، وأنفَق كلَّ ماله على المساكين والفقراء، وتعليم المسلمين شريعة الله السمحاء، ولم يكن لله مخلصاً؛ فلينتظر النار!

فعن أبي هريرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة، رجلٌ استشهد فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكنك قاتلت لأن يُقال: فلانٌ جريء، فقد قيل، ثُمَّ أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقيَ في النار.**

ورجلٌ تعلم العلمَ وعلَّمه وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمَه، فعرفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ فيك العلم وعلَّمتُه، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبتَ، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأتَ القرآن ليقال: قاريء، فقد قيل. ثُمَّ أُمرَ به فسُحب على وجهه حتى أُلقيَ في النار.

ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتِيَ به، فعرَّفه نعمَه،

فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحب أن يُنفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليقال: هو جوادٌ، فقد قيل، ثُمَّ أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقيَ في النار»[١]، وفي لفظ التِّرمذي وابن حبان: «**يا أبا هريرة؛ أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعَّر بهم النار يوم القيامة**».

فانظر إلى أعمالهم ما أجملَها! وانظر إلى مصيرهم ما أقبحَه! وما ذاك إلاَّ بفساد قلوبهم، وسوء ضمائرهم، وخبث نواياهم، وعدم إخلاصهم لله في أعمالهم.

ولله درُّ ابن المبارك - رحمَه الله - حيث يقول: «**رُبَّ عملٍ عظيم حقَّرَتْه النيَّةُ، وربَّ عملٍ حقيرٍ عظَّمَته النيَّة**».

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سمَّع الناس بعمله، سمَّع الله به مسامعَ خلقِه، وصغَّره وحقَّره**»[٢].

---

(١) رواه مسلم [١٩٠٥]، والنسائي [٦/ ٢٣]، والتِّرمذي [٢٣٨٢]، وابن حبان [٢٥٠٢]، والبيهقي في «السنن» [٩/ ١٦٨].

(٢) قال الإمام المنذري في «الترغيب والترهيب» [٣١]: «رواه الطبراني في الكبير بأسانيد أحدها صحيح، والبيهقي»، ورواه أحمد كذلك [٢/ ١٦٢، ١٩٥]، وصححه الألباني في =

فمن عمل عملاً في الخفاء، وكان فيه لله مخلصاً، ثُمَّ تحدَّث به رياءً وسمعةً، فهذا مصيرُه وجزاؤه! فكيف بمن قصَد الرياء بعمله ابتداءً ؟! .

ولهذا كان السلف الصالح - رحمَهم الله - يكتمون حسناتهم كما يكتم أحدنا سيئاته؛ بل وأشد.

فهذا أيوب السِّخْتياني - رحمَه الله - ربما حدَّث بالحديث فيرقُّ لذلك قلبُه، وتفيض عينه، فيلتفت، فيمتخِط. ويقول: ما أشدَّ الزكام! [يُظهر أنه مزكوم لإخفاء البكاء].

وقال ابن أبي عدي - رحمه الله -: «صام داود بن هند أربعين سنةً، لا يعلم به أهله، وكان خرَّازاً يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدَّق به في الطريق ويرجع عشياً فيفطر معهم».

وقال محمد بن واسع - رحمَه الله -: «لقد أدركتُ رجالاً، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادةٍ واحدة، وقد بلَّ ما تحت خدِّه من دموعه؛ لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعُه على خده ولا يشعر به الذي إلى جانبه».

وقال سفيان الثوري -رحمه الله -: «بلغَني أن العبد يعمل العمل سراً،

«صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ١١٧]رقم[٢٥].

فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه، فيُكتب في العلانية، ثُمَّ لا يزال به الشيطانُ حتى يحب أن لو حُمِدَ عليه، فيُنسخ من العلانية فيُثبت في الرياء».

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقِهَ الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، وقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانيةً أبداً» (١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ تعلَّم علماً مما يُبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من أعراض الدنيا، لَمْ يجد عرف الجنة يوم القيامة**» (٢) يعني: ريحها.

وعن أبي أمامة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وابتُغيَ به وجهه**» (٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٢/ ٢١٢].

(٢) رواه أبو داود [٣٦٦٤]، وابن ماجه [٢٥٢]، وأحمد [٢/ ٣٣٨]، و ابن حبان [٧٨]، والحاكم [١/ ٨٥] وقال: «صحيح على شرط البخاري ومسلم»، ووافقه الذهبي، وقال الإمام النووي في «التبيان في آداب حملة القرآن»: «إسناده صحيح».

(٣) قال الإمام المنذري في «الترغيب والترهيب» [٩]: «رواه أبو داود والنسائي بإسناد =

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ألا أخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجَّال**»؟ فقلنا: بلى يا رسول الله! فقال: «**الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل فيصلي، فيزيِّن صلاتَه لما يرى من نظر الناس إليه**»[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ياأيها الناس! اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل**» قالوا: وكيف نتَّقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله! قال: «**قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمُه، ونستغفرك لما لا نعلمه**»[(٢)].

وعن كعب بن مالك ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرفَ به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله**

جيد»، وليس عند أبي داود، وإنما رواه النسائي [٦/ ٢٥]، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ١٠٦] رقم [٨].

(١) رواه ابن ماجه [٤٢٠٤]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٦٨٣٢]، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ١١٩]رقم [٣٠].

(٢) رواه أحمد [٤/ ٤٠٣]، والطبراني، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ١٢١]رقم [٣٦]: «حسنٌ لغيره»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١٠/ ٢٢٣]: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي؛ ووثقه ابن حبان».

النار»[١].

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، نادى منادٍ: مَنْ كان أشرَك في عملِه لله أحداً فليطلب ثوابَه من عنده، فإن الله أغنى الشركاءِ عن الشرك**»[٢].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الترمذي [٢٦٥٤] كتاب العلم، باب: ماجاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا. وانظر: «صحيح الجامع الصغير» [٦٣٨٢، ٦٣٨٣].

(٢) رواه التِّرمذي [٣١٥٤] وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه [٤٢٠٣] في الزهد، وابن حبان [٤٠٤] في كتاب: البر والإحسان، باب: الإخلاص وأعمال السر، وقال الشيخ شعيب: «إسناده حسن»، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٦٨١٧]، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ١٢٠] رقم [٣٣].

المبحث الثاني: بعض ما أُثر عن السلف في الإخلاص

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتُتَّخذ سنَّةً؛ فإنْ غُيِّرَتْ يوماً قيل: هذا منكرٌ، قالوا: ومتى ذلك؟ قال: إذا قلَّت أمناؤكم، وكثُرَتْ أُمراؤكم،وقلَّتْ فقهاؤكم، وكثُرَتْ قرَّاؤكم، وتُفُقِّه لغير الدين، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة»[(١)].

وقال سفيان بن عيينة – رحمه الله –: «بلغَنا عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: لو أن حمَلة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي؛ لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله، وهانوا على الناس»[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض – رحمَه الله –: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيَك الله منهما»[(٣)].

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» [١١/ ٣٥٩] موقوفاً، وروى نحوه عن علي بن أبي طالب ﷺ [١١/ ٦٠]: وزاد فيه: «وتعُلِّم العلم لغير العمل».

(٢) «كيف نتعامل مع القرآن» [ص ١٤٦].

(٣) «سير أعلام النبلاء» [٨/ ٤٢٧]، وصدق رحمَه الله: فلو فتح الإنسان على نفسه باب =

فأنت إنما تتعامل مع الله عز وجل، فليكن نظرك في كل أحوالك إليه لا إلى غيرِه، واعبده كأنك تراه فإن لَمْ تكن تراه فإنه يراك[١].

وحينئذٍ: لا يضيرك إذا مدحك الناس أو ذمُّوك، لا يضيرك إذا سخط عليك أهل الأرض جميعهم، في سبيل إرضاء ربك ومولاك؛ ولهذا قيل في تعريف الإخلاص[٢]: هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقيل: أن لا تطلب لعملك شاهداً غير الله.

وقيل: تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب.

وقال سهل بن عبد الله التَّسْتُري - رحمه الله -: «الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة».

ولما قيل لسهل بن عبد الله التَّسْتُري: أَيُّ شيء أشد على النفس؟ قال:

ملاحظة الناس، والاحتراز من طرق ظنونهم لانسدَّ عليه أكثر أبواب الخير، وضيَّع على نفسِه شيئاً عظيماً من مهمات الدين، وليس هذا دَيدَن الصالحين، ولَمْ تكن هذه طريقتُهم.

(١) وهذا هو الإحسان، وهو أعلى مراتب هذا الدين، ففي حديث جبريلَ الشهير لَمَّا سأل النَّبيَّ ﷺ عن الإحسان قال له: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لَمْ تكن تراه فإنه يراك**» رواه البخاري [٥٠]، ومسلم[٩].

(٢) قال ابن فارس: «الخاء واللام والصاد أصل واحد مطَّرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه». «معجم مقاييس اللغة» [٢/ ٢٠٨].

الإخلاص، إذ ليس لها فيه نصيب[١].

وقال ذو النون: «ثلاثٌ من علامات الإخلاص: استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال، واقتضاء ثواب الأعمال في الآخرة» [٢].

وقيل: المخلص مَنْ يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

وقيل: مَنْ شاهد في إخلاصه الإخلاص، فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

وقال القشيري - رحمه الله -: «أقل الصدق استواء السر والعلانية».

وقيل: إذا استوى ظاهر المؤمن وباطنه فهذا هو العدل، وإذا كان الظاهر خيراً من الباطن فهذا هو الجَوْر، وإذا كان الباطن خيراً من الظاهر فهذا هو الفضل.

وذُكر عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «للمُرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد العمل إذا أُثني

---

(١) «إحياء علوم الدين» [٤/ ٣٨١ - ٣٨٢]، ط. المكتبة التجارية، مصر.

(٢) أي: طلب ثواب الأعمال في الآخرة.

عليه»[١].

وقال الحارث بن أسد المحاسبي – رحمه الله –: «الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذرّ من حسن عمله، ولا يكره اطلاع الناس على السيئ من عمله، فإن كراهتَه لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم، وليس ذلك من أخلاق الصدِّيقين»[٢].

وقال أبو حامد الغزالي – رحمَه الله –: « فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن، أنْ لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم. فالعمل بغير نية عناء؛ والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء، وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً معموراً: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣]»[٣].

---

(١) «إحياء علوم الدين» [٣/ ٣٩٦]، ط. دار المعرفة.

(٢) أورد الإمام النووي بعض هذه الآثار في كتابه «التبيان في آداب حملة القرآن».

(٣) «إحياء علوم الدين» [٤/ ٣٦٢]، ط. المكتبة التجارية، مصر.

وقال ابن جماعة - رحمَه الله -: [حسن النية في طلب العلم، بأن يُقصَد به وجه الله تعالى، والعمل به، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعدَّه لأهله من رضوانه وعظيم فضله. ولا يُقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس، ونحو ذلك.

قال أبو يوسف - رحمَه الله -: «يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى، فإني لَمْ أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لَمْ أقم حتى أَعْلُوَهم، ولَمْ أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوَهم إلا لَمْ أقم حتى أُفتضح».

والعلم عبادة من العبادات، وقُربة من القُرَب، فإنْ خلصت فيه النية؛ قُبِلَ وزكَى، ونمَت بركتُه، وإن قُصد به غير وجه الله؛ حبط وضاع وخسرت صفقته، وربما تفوته تلك المقاصد ولا ينالها، فيخيب قصدُه ويضيع سعيُه][(١)].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» [٦٩ - ٧٠] بتصرف.

المبحث الثالث: مظاهر الإخلاص وعلاماته

من مظاهر الإخلاص وعلاماته :

١ - استواء الظاهر والباطن.

٢ - استواء المدح والذم من العامة.

٣ - نسيان رؤية الأعمال وكتمانها.

٤ - الصَّدْع بكلمة الحق وتحمُّل تبعاتها.

٥ - إيثار الحق على الخلق، فلا يداهن المخلصُ صاحبَ منصب أو سلطان رغبةً أو رهبةً، ولا يخاف في الله لومة لائم.

٦ - الإنصاف والعدل - لا سيَّما مع المخالف - وعدم الحقد أو الحسد أو التشفِّي.

٧ - قبول الحق من كل مَن جاء به؛ وإن كان دونه علماً أو سِنّاً أو جاهاً.

٨ - الفرح بقيام غيره بالدعوة إلى الله والتعليم، واهتداءِ الناس على يد غيره، وإقبالهم على فلانٍ أو فلان، إذ الغرض هداية الناس، وليس الدعوة للأشخاص.

٩- المداومة على الطاعات والصبر عليها علماً وعملاً، وتعليماً ودعوةً.

* * * * *

المبحث الرابع: ثمرات الإخلاص وفوائده

من ثمرات الإخلاص وفوائده:

١ – النجاة من عذاب الله.

٢ – أن المخلص مع المؤمنين الفائزين برضوان الله والأجر العظيم.

٣ – النجاة مِن كيد الشيطان ومكره، ونصرُ الأمة.

٤ – قبول العمل والإثابة عليه.

٥ – صرف السوء والفحشاء عن المخلص.

٦ – محبة الله وملائكته له، ووضع القبول والصيت الحسن له في الأرض.

٧ – سببٌ لحسن الخاتمة واستجابة الدعاء.

٨ – زيادة الهدى والإيمان؛ وتحبيبه للمخلص، وتبغيض الكفر والفسوق والعصيان له.

٩ – تثبيت المخلص في الدنيا وتحمُّله للشدائد والمحن، حتى يلقى الله بإيمانه.

١٠- رفع منزلته في الآخرة.

١١- سببٌ في طمأنينة القلب وراحته وسعادته.

١٢- سببٌ للنجاة من الضلال في الدنيا؛ بل وتفريج كرباتها وشدائدها عن المخلص.

١٣- سببٌ في نعيم القبر والبشارة فيه والثبات عند السؤال.

إضافة لثمرات وفوائد أخرى يصعب حصرها.. ولكلٍّ منها دليلٌ يدل عليه أو أكثر، غير أن هذا ليس موضع بسطها وبيانها.

* * * * *

المبحث الخامس: الطريق إلى تحصيل الإخلاص

من الأمور التي تؤدي إلى الإخلاص وتحققه:

١- قطع جذور الطمع عن جميع البشر، واليأس مما في أيدي الناس، وطلب ثواب العمل من الله وحده لا غير؛ وفي الآخرة، وليكن شعاره ودثاره قول الله تعالى: ﴿ **وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ** ﴾ [هود: ٢٩]، وليضع نصب عينيه: حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه مرفوعاً: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»(١).

٢- عدم الاكتراث بمدح الناس أو ذمِّهم، فأنت تتعامل مع الله لا مع الناس، فليكن نظرك في كل أحوالك إليه لا إلى غيره، واجعل الناس عندك كأنهم أحجارٌ، فمدحهم وذمُّهم لا قيمة له ولا اعتبار، وليكن غايتك

---

(١) رواه ابن ماجه [٤١٠٢]، وابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » [ص ١٤١]، والطبراني في «المعجم الكبير» [٥٩٧٢]، والحاكم في «المستدرك» [٤/ ٣١٣] وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وتعقبه الإمام الذهبي بقوله: «خالد وضّاع»، وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» [٢٥٨]:«هذا إسناد ضعيف، خالد بن عمرو؛ قال أحمد وابن معين: أحاديثه موضوعة، وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث».

ومقصودك الأسمى والأجلّ: إرضاء ربك، وتحقيق العبودية التامَّة الكاملة له؛ فهو النافع الضارُّ وحده، وقلوب أهلِ الأرض كلهم بين أصبعين من أصابعه سبحانه، ولو اجتمعوا كلُّهم على أن يضرُّوك بما لم يقدّره الله عليك، أو ينفعوك بما لم يكتبه الله لك؛ فلن يستطيعوا.

ومَن أرضى الناسَ بسخط الله؛ عاقبه الله بنقيض قصده، فأسخط عليه الناس، وغضب عليه سبحانه، ومن أرضى الله بسخط الناس، أكرمه الله برضاه، وأرضى عنه الناس. فاللهم إنا نسألك محبتك ورضاك، والإخلاص لك وتقواك. آمين.

٣- الإكثار من عبادات السِّر، ومنها: قيام الليل، والصيام، والمحافظة على الوضوء، وجعل السنن في المنزل، وكثرة الذكر والدعاء، وحفظ اللسان، وصدق التوكل، وصدقة السِرِّ، والبكاء خالياً من خشية الله... الخ؛ فعن سعد بن أبي وقاصٍ ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الله يُحبُّ العبدَ التقيَّ، الغنيَّ، الخفيّ**»[1].

٤- دوام المجاهدة والمراقبة والمحاسبة لتلك النفس؛ في كل قول وعمل، وذلك بأمور ثلاثة:

---

(١) رواه مسلم [٢٩٦٥] في الزهد، والمراد بالغنيّ: غنى النفس، فإنه هو المحبوب، وفي الحديث: «ولكن الغنى غنى النفس»، والخفيّ: الخامل المنقطع للعبادة، والاشتغال بأمور نفسه.

أ – استحضار النية في أول العمل.

ب – استصحابها في أثنائه، وتذكير نفسه بها، ومراقبتها عليها.

ج – محاسبة النفس بعد كل عمل وقول؛ وهل أرادت به وجه الله أو شيئاً آخر.

٥- مراجعة سِيَر السلف الصالح.

٦- القراءة في كتب الرقائق وأحوال الآخرة وما بعد الموت.

٧- استحضار خطورة الرياء وأضراره، وأنه سبب في بطلان أي عمل مهما كان عظيماً، فيُجعَلُ هباءً منثوراً؛ بل يكون سبباً في معاقبة صاحبه به، وهو سببٌ في زيادة ضلال المرائي وفساده، وسببٌ في ذله وصغاره وهوانه وفضيحته، وحرمانه من ثواب الآخرة، وهو سببٌ للهزيمة والخذلان.

٨- الخوف الدائم من الرياء؛ فمن خاف شيئاً بقيَ حذِراً منه فينجو، وقد ورد مرفوعاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أنهم (الذين يصومون ويتصدقون ويصلون، ويخافون أن لا يتقبل الله منهم).

(وقد أورد البخاري عن ابن أبي مليكة أنه قال: «أدركت ثلاثين من

أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه، وما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»، وقال إبراهيم التيميُّ - رحمه الله-: «ما عرضتُ قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِّباً»، وقال الحسن البصري-رحمه الله-: «ماخافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق») [(١)].

وها هو عمر بن الخطاب يسأل حذيفة - رضي الله عنهما -: «نشدتك بالله! هل سمَّاني لك رسول الله ﷺ من المنافقين؟ فيقول له حذيفة: لا، ولا أُزكِّي بعدك أحداً».

فلتكن شديد الخوف، دائم الحذر والحيطة من الرياء، وذلك إن شاء الله بداية الخلاص منه وتحقيق الإخلاص.

٩- تعميق الإيمان بأركانه الستة في القلب:

- فالإيمان بالله تعالى: بتحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة في القلب والجوارح، واستحضار معاني أسماء الله وصفاته، والتعبُّد لله بمقتضى ذلك، فإنك إذا أيقنت أن اللهَ وحده هو النافع الضار، المعز المذل، الرافع الخافض، المعطي المانع، المحيي المميت، الذي يعلم السرَّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور، وأنَّه سبحانه قويٌ جبَّار، قادرٌ قاهرٌ، وأنه غفورٌ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١/ ١٨).

رحيمٌ، رؤوفٌ ودودٌ، وأنه كريمٌ جوادٌ، وأنه لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وأنَّ خزائنه ملئى، وأمرُهُ بين الكاف والنون؛ فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ... إلى غير ذلك.

فأنت متى استحضرت ذلك وغيره – من معاني أسماء الله وصفاته – أورث ذلك في قلبك محبةً لله وتعظيماً، وخوفاً منه وإجلالاً، وإخلاصاً له ومراقبة.

– والإيمان باليوم الآخر: أن توقن بما ورد من النصوص الصحيحة، والتي تتحدث عن الموتِ وشدته، وأهواله وسكراته؛ والقبر ومافيه من ضَمَّةٍ وسؤالٍ، ونعيمٍ وعذابٍ، ثمَّ النفخ والصعق فالحشرُ، وكذا الصراط والميزان، وأهوال يوم القيامة، والجنة والنار وما فيهما، ...الخ.

فأنتَ إذا استحضرت ذلك وأيقنت به، كنتَ دائم الخوف والحذر من أن تلقى الله وهو عليك ساخط، وهذا يدفعك ولا بُدَّ؛ للإخلاص له وإفراده وحده بالقصد والعبادة، والعمل له وحده دون سواه.

وهكذا القول في باقي أركان الإيمان، فتحقيق الإيمان بها في القلب، مما يدفع صاحبه للإخلاص بإذنه سبحانه.

١٠- مصاحبة أهل التقوى والصلاح والاستقامة، ممن هم مَظِنَّةُ الإخلاص؛ فالصاحِبُ ساحب، والمرءُ على دين خليله، والجليس الصالح

كبائع المسك لن تُعدمَ النفع منه، بل هم إن شاء الله خير مُعين لك لتحقيق الإخلاص والبعد عن الرياء.

١١- معرفة ثمرات الإخلاص وفوائده، وعواقبه الحميدة في الدنيا والآخرة، وقد تقدم ذكرُ شيءٍ منها، فاستحضار ذلك مما يدفع النفس للإخلاص دفعاً؛ بإذنه سبحانه.

١٢- كتمان الأعمال الصالحة عن الناس وعدم التحدُّث بها، بل: نسيانها كأنها لَمْ تكن.

هذا ما يسَّر الله اختصاره وتسطيره، وشأن الإخلاص أعظمُ وأخطرُ وأجلُّ من أن يُبيَّن ويُجلَّى في مثل هذه السطور[1].

فاحرص أُخَيَّ على الإخلاص في جميع أحوالك وأقوالك، ولا يوسوس لك الشيطان بترك العمل، ويوهمك أنك مراءٍ وأنك غير مخلص لله فيه؛ ولكن جاهد نفسك في تحقيق الإخلاص لله مع المداومة منك على العمل.

---

(١) ما تقدم إنما هو جملٌ يسيرة في بعض ما يتعلق به، ولي بحثٌ مُتَمِّمٌ للموضوع في شرح حديث «**إنما الأعمال بالنيات**»؛ أسأل الله أن ييسِّر تمامه وطباعته، كما أسأله سبحانه أن يرزقني وإخواني وجميع المسلمين الإخلاص في شأننا كله، صغيره وكبيره، سره وعلانيته، اللهم آمين.

وقد قيل: إذا أتاك الشيطان في صلاة وقال: إنك مراءٍ؛ فزدها طولاً.

وقال حبيب بن أبي ثابت -رحمه الله-: «طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثُمَّ جاءت النية والعمل بعد».

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله».

* * * * *

القاعدة الثانية:

الاستعداد الشخصي وعلو الهمة

وفيها خمسة مباحث:

المبحث الأول: المراد بهما

أعني بالاستعداد الشخصي: أن يتوفر لمريد الحفظ الرغبةُ الصادقة في الحفظ، ويحفّزه الاهتمام، ويدفعه التطلع إلى ما أعدَّه الله في دار كرامته لمن حفظ كتابه وعمل به، مع الإخلاص لله والبعد عن الرياء... وهذه الصفات (أعني: الرغبة، والتطلع، والاهتمام، والإخلاص، وعدم الرياء)، لها دور فَعَّال في عملية (الإنجاز) أياً كان؛ دراسة واستيعاباً، أو حفظاً واستذكاراً[(١)].

وأعني بـ «علوّ الهمة»: قوة العزم والإرادة، وأنْ لا يقنع بالدون، وأن يستصغر ما دون النهاية من معالي الأمور.

* * * * *

---

(١) «كيف تحفظ القرآن» للدكتور عبد الرب نواب الدين، [ص ٤٤ - ٤٦].

المبحث الثاني: بعض أقوال السلف في علو الهمة

قال الجرجاني- رحمه الله -: «الهَمُّ: هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر، **والهمة**: تَوجُّه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره »[(١)] .

قال ابن القيم - رحمَه الله -:[و«الهمَّة» فِعْلةٌ من الهَمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصُّوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمةُ نهايتها.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمَه الله - يقول: في بعض الآثار الإلهية، قول الله تعالى: «إني لا أنظر إلى كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى همته». قال: والعامة تقول: قيمة كل امريء ما يُحسن، والخاصة تقول: «قيمة كل امريء ما يطلب»، يريد: أن قيمة المرء همته ومطلبه][(٢)].

وقال - رحمَه الله - أيضاً: [وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين «همة تُرَقِّيه» و«علم يُبصِّره، ويهديه»، فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين، أو من أحدهما: إما أن لا يكون له علم بها،

---

(١) «التعريفات» [ص ٣٢٠] ط. دار الكتاب العربي.

(٢) «مدارج السالكين» [٣/ ٥] ط. دار الكتاب العربي.

فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالماً بها ولا تنهض همته إليها؛ فلا يزال في حضيض طبعه محبوساً، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدوداً منكوساً، قد أسام نفسه مع الأنعام راعياً مع الهَمَل، واستطاب لُقيماتِ الراحة والبطالة، واستلان فِراشَ العجز والكسل...][(١)].

والحياة الطيبة إنما تُنال بالهمة العالية، والمحبة الصادقة، والإرادة الخالصة، فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة، وأخسُّ الناس حياةً، أخسُّهم هِمَّةً، وأضعفهم محبة وطلباً، وحياة البهائم خير من حياته، كما قيل:

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومٌ والرَّدَى لك لازمُ
وتكدحُ فيما سوف تُنكِرُ غِبَّهُ ... كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ
تُسَرُّ بما يفنى، وتفرحُ بالمُنى ... كما غُرَّ باللَّذاتِ في النوم حالمُ

والهمة رزقٌ من الله تعالى، والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ومن حكمته سبحانه أن فاضل بين خلقه في قواهم العملية، كما فاضل بين قواهم العلمية.

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظمُ في عين الصغير صِغارها ... وتصغُر في عينِ العظيم العظائمُ

---

(١) «مفتاح دار السعادة» [١/ ٢١٤] ط. دار ابن عفّان.

ويدلّ على تفاوت الهمم أن من الناس مَنْ ينشط للسهر في سماع سمر، ولا يسهل عليه السهر في سماع القرآن الكريم، ومنهم مَنْ يحفظ بعض القرآن، ولا يتوق إلى التمام، ومنهم مَنْ يعرف قليلاً من الفقه، ومنهم قنوع بصلاة ركعتين في الليل، ومنهم مَنْ يطلب معاليَ الأمور، دون أن تكون له إرادة وسعي في تحقيقها، فهذا مغترٌّ بالأماني الكاذبة:

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا

وما استعصى على قوم منالٌ ... إذا الإقدام كان لهم رِكابا

ولو عَلَتْ بهمُ الهمم لجدَّت في تحصيل كل الفضائل، ونَبَتْ عن النقص، فاستخدمت البدن، كما قال الشاعر:

ولكل جسم في النحول بليةٌ ... وبلاءُ جسمي في تفاوت هِمتي

وقال آخر:

وقائلةٍ: لم غيَّرتْكَ الهمومُ ... وأمرك ممتثل في الأُمَمْ

فقلت: ذريني على غُصَّتي ... فإن الهمومَ بِقَدر الهِمَمْ

والمصالح والخيرات، واللذات والكمالات كلها؛ لا تنال إلا بحظٍ من المشقة، ولا يُعبَر إليها إلا على جسر من التعب:

بَصُرتُ بالراحةِ الكبرى فلم أرها ... تُنال إلا على جسرٍ من التعبِ

وقيل أيضاً:

فقل لِمُرَجِّي معالي الأمور بغير اجتهادٍ: رجوتَ المُحالا

وقيل:

لولا المشقة ساد الناس كلّهمُ الجود يُفقر، والإقدامُ قتَّالُ

وقيل:

الذل في دَعَةِ النفوس ولا أرى عِزَّ المعيشة دون أن يُشقى لها

قال ابن القيم – رحمه الله –: (وقد أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن مَنْ آثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق، تكون الفرحة واللذة؛ فلا فرحة لمن لا هَمَّ له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له؛ بل إذا تعب العبد قليلاً، استراح طويلاً، وإذا تحمَّل مشقَّة الصبر ساعة، قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان، ولا قوة إلا بالله.

وكلما كانت النفوس أشرف، والهمة أعلى، كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل، كما قال المتنبي:

وإذا النفوسُ كُنَّ كِباراً تَعِبَتْ في مُرَادها الأجسامُ

وقال ابن الرومي:

قلبٌ يظل على أفكاره ويدٌ ... تُمضي الأمورَ ونفسٌ لَهوها التعبُ

وقال الإمام مسلم في «صحيحه»: قال يحيى بن أبي كثير: «لا يُنال العلمُ براحة البدن». ولا ريب عند كل عاقل أن كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب تحمُّل المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام، فأما في هذه الدار فكلاَّ ولَمَّا)[1].

* * * * *

(١) «مفتاح دار السعادة» [٢/ ١٥] ط دار الكتب العلمية، بيروت.

المبحث الثالث: خصائص عالي الهمة وكبيرها

١ - أنَّ كبيرَ الهمة لا يَنقُض عَزمَه؛ فإن الله يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وامتدح سبحانه الصالحين من عباده بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

٢- كبيرُ الهمة لا يندم على سفاسف الأمور، وتفاهات الدنيا، لأنه متميّز في كل خصائصه، حتى في ندمه! فبينما يندم خسيس الهمة لفوات لذاته، أو يتحسَّر لفراق شهواته، فإن لكبير الهمة شأناً آخر، حتى وهو يندم، فلا يندم إلا على تفريطه في جنب الله، وتخلّفه عن ركاب السابقين المقرَّبين، وفوات شيء من معالي الأمور التي توصله لرحمة الله العزيز الغفور.

٣- كبيرُ الهمة لا يَضرُّه التفرُّد، لأن طُرق العلاء قليلة الإيناس؛ فهو يمشي قدُماً؛ غير مكترث بقلة مصاحبيه، فإنه إذا عَظُم المطلوب، قلَّ المساعد.

أُهِمُّ بشـيءٍ والليالي كأنها ... تطاردني عن كونها وأطارِدُ
فريدٌ عن الخِلاَّنِ في كل بلدةٍ ... إذا عظُم المطلوب قلَّ المساعِدُ

عن ابن جدعان- رحمه الله- قال: (سمع عمر رجلاً يقول: «اللهم

اجعلني من الأقلِّين». فقال: «ياعبدَ الله! وما الأقلون؟» قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وذكر آيات أُخَر، فقال عمر ﷺ: «كل أحد أفقه من عمر».

وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال الفضيل بن عياض - رحمَه الله -: «الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين».

وقال بعض الصالحين: «انفرادك في طريق طلبك، دليل على صدق الطلب»، فعالي الهمة ترقَّى في مدارج الكمال؛ فصار لا يأبه بقلة السالكين، ووحشة الطريق، لأنه يُحصِّل مع كل مرتبة يرتقي إليها من الأُنس بالله ما يزيل هذه الوحشة، وإلا انقطع به السبيل.

وتأمَّلْ مراتبَ الدين الثلاثة الواردة في حديث جبريلَ الشهير (الإسلام، والإيمان، والإحسان)، وأعلى هذه المراتب هو الإحسان - وأقلّ القليل مَنْ يصلون إليه - وفي هذه المراتب درجات ودرجات، فكلما ارتفع السالك درجة، شعر بقلة السالكين.

فإذا لم يكن قد حصَّل مع ارتفاع كل درجة من الأنس بالله بقدر شعوره بقلة السالكين في هذه الدرجة، لاستولى عليه الشعور بالوحشة،

فأحسنُ أحواله حينئذٍ أن ينقطع عن الرُّقيِّ أو يملّه وهو بذلك مغبون، وإمَّا أن يعود القهقرى، وهو في هذه الحالة خاسر مردود، فلا ييأس، وليعاود السير عساه أن يربح، فلا يخسر أبداً.

٤- **كبيرُ الهمة** - كما قال ابن القيم - رحمَه الله -: «لا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدراً، وإن كانوا الأكثرين عدداً. كما قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين».

وكلما استوحشتَ في تفردك؛ فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغُضَّ الطرفَ عمَّن سواهم، فإنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفتَّ إليهم أخذوك وعاقوك»[1].

وقال الأستاذ سيد قطب - رحمَه الله - في هذا المعنى:

أخي فامضِ لا تلتفت للوراءْ ... طريقُكَ قد خضَّبته الدماء
ولا تلتفتْ ها هنا أو هناك ... ولا تتطلَّع لغير السماء

* * * * *

(١) «مدارج السالكين» [١/ ٤٥، ٤٦]، وراجع باقي كلامه هناك فهو جميل جداً.

المبحث الرابع: الترغيب في علو الهمة والتحذير من سقوطها

تواردت نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة على حث المؤمنين على ارتياد معالي الأمور، والتسابق في الخيرات، وتحذيرهم من سقوط الهمة؛ وتنوَّعت أساليب القرآن الكريم في ذلك؛ وإني أذكر لك أمثلة عليها:

* **فمنها: ذم ساقطي الهمة، وتصويرهم في أبشع صورة:**

وتأمل قوله تعالى: ﴿ **وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

وقوله سبحانه واصفاً حال اليهود الذين علموا فلم يعملوا: ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ** ﴾[الجمعة: ٥][(١)].

---

(١) وانظر ما سيأتي هنا في قاعدة (٨): «العمل بها يحفظه ويتعلمه».

* **ومنها: ثناؤه سبحانه على أصحاب الهمم العالية،** وفي طليعتهم أنبياء الله ورسله، وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ.

وقد تجلَّت همتهم العالية في مثابرتهم وجهادهم ودعوتهم إلى الله عز وجل، كما أوضحه الله ﷻ في قصص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكذلك قصَّ الله علينا مواقف الهمة العالية عن المؤمنين من أتباع الأنبياء، وتأمل قصة مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، وقصة حبيب النجار في سورة يس، والذين قاتلوا جالوت وجنوده مع طالوت، ... إلى غير ذلك.

* **ومنها: أنه سبحانه عبَّر عن أوليائه؛ أصحاب الهمم الكبيرة العالية بوصف «الرجال»** في مواطن البأس والجلد والعزيمة، والثبات على الطاعة، والقوة في دين الله تعالى: فقال سبحانه: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقال سبحانه: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾[النور: ٣٦ - ٣٧]. وقال عز وجل: ﴿**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا**

مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* ومنها: أنه أمر المؤمنين بالهمة العالية، والتنافس في الخيرات: فقال عز منْ قائل: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقال جل وعلا: ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ [الصافات: ٦١]، وقال: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وامتدح أنبياءَه بأنهم: ﴿ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ، ووصف أولياءَه بأنهم: ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥].

وأما السنة الشريفة: فحدِّث ما شئت من علوِّ همة أصحاب رسول الله ﷺ وتسابقهم إلى المعالي، كيف لا؟! وقد أوصاهم رسول الله ﷺ فقال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز**»(١).

وقال ﷺ: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها**» (٢).

وكان ﷺ يتعوذ بالله من «العجز والكسل»؛ فعن أنس ﷺ أنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجُبن والهَرَم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(٣).

وقال ﷺ لأصحابه: «**إن الله تعالى يحب معاليَ الأمور، ويكره سَفْسَافها**»(٤).

---

(١) رواه مسلم [٢٦٦٤].

(٢) رواه أحمد [١٢٩٠٢] من حديث أنس ﷺ مرفوعاً، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» [٤٧٩]، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»[٩] و«صحيح الأدب المفرد» [٣٦٨].

(٣) رواه البخاري [٢٨٢٣، ٦٣٦٧]، ومسلم [٢٧٠٦].

(٤) رواه الطبراني [٢٨٩٤]، وابن عدي [١/ ١١٤]من حديث الحسين بن علي - رضي الله عنهما -، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٦٢٧]، وقال المناوي: [«معالي الأمور»: هي الأخلاق الشرعية والخصال الدينية، لا الأمور الدنيوية؛ فإن العلو فيها نزول].

=

وطمأن أهل الهِمَّة العالية بأن الله يمدهم بالمعونة على قدر سمو هِمَمِهِم، فقال ﷺ: «**إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة...**»(١) الحديث.

وبَيَّن أن أكمل حالات المؤمن ألاَّ يكون له هَمٌّ إلا الاستعداد للآخرة، فقال ﷺ: «**مَنْ كانت الآخرة همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له**»(٢).

وامتدح قوماً بعلو همتهم فقال ﷺ: «**لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس**»(٣).

وعامة نصوص الترغيب والترهيب في الوحيين الشريفين إنما ترمي

«فيض القدير» [٢/ ٢٩٥].

(١) رواه البزار في «مسنده»، وابن عدي في الكامل [٢٠٦/ ١] من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً. والحديث في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني [١٦٦٤].

(٢) رواه التِّرمذي [٢٤٦٥] عن أنس ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٦٥١٠]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٩٤٩، ٩٥٠].

(٣) رواه البخاري [٤٨٩٧]، ومسلم [٢٥٤٦] من حديث أبي هُرَيْرة ﷺ، وانظر: «فتح الباري» [٨/ ٥١٠، ٥١١].

إلى توليد قوة دافعة تُحرِّك قلب المؤمن، وتوجِّهه إلى إقامة الطاعات، وتجنب المعاصي والمخالفات، وإلى بعث الهمة وتحريكها واستحثاثها للتنافس في الخيرات. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، فمن ذلك مثلاً:

قوله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثُمَّ لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأَتَوْهما ولو حبواً**» [(١)].

وقوله ﷺ: «**يُقال لصاحب القرآن، اقرأ وارتقِ، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤها**»[(٢)].

وحذَّر ﷺ من تعمُّد التباطؤ عن المسابقة إلى الطاعات، كما في قوله: «**احضروا الذكر، وادنوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يُؤَخَّر في الجنة، وإن دخلها**»، وفي رواية: «**احضروا الجمعة، وادنوا من الإمام فإن الرجل ليتخلف عن الجمعة حتى يتخلف عن الجنة، وإنه لمن أهلها**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري [٦١٥]، ومسلم [٤٣٧]، من حديث أبي هُرَيْرة ﷺ.

(٢) تقدَّم تخريجه [ص ٣١] حاشية [١].

(٣) رواه أبو داود [١١٩٨]، والحاكم [١/ ٢٨٩]، والبيهقي [٣/ ٢٣٨]، وأحمد [٥/ ١١] من حديث سمرة بن جندب ﷺ ، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٣٦٥]، و«صحيح الجامع الصغير» [٢٠٠ ،
=

وعلَّمنا ﷺ علو الهمة في الدعاء، فأمرنا أن نسأله تعالى من فضله، ولا نستعظم شيئاً في قدرة الله وجوده؛ فعن أم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سأل اللهَ أحدُكُم فليُكثر فإنما يسأل ربه**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: «**إذا دعا أحدُكُم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شِئتَ، ولكن ليَعزِم المسألة، وليُعظِّم الرغبة، فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»[(٢)].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان، كان حَقّاً على الله أن يُدخلَهُ الجنَّة، جاهدَ في سبيلِ الله أو جلسَ في أرضِهِ التي وُلِدَ فيها». فقالوا: يا رسول الله أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: «إنّ في الجنة مائة درجةٍ أعدَّها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماءِ والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أَرَاهُ قال: وفوقه عرش الرحمن -، ومنه تفجَّر**

[٢٠١].

(١) رواه ابن حبان [٨٨٩]. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١٠/ ١٥٠]: « رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح » .

(٢) رواه مسلم [٢٦٧٩]: كتاب الذكر والدعاء، باب: العزم بالدعاء، ولا يقل إن شئت.

أنهار الجنة»[(١)].

وأنكر النبي ﷺ على مَنْ خالف هذا الهدي، وتضاءلت همته، وتواضعت طموحاته؛ فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ[(٢)]، فصار مثل الفَرْخِ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء، أو تسأله إياه؟**» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجِّله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله لا تطيقه - أو: لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟**» **قال: فدعا الله له، فشفاه**»[(٣)].

ولأجل هذا وغيره، كان أصحاب النَّبيِّ ﷺ أعلى الأمم هِمَّةً على الإطلاق، وما كانت تلوح لهم منقبة أخروية، ولا فضيلة دينية إلا صعدوا إليها، واستشرفوا لها، وتنافسوا فيها.

فهذا عُكَّاشَةُ بن محصن ﷺ لَمَّا سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**يدخل من أُمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب**» قام مباشرة وقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

---

(١) رواه البخاري [٢٧٩٠] في الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله.

(٢) خَفَتَ: سكن، وسكت مِنَ الضعف.

(٣) رواه مسلم [٢٦٨٨] كتاب الذكر والدعاء، باب: كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا.

فقال ﷺ: «**اللهم اجعله منهم**»، ثُمَّ قام آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك إليها عكاشة**»[١].

وعن ربيعة بن كعبٍ الأسلمي رضي الله عنه قال: (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيتُهُ بِوَضُوئِه وحَاجَتِهِ، فقال لي: «**سَلْ**»، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «**أَوَ غيرَ ذلك؟**»، قلت: هو ذاك، قال: «**فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود**»)[٢].

وعن عطاء بن أبي رباح – رحمه الله – قال: قال لي ابن عباس: ألا أُرِيكَ امرأَةً من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداءُ، أتت النَّبيَّ ﷺ فقالت: إني أُصرَعُ، وإني أتكشَّف، فادعُ الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنةُ، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافِيَكِ**»، قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها[٣].

ومن تسابقهم في الطاعات ؛ والذي يعكس علـو همَّتـهم – رضي الله عنهم–:

ما رواه عبد الله بن عمروٍ – رضي الله عنهما – أن رجلاً قال: «يا رسول

---

(١) رواه البخاري [٦٥٤٢]، ومسلم [٢١٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم [٤٨٩] كتاب: الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه.

(٣) رواه البخاري [٢٦٥٢]، ومسلم [٢٥٧٦].

الله، إن المؤذنين يَفْضُلوننا»، فقال رسول الله ﷺ: «**قل كما يقولون، فإذا انتهيت فَسَل تُعطَه**»[١].

وما رواه أبو هُرَيْرة ﷺ أن فقراء المهاجرين أَتَوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدُّثورِ[٢] بالدرجات العُلى، والنعيم المقيم، فقال ﷺ: «**وما ذاك؟**»، قالوا: يُصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: «**أفلا أعلمكم شيئاً تُدركون به مَنْ سبقكم، وتسبقون به مَنْ بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا مَنْ صنع مثل ما صنعتم؟**». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**تُسبِّحون وتكبِّرون وتحمدون دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة**». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضل من الله يؤتيه مَنْ يشاء**»[٣].

* * * * *

---

(١) رواه أبو داود [٥٢٤]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٤٤]، وابن حبان في «صحيحه» [١٦٩٣] وقالا: «تُعطَ» بغير هاء.

(٢) الدُّثورِ: جمع دَثْرٍ، وهو المال الكثير.

(٣) رواه البخاري [٦٣٢٩]، ومسلم [٥٩٥] واللفظ له.

المبحث الخامس: أسباب علو الهمة

علو الهمة له أسباب؛ أهمها: العلم والبصيرة، والصدق والإخلاص لله في شأنك كله، وجعل الهموم هماً واحداً هو همُّ الآخرة، وقصر الأمل، وكثرة ذكر الموت، فإنه يدفع إلى العمل للآخرة، والتجافي عن دار الغرور، ومحاسبة النفس، وتجديد التوبة، وإيقاظ العزم على الاستقامة، وكثرة ذكر الله ودعائه، والاجتهاد في معالي الأمور دون سَفْسَافها، والحرص على الوقت وعمارته بالنافع المفيد، والزهد في الدنيا، والعزلة والانفراد مهما أمكن، والتحول عن البيئة المثبطة، وصحبة أولي الهمم العالية، ومطالعة أخبارهم، وسماع نصائحهم والعمل بها، والمبادرة والمداومة، والصبر والمثابرة على الأعمال الصالحة في كل الظروف.

والحذر من أسباب تَدَنِّي الهمم وانحطاطها.. وأهمها: (طول الأمل، وحب الدنيا، وكراهية الموت، والرياء وعدم تجرُّد النيَّة، والفتور، وإهدار الوقت فيما لا ينفع، واتباع الهوى، وهجر القرآن وعدم تدبره، والابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة، والابتعاد عن القدوة الصالحة، ومصاحبة أهل المعاصي وأصحاب الهمة الدنيئة، والعجز والكسل، والغفلة، والتسويف والأماني الباطلة، وحب الراحة وكثرة النوم، والنظر إلى أهل

الدنيا والتطلع لما هم فيه، والتعلق بغير الله، والعشق، والانحراف في فهم العقيدة، لاسيما مسألة القضاء والقدر، وعدم تحقيق التوكل على الله عز وجل، وبدعة الإرجاء).

وبعدُ أُخَيَّ، فكن عاليَ الهمَّةِ؛ أَقبلْ بجد ونشاط، ودع عنك الفتور والإحباط، انفض عنك غُبار الغفلات، ونظِّف نفسك من أدران الشبهات والشهوات، وحرِّر نفسك من أغلال الدنيا وآصارها، وسابق غيرك إلى المعالي، ونافسهم في جنة عرضها الأرض والسموات...؛ أقبل على الله والدار الآخرة بكل ما أوتيت من قوة وعزم، ولا تلتفت إلى الوراء حتى يفتح الله عليك.

أُخيَّ الحبيب: إن أمتك المسلمة تترقَّب منك جذبة «عُمَرِيَّةً» توقِدُ في قلبها مصباح الهمة في ديجور هذه الغفلة المدلهمة، وتنتظر منك صيحة «أيوبيةً» تغرس بذرة الأمل في بيداء اليأس، وعلى قدر المؤونة، تأتي من الله المعونة، فاستعن بالله ولا تعجِز.

قد نهضنا للمعالي ومضى عنَّا الجمود
ورسمناها خُطىً للعزِّ والنصر تقود
فتقدَّم يا أخا الإ سلام قد سار الجنود

ومَضَوا للمجدِ إنّ المجد بالعزم يعود[١]

قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ [الشورى: ٢٨] ، وقال النبي ﷺ: «**مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى آخره خيرٌ أم أوَّله**»[٢]، وقال ﷺ: «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**»[٣].

فاللهم استعمِلنا لطاعتك، ووفقنا لمرضاتك، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، وارزقنا العلم النافع، والعمل الصالح... آمين[٤].

* * * * *

---

(١) «الرقائق» لمحمد أحمد الراشد [١٤٩] ط. الرسالة.

(٢) رواه أحمد [١٢٤٦١،١٢٣٢٧] وقال محققو المسند: «حديث قوي بطرقه وشواهده»، والتِّرمذي [٢٨٧٣] وحسَّنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٥٨٥٤]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٢٨٦].

(٣) رواه أحمد [١٧٧٨٧]، وابن حبان في «صحيحه» [٣٢٦] وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٧٦٩٢]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٤٤٢].

(٤) جُلُّ ما في هذه القاعدة مستفادٌ ومختصرٌ من كتاب «علو الهمة» للدكتور محمد إسماعيل المقدم. ط. مكتبة الكوثر، الرياض، مع تصرُّفٍ وزيادات يسيرة. وانظر كذلك: «صلاح الأمة في علو الهمة» للدكتور سيد حسين العفاني. ط. مؤسسة الرسالة. فهو جامع ماتعٌ في موضوعه.

القاعدة الثالثة:



تصحيح النطق والقراءة

وفيها خمسة مباحث:

المبحث الأول: تصحيح النطق والقراءة

أول خطوة في طريق الحفظ بعد الإخلاص لله عز وجل، والاستعداد الشخصي وعلو الهمة، هي: تصحيح النطق والقراءة لما يريد حفظه، ولا يحفظ قبل أن يصحح، لأنه إن حفظ خطأ صعب عليه فيما بعد تصحيح ذلك الخطأ.

فلا بد قبل البدء في الحفظ من السماع لقاريءٍ جيد أو حافظٍ متقن، ثُمَّ العرض عليه بعد ذلك، لأن القرآن لا يُؤْخذُ إلاَّ بالتَّلَقِّي، فقد أخذَه النَّبيُّ ﷺ - وهو أفصح الخلقِ - من جبريلَ مشافهةً، [وجبريلُ تلقاه سماعاً من الله تبارك وتعالى، فسلسلة السماع تنتهي إلى مقام الألوهية[1]، فما أعظمَها وما

(١) الإله: يجمع على الإلهية؛فهو مصدر صناعي، وأمانة النقل اقتضت ترك العبارة كما هي دون تصحيح، فتنبه.

أجلّها من سلسلة، وتنويهاً بهذا ساق الحافظُ الذَّهبيُّ إسنادَه برواية حفص بن سليمان الكوفي، وذلك في (معرفة القراء)، فانتهى به إلى رب العالمين، وهذا هو معنى قول الجزري في المقدمة:

لأنـه به الإلهُ أَنْزلا وهكذا منه إلينا وصلا

أي: أن القراءة بالتجويد واجبة؛ لأن الله أنزل القرآن به][١].

«وكان ﷺ يَعْرِضُ القرآن على جبريلَ كلَّ سنة مرة واحدة في رمضان، فلَمَّا كان العام الذي توفي فيه عرضَه عرضتَيْن» [٢].

قال ابن حجر- رحمه الله -:«يَعْرِض بكسر الراء، من العَرْض بفتح العين وسكون الراء، أي: يقرأ، والمراد: يستعرضه ما أقرأه إياه... والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كُلاًّ منهما كان تارةً يقرأ والآخر يستمع» [٣].

وقال ابن كثير- رحمه الله – في تأويل قوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧ – ١٨]: «أي: إذا تلاه عليك الملَك

(١)«سنن القراء» [ص ٢٨] ط. مكتبة الدار. المدينة النبوية.

(٢) رواه البخاري [٤٩٩٨] عن أبي هريرة ﷺ، وهو هنا بمعناه.

(٣)«فتح البَارِي» [٨/ ٦٦٠].

عن الله تعالى فاستمع له، ثُمَّ اقرأه كما أقرأك»[١].

وبالطريقة نفسها [العرض والسماع] علَّم النَّبيُّ ﷺ أصحابَه، بل وأمرَهم بذلك، ففي الصحيحين وغيرهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبيِّ بن كعب**»[٢].

وفي الحديث إشارة إلى تحرِّي الضابطين من أهل القرآن للأخذ عنهم والتلقي منهم، فهذا القرآن لا يؤخذ من كل أحد، وفيه إشارة إلى محبة أهل القرآن، الحافظين والمتقنين على وجه الخصوص.

وقوله: «**خذوا القرآن من أربعة**» ليس على وجه الحصر، وإنما خصَّ هؤلاء الأربعة بالذكر تقديماً لهم على غيرهم في وقت صدور الحديث منه عليه الصَّلاة والسَّلام، وهذا لا يمنع أن يوجد بعدهم مَنْ هم مثلهم أو أقرأ

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٤/ ٤٤٩].

(٢) رواه البخاري [٤٩٩٩]، ومسلم [٢٤٦٤].

ومن حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخِذَ عنهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأُبيُّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد ابن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء.

قال الإمام الذهبي: «وقد جمع القرآن غيرُهم من الصحابة كمعاذ ابن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي زيد، وغيرهم كثير، ولكن لَمْ يتصل بنا قراءتهم».

انظر: «معرفة القراء الكبار» [ص ٣٩] ط. دار الكتب الحديثة، مصر.

منهم .

وهكذا تعلَّم الصحابة ومَنْ بَعدهم إلى وقتنا هذا، أخذ كل خلف عن سلفِه هذا القرآن مشافهةً، بالعرض والسماع[١].

بل إنَّ هذا ما قامت عليه دولة الإسلام الأولى، في عهد النَّبيِّ ﷺ ، فقد رَوَى البخاريُّ في صحيحه عن البراء بن عازب ﵁ قال: «أول مَنْ قدم علينا (أي: إلى المدينة) مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا يُقرئون الناس...»[٢] الحديث.

وهذا هو الواجب الآن، أن نأخذ القرآن مشافهةً من القُرَّاء المتقنين، والحفاظ المجيدين، وأن نصحِّح أولاً بأول، وأن لا يعتمد القاريء على

---

(١) قال عبد الله بن مسعود ﵁: «والله لقد أخذْتُ من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورةً، وأخذت بقية القرآن عن أصحابه». «فتح الباري» [٩/ ٤٦، ٤٨].

وعن معدي كرب قال: «أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا ﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء: ١] المئتين، فقال: ما هي معي، ولكن عليكم مَنْ أخذها من رسول الله ﷺ: خباب بن الأرت، قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا». «المسند» [٦/ ٣٤]، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٢) رواه البخاري [٣٩٢٥]، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النَّبيِّ ﷺ وأصحابِه المدينة. وقال ابن حجر – رحمه الله –: [«وكانوا يُقرئون الناس» في رواية الأصيلي وكريمة: «فكانا يقرئان القرآن» وهو أوجه، ويُوجَّه الأول إما على أن أقل الجمع اثنان، وإما على أن مَنْ كان يقرئانه كان يقرأ معهما أيضاً]. «فتح الباري»[٧/ ٣٠٦].

نفسه في قراءة القرآن، حتى ولو كان مُلِمّاً باللغة العربية، عليماً بقواعدها، وذلك لأن في القرآن آيات كثيرة قد تأتي على خلاف المشهور من قواعد العربية.

وإذا كان النَّبيُّ ﷺ - وهو أفصح مَنْ نطق بالضاد - عُلِّم القراءة تعليماً، وتلقَّاهَا مُشَافهةً وتلقيناً من جبريلَ عليه السَّلام؛ عرضاً وسماعاً.

وإذا كان أصحابه رضوان الله عليهم - وهم أفصح الأمة بعد رسولها - وهم عربٌ أقحاح، أُمِروا بتلقِّي القرآن وتَعَلُّمه من أفواه القراء المتقنين، ولم يُرخَّص لهم في أن يقرأ كل منهم حسب ما يتيسر على لسانه، فغيرهم من باب أولى [١].

ويمكن الاستعانة في ذلك بأشرطة التسجيل القرآنية للقرّاء المتقنين[٢]، فيقوم مريد الحفظ، بتكرار سماع الآيات التي يريد حفظها عدة مرات قبل أن يبدأ في الحفظ، وكما قلت: هذا يُستعان به ولا يعتمَد عليه وحده، لأن المستمع ربما يظن أنه يقرأ الكلمة أو الآية سليمة صحيحة كما

---

(١) وانظر: «سنن القراء» [ص ٤٥ - ٤٩، ١١٠ - ١١٩]، فهو مهمّ في هذا الباب جداً، وقد ذكر فيه حكم تجويد القرآن فأفاد وأجاد، جزاه الله خيراً.

(٢) كتسجيلات الشيخ محمود خليل الحصري، أو محمد صديق المنشاوي، أو عبد الباسط عبد الصمد، أو غيرهم.

قرأها الشيخ، بينما يحفظها وهي خطأ، ويبقى معه الخطأ بعد ذلك يُعاني في تصحيحه، فلا بد من التلقي من أفواه المشايخ والقراء، والأشرطة يستعانُ بها لا غير.

ولأجل ما تقدم ذكرُه قال سلفنا الصالح: «لا تأخذ العلم من صُحُفيٍّ، ولا القرآن من مُصْحَفيٍّ»[1].

* * * * *

(١) الصُحُفي: هو الذي تعلم مِنَ الصحف والكتب وحدها دون الرجوع إلى العلماء والتلقي عنهم.

وهكذا مُصْحَفِي: أي: أخذ القرآن من المصحف بنفسه دون المراجعة على قاريءٍ مُتقن.

المبحث الثاني: فوائد الدراسة على الشيوخ

تقدم قولهم: «لا تأخذ العلم من صُحُفيّ، ولا القرآن من مُصْحَفيّ»، ومعناه: لا تتعلم ممن أخذ علمَه من الصحف والكتب وحدها، دون أن يكون له شيوخ تعلَّم على أيديهم وتلقَّى عنهم، وذلك لأن في الدراسة على المشايخ، والتلقي عنهم، والجلوس بين أيديهم فوائد عظيمة، ومنافع جليلة، ومن تلك المنافع والفوائد:

١- أنها تُسدِّد الفهم للمتعلم، وتشحذ ذهنه، وتوسِّع مداركه، فإن طالب العلم تعتريه في طلبه مسائل وبحوث، لا يستطيع استيعابها، وربما أساء فهمَها، فوجوده مع شيخ متقن وعالم متمرِّس، ينجيه من ذلك.

٢- وتوفر له الوقت والجهد، فكم من مسألةٍ أعيَتْ طالب العلم وأجهدته، وبحث عنها أياماً وربما شهوراً، وما ازداد بعد بحثه في بطون كتبه عنها إلا حيرةً واضطراباً؛ فلو أنه سأل عنها عالماً مُتَمرِّساً، وشيخاً حَاذِقاً، لأجابه عنها في دقائق معدودة، وأزال من رأسه كل إشكال أو شبهة أو إيراد.

٣- وتجمع له بين العلم والأدب، فالذي يتلقَّى على أيدي المشايخ ويجلس بين أيديهم، يتعلم التواضع ولين الجانب واحترام آراء المخالفين

وحسن الخلق معهم.. وغير ذلك من الآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة.

والمتلقِّي عن المشايخ والعلماء، يتعلم من سمتهم وأخلاقهم كما يتعلم من مسائلهم وأقوالهم، فيتخرَّج الطالب وقد جمع بين العلم النافع والخلق الفاضل.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المبحث الثالث: أضرار الاقتصار على الكتب في الطلب

وأما التلقِّي من الكتب مباشرةً والاقتصار على ذلك دون الرجوع إلى أهل العلم والتلقي عنهم؛ فإن ذلك وإنْ جاز فعله [لبعض مَنْ كملت أهليته؛ ممن درس علوم الآلة، وتحصَّن بالعقيدة الصحيحة، وتعلم أصول كلِّ فنٍّ على مَنْ أجاده من أهل العلم، فإنه بالرغم من ذلك كله] فيه من الآفات والمضار ما لا يخفى على العاقل اللبيب.

فمن آفات الدراسة من الكتب وحدها(١):

١- أنها من أعظم أسباب الكبر والغرور، والعجب والمفاخرة، والتعالي على الغير، لأن القاريء بمجرَّد قراءته لكتاب أو كتب يرى أنه أعلم الناس، وأنه صار شيخ الإسلام، وعلاَّمة الزمان، فيتطاول على الآخرين، ولا يسلم من لسانه حيٌّ ولا ميت من علماء المسلمين، ولو أنه جالسَ أهل العلم

---

(١) ومن هذه الآفات أيضاً - غير ماذكر -: (نبذ تراثِ السلف من العلوم والفنون المختلفة، والاتجاه الظاهري في فهم النصوص، والتجروء على الفتيا، و الأفكار الغالية). «ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث» لمحمد عبد الحكيم حامد. ط.دار المنار الحديثة. شبرا [ص ٣٢٣].

وعرَض عليهم بضاعته، وناقشهم فيما درسه وفهمه؛ لتبيَّن له ضآلة علمه وسوء فهمه! ولظهر له قيمة نفسه، وعرف عجزها وجهلها !! .

٢- وهي سبب في كثرة اللحن[1] والخطأ والتحريف، وسوء الفهم والتصحيف، وخاصة في القرآن لَمَنْ تلقاه من المصحف مباشرةً ولم يتلقَّه عن شيخ، **ومن أمثلة ذلك ما يلي:**

قال ابن الجوزي - رحمه الله - سمعتُ ابن الرومي يقول: خرج رجل إلى قرية فأضافَه خطيبها، فأقام عنده أياماً، فقال له الخطيب: أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم، وقد أشكَل عليَّ في القرآن بعض مَواضع.

قال: سَلْني عنها. قال: منها: في «الحمد لله» [أي: الفاتحة].

قال: «إياك نعبد وإياك»، أي شيء: تسعين أو سبعين؟

أشكلَتْ عليَّ هذه، فأنا أقولها تسعين آخذ بالاحتياط [2].

---

(١) اللحن هو الخطأ؛ وهو في القرآن على قسمين:

لحنٌ جليٌّ: أي: ظاهرٌ يعرفه أهل التجويد وغيرهم، كتغيير الكلمات أو الحركات، أو الحروف، سواءً أخلَّ بالمعنى أم لا.

ولحنٌ خفيٌّ: وهو الخطأ في أحكام التجويد فحسب، دون تأثير على بنية الكلمة أو الحرف، أو ضبط الكلمات ونحوها.. وهذا لا يعرفه إلا أهل التجويد.

(٢) «أخبار الحمقى والمغفلين» [ص ٧١]. ط. دار الكتب العلمية.

ونقل عن ابن كامل أنه قال: وحدَّثنا أبو الشيخ الأصبهاني محمد بن الحسين قال: قرأ عثمان بن أبي شيبة في التفسير: «وإذا بطشتم بطشتم خَبَّازِين»، وصواب الآية: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠].

وقرأ بعضهم قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد: ١٣]، قرأها: «بسِنَّوْر له ناب»، والسنَّوْر: هو القِطُّ.

وقرأ بعضهم قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٠]، بالحاء المهملةِ، قرأها: «جعل السقاية في رجل أخيه»[1]، بالجيم المعجمة.

وقرأ بعضهم: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨]، قرأها «اهبط بسُلَّمٍ منا».

وقرأ بعضهم قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، قرأها: «إلاهكم التكاثر».

---

(١) قرأها هكذا عثمان بن أبي شيبة. وقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]: «آلم. تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل»، وكان حمزة الزيات يتلو القرآن مِنَ المصحف، فقرأ يوماً – وأبوه يسمع –: «آلم. ذلك الكتاب لا زيت فيه». فقال أبوه: دع المصحف وتلقَّن من أفواه الرجال! ، وقرأ بعضهم: قال الله عز وجل. قرأها: قال الله عن رجل!!!. «تحقيق النصوص ونشرها» لعبد السلام هارون. [ص ٦٩]، ط[٥]. مكتبة السنَّة.

وغير ذلك كثير جداً من أخطاء فاحشة ومنكَرة غير متصوَّرة، وسبب ذلك التحريف والخطأ؛ هو عدمُ تعلُّمِ القرآن من أفواه حُفَّاظه ومتقنيه، وأخذُه مباشرةً من المصحف.

ولك أن تجلس بجوار عاميٍّ يقرأ، أو: بجوار مُصْحَفيٍّ، واستمع إليه، فسترى من ذلك الشيء الكثير.

ومن أمثلة الخطأ والتحريف في الحديث النبوي كذلك:

قول النبي ﷺ: «**يحملُ هذا العلم من كل خلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**»[١].

قرأه بعضُهم: «يحملُ هذا العلم من كل خلَفٍ عدوٌّ له» ولا أدري وايمُ الله؟!! كيف يستقيم الحديث بهذا التحريف! وكيف يكون عدواً للعلم ثُمَّ هو ينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين؟!!.

وثبت في حديث آخر: «أن النَّبيَّ ﷺ احتجمَ وأعطى الحجَّام أَجْرَه»[٢]، أي: أجرة الحجامة، لأنها عملٌ يُتقاضى عليه أجرٌ.

---

(١) رواه البيهقي من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري - تابعي مُقِلّ كما قال الذهبي- مرفوعاً، وهو مرسَل. وانظر: «مشكاة المصابيح» [٢٤٨].

(٢) رَوَاه البخاري [٥٦٩١] في الطب، ومسلم [١٢٠٢] في السلام، باب: لكل داء دواء.

فقرأه بعضُهم: «احتجمَ وأعطى الحجَّام آجُرَّة»[1].

والآجُرَّة: الحجر. فيكون المعنى: أعطاه بعد الحجامة حَجَراً!! .

وليت شعري أي شيءٍ يستفيدُه الحجَّام من حَجَر؟!! .

وقرأ وكيع حديث معاوية بن أبي سفيان: «لعن النَّبيُّ ﷺ الذين يشقِّقون الخُطب تشقيق الشعر»[2]، قرأه: يشقِّقون الحَطَب.

---

(١) قال في «مختار الصحاح»: « (الآجر) الذي يُبنى به، فارسي معرب».

وقال الحافظُ ابن حجر- رحمه الله -: «(الآجر) بالمد وضم الجيم: هو الطوب المشوي، ويقال: بمد وزيادة واو، وهو فارسي معرب». «فتح البَارِي» [١٣/ ٢٩٢].

(٢) رواه أحمد [١٦٩٠٠] وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف»، وضعفه الألباني في«ضعيف الجامع الصغير» [٤٦٨٧]، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة» [٤٣١١]، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٢/ ١٩١] ونسبه للطبراني، و[٨/ ١١٦]ونسبه لأحمد، وقال: «وفيه جابر الجُعفي، وهو ضعيف»، وقد ثبت في المسند [٥٦٨٧] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، فإنما تشقيق الكلام من الشيطان**»، «**وإن من البيان لسحراً**» قال محققو المسند: [إسناده صحيح على شرط الشيخين، قال السندي: «تشقيق الكلام: التطلّب فيه ليخرج بأحسن مخرج، وبالجملة فالتكلف في الكلام، وإرسال اللسان فيه مذموم قبيح». وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» [٨٧٦] عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رجلٌ عند عمر، فأكثر الكلام، فقال عمر: إن كثرة الكلام في الخطب من شقاشق الشيطان.

والشقاشق: جمع شِقشة: وهي الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل من جوفه، ينفخُ فيها

=

وكان في الناس حطَّاب [يجمع الحطب ويبيعه] فقال: يا قوم! ماذا نفعل والحاجة ماسَّة؟! .

وكان أبو موسى محمد بن المثنَّى العنزي [من رواة السِّتة] يقول: «نحن قوم لنا شرف، صلَّى إلينا النبي ﷺ»، يشير إلى ما ثبت في الحديث أن النَّبيَّ ﷺ «صلَّى إلى عنزة»[1]، وهو من قبيلة تسمى «عنزة» ففهم من الحديث أن النَّبيَّ ﷺ استقبل قبيلتَهم، وصلَّى إليها!! بينما المرادُ ب-«عنزة» في الحديث: الرمح أو الحربة تُغرس في الأرض، وتكون سُترةً بين يدي المصلي.

وهناك أمثلةٌ أخرى للتحريف والتصحيف وسوء الفهم - سواء كان ذلك في القرآن أو السنَّة أو غيرهما من العلوم المتفرِّعة عنهما، وهي كثيرةٌ جداً - ولهذا قالوا في التحذير من دراسة الكتب وحدها:

يظنُّ الغَمْرُ أنَّ الكُتْبَ تهدي	أخا فهمٍ لإدراك العلوم
وما يدري الجهولُ بأن فيها	غوامضَ حيَّرت فهم الفهيم

فتظهر من شِدقه. قال أبو عبيد في «غريب الحديث»: «شبّه عمر إكثار الخاطِب من الخطبة، بهدر البعير في شقشقته، ثم نسبها إلى الشيطان، وذلك لما يدخُلُ فيها من الكذب، وتزوير الخاطِبِ الباطِلَ عند الإكثار من الخطب، وإن كان الشيطان لا شِقشقة له، إنما هذا مثل»].

انظر: «المسند» [٩/ ٤٩٨، ٤٩٩]، و[٢٨/ ١٠٨، ١٠٩] حاشية (٢).

(١) انظر: «صحيح البخاري» [٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١].

إذا رُمتَ العلوم بغير شيخ ضللتَ عن الطريق المستقيم

وتلتبسُ الأمور عليك حتى تكونَ أضلَّ من توما الحكيم

وقالوا: «مَنْ طبَّب من بطون الكتب قتل الأنامَ، ومن تفقّه من بطون الكتب عطَّل الأحكام». وقالوا: «من أعظم البليَّة تشيُّخ الصحيفة»(١).

وصدقوا ولله دَرُّهم، وإنك لتجد في بعض الكتب -بل في كثير منها- سُمّاً ناقعاً، وداءً عُضالاً!! فالله المستعان.

ولأجل ما تقدَّم ذكره؛ كان لابُدَّ من الدراسة والتحصيل على أيدي المشايخ وأهل العلم، وخاصةً في القرآن؛ لا بد من تصحيح النطق على شيخٍ متقن، ومن السماع له والعرض عليه، ثُمَّ بعد ذلك يبدأ في الحفظ.

* * * * *

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة الكناني [ص ٨٧].

المبحث الرابع: اختيار الشيخ

ولا بد أن يختار شيخه وأستاذه،ومن يقرأ عليه، فيختاره حافظاً متقناً، تقياً ورعاً، عالماً عاملاً، ذا خلق ودين.

وينبغي أن يُرَاعِيَ في شيخه ومن يتتلمذ على يديه: (الاستقامة، وحسن المظهر والمخبَر، ونقاء السريرة في الخلوة والجلوة، وسلامة النطق بالعربية الفصحى، وأن يكون ملمّاً بدقائق مهمته، ومحيطاً بأحوال طلابه وأخطائهم المتوقَّعة، ويتحرَّى مَنْ جمع بين الدراية والرواية، فذلك أزكى وأرجى)[(١)].

قال الإمام النَّوويُّ – رحمَه الله -: «ولا يتعلم إلاَّ مِمَّن كملت أهليَّته، وظهرت ديانته، وتحقَّقتْ معرفته، واشتهرت صيانته، فقد قال محمد بن سيرين، ومالك بن أنس، وغيرهما من السلف: إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[(٢)] .

وقد اختار الإمام أبو حنيفة – رحمَه الله – شيخَه حماد بن سليمان بعد

(١) «كيف تحفظ القرآن» د عبد الرب نواب الدين [ص ٥٧].

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ٤٣]. وانظر: «مقدمة صحيح مسلم» بشرح النووي.

طول تأمل وتفكير، وكان يقول: «وجدتُه شيخاً وقوراً حليماً»[(١)].

وقال ابن جماعة - رحمَه الله -: «وإن سبرتَ أحوال السلف والخلف لَمْ تجد النفع يحصل غالباً والفَلاح يدرك طالباً إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر، وعلى شفقتِه ونصحه للطلبة دليل ظاهر.

وكذلك إذا اعتبرت المصنفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى الأزهد أوفر، والفَلاح بالاشتغال به أكثر.

وليجتهد أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطِّلاع، وله مع مَنْ يثق به من مشايخ عصرِه بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ من بطون الأوراق، ولم يُعرَف بصحبة المشايخ الحذَّاق»[(٢)].

فإن شقَّ عليه ذلك ولم يتيسَّر له مَنْ اجتمعت فيه كل هذه الصفات - خاصةً في زماننا هذا - فعليه بالأمثل فالأمثل، وليسدِّدْ ولُيقارب،وليكثر من اللجوء إلى الله تعالى أن يوفِّقه إلى العلم والعمل، وأن يرزقه بشيخ صالح تقي يطلب على يديه علوم الشرع، وليلهج لسانه ليل نهار بهذا، فمن أدام قرع الباب أوشك أن يُفتح له .

* * * * *

---

(١) «تعليم المتعلم» [ص ١٢].

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» [ص ٨٦، ٨٧].

المبحث الخامس: الأدب مع المصحف والشيخ جميعاً

من المهم جداً: التزام الأدب مع الشيخ والمعلِّم وتقديره واحترامه، والتزام الأدب معه سبب لحصول بركة العلم وسرعة الحفظ، وكذلك تعظيم نسختك من القرآن الكريم فإنه كلام الله تعالى، وتعظيمه من تعظيم شعائر الله التي هي من تقوى القلوب؛ فلا تمسك بمصحفك أو تلقيه باستهتار وعدم مبالاة، ولا تضعه في أماكن غير لائقة به، واحرص على بقائه سليماً من غير أذى، ولا تلمسه على غير طهارةٍ، ولا تضعه على الأرضِ، ولا تضع شيئاً فوقَه، ولا تَمُدَّنَّ رجلَك إليه وهو بين يديك، فإن جلستَ للحفظِ فاجلس على طهارةٍ مستقبل القبلة، وليكن عليك السَّكينة والخشوع والوقار، ويُفضَّل أن يكون جلوسَك في المسجد، وبحسب تقديرك واحترامك لمصحفك وشيخك يحصل لك النفعُ بإذن الله تعالى، وقد أُثر عن الإمام الشافعي أنه كان يتصفَّح الورقة بين يدي شيخه الإمام مالك – رحمَهما الله تعالى – تصفّحاً رقيقاً هيبةً له؛ لئَلاَّ يسمع وَقْعَها.

وقال الربيع –رحمه الله–: «والله ما اجترأتُ أن أشربَ الماء والإمام الشافعي ينظر إليَّ هيبةً له».

وقال المغيرة –رحمه الله–: «كنا نهاب إبراهيم كما يُهابُ الأمير».

وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمَه الله -، بلغ من أدبِه في طلب العلم أنه قال: «ما دققتُ على محدِّثٍ بابه قطّ، وما أتيتُ عالماً قطّ فاستأذنتُ عليه، ولكن صبرتُ حتى يخرج إليَّ، وتأوَّلتُ قولَه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ٥] - كذا في «طبقات المفسرين» للداودي -.

وهذا أدبٌ جميلٌ سبقَه إليه حبر الأمة عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما - مع زيد بن ثابت ﷺ ، حيث انتظر خروج زيد؛ والريحُ تُسفي وجهَه - أي: تحمل التراب على وجهه - فلَمَّا خرَج زيدٌ ورآه قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ، لو أرسلتَ إليَّ فآتيَكَ، قال: العلمُ يؤتى، ولما أراد زيدٌ الركوبَ أعانَه عليه ابن عباس، فقال له زيد: ما هذا يا ابن عم رسول الله ﷺ ؟ فقال ابن عباس: هكذا أُمرنا أنْ نفعل بقُرَّائنا، فقبَّل زيدٌ يدَه، وقال: وهكذا أُمرنا أنْ نفعلَ بآلِ بيتِ نبيِّنا ﷺ [١].

* * * * *

(١) مقدمة «فضائل القرآن» لأبي عبيد [ص ٣، ٤]. وانظر ما سيأتي هنا في: فصل (٤): «آداب حامل القرآن»، وفصل (٥): «آداب تلاوة القرآن» فهو مهمٌّ جداً.

القاعدة الرابعة:

الاقتصاد والتدرُّج

على مَنْ أراد الحفظ أن يترفَّق بنفسه، وأن يراعيَ سنة التدرج، وأن يقتصد في الحفظ على قدر يتمكن من إتقانه، وفهمه واستيعابه.

ولا يحاول أن يحفظ فوق طاقته وقدرته، فذلك ضرره أكثر من نفعه، وربما تسبب ذلك في تركه للحفظ جملة.

ولا ينبغي أن يحفظ حال الملل والضجر والفتور[1]، فإذا شعر بذلك فليترك الحفظ، وليأخذ قسطاً من الراحة أو اللذة المباحة؛ فإذا ذهب عنه ما يجد فليعاود الحفظ بعد.

وعليه أن يحدِّد لنفسه جزءاً معيناً، يحفظه في مدَّة محدَّدة ثُمَّ يرتاح بعد ذلك أياماً؛ يستقرُّ فيها حفظه وترتاح فيها نفسه، ثُمَّ يعاود الحفظ بعد ذلك.. وهكذا.. فالحفظ بهذه الطريقة أدعى للرسوخ والثبات وعدم النسيان؛ وليس

---

(١) والسبب في ذلك أن المرء إذا ردَّد المقطع المراد حفظه بخمول وكسل، وهو ضَجِرٌ أو به ملل، فإنه يكرره مرات كثيرة دون فائدة تذكر، وهذا مُشاهَدٌ ومجرَّب يدركه كل أحد.

فيه إلا سلبية واحدة وهي صعوبة الربط بين المقاطع المحفوظة بعضها ببعض.. وعلاجها بتكرار السورة بعد تمامها مرات كثيرة جداً؛ كوحدة متكاملة.. وكلما كثر تكرارها دفعة واحدة كلما تلاشت هذه السلبية بإذن الله تعالى[1].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إن للقلوب شهوة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها، ودعوها عند فترتها وإدبارها».

وكان يقول: «لا تُكرِه قلبك؛ إن القلب إذا أُكره عَمي».

وقالوا: «روِّحوا عن القلوب تعي الذكر».

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم».

وقال ابن شهاب الزهري ليونس بن زيد: «يا يونس! لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملةً، فإن مَنْ أخذه جملة نسيه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي»[2].

---

(١) وانظر هنا قاعدة (٥): الربط بين المحفوظات.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» [ص ٤٣١] وقال محققه (أبو الأشبال الزهيري): «إسناده صحيح».

وكان النبي ﷺ يتخوَّلُ أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم[1].

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

قال عبد العظيم الزرقاني - رحمَه الله - في معرض حديثه عن الحكمة من نزول القرآن مُفَرَّقاً: «إن في التنجيم تيسيراً من الله في حفظه وفهمه، ومعرفة أحكامه وحكمه، وذلك مُطَمْئِن للنبي ﷺ على ما يوحى إليه حفظاً وفهماً، وأحكاماً وحكماً، كما أن فيه تقويةً لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله»[2].

وقال في الحكمة الثانية من نزول القرآن مفرقاً: «التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة، علماً وعملاً، وهذا يشتمل على أمور منها: تيسير حفظ القرآن على هذه الأمة الأُميَّة، ولو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، فاقتضت حكمة الله أن ينزله إليهم مفرقاً ليسهل عليهم حفظه ويتهيأ لهم

---

(١) رواه البخاري [٦٤١١]، ومسلم [٢٨٢١]، والترمذي [٢٨٥٥].

(٢) «مناهل العرفان» [١/ ٥٣]، بتصرف، ومعنى التنجيم: أي التفريق، والمراد نزول القرآن مُفرَّقاً على الحوادث والأزمنة المختلفة في ثلاث وعشرين سنة، فقد كانت السورة تنزل دفعة واحدة، أو ينزل مقطع منها، أو تنزل الآية الواحدة أو مقطع منها، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي: لتقرأه على مهل، فيتمكَّنوا من حفظه والعمل بما جاء فيه.

استظهاره، ومنها: تسهيل فهمه عليهم» [(١)].

وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله -: «واعلم أن القلب جارحة من الجوارح تحتمل أشياء، وتعجز عن أشياء كالجسم، فبعض الناس يستطيع حمل مئتي رطل، ومنهم مَنْ يعجز عن عشرين رطلاً، ومن الناس مَنْ يمشي فراسخ في يوم ولا يعجزه، ومنهم مَنْ يمشي بعض ميل فيضره ذلك، ومنهم مَنْ يأكل من الطعام أرطالاً، ومنهم مَنْ يتخمه الرطل فما دونه.

فكذلك القلب: من الناس مَنْ يحفظ عشر ورقات في ساعة، ومنهم مَنْ لا يحفظ صفحة في أيام، فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبُّهاً بغيره: لحقه الملل، وأدركه الضجر، ونسي ما حفظ، ولم ينتفع بما سمع.

فليقتصر كل امريء من نفسه على مقدار يبقى فيه ما لا يستفرغ كلَّ نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعليم مع الذهن الجيد، والمعلِّم الحاذق.

وينبغي أن يجعل لنفسه مقداراً كلما بلغه وقف عنده، ولا يزيد عليه؛ فإن ذلك بمنزلة البنيان. ألا ترى أنَّ مَنْ أراد أن يستجيدَ البناء بنى أذرعاً يسيرة ثُمَّ ترك حتى يستقر، ثُمَّ يبني فوقَه، ولو بنى البناء كله في يوم واحد، لم يكن بالذي يُستجاد، وربما انهدم بسرعة، وإن بقي كان غير محكم؛ فكذلك المتعلم

---

(١) «المرجع السابق» [١/ ٥٥ - ٥٦] بتصرف.

ينبغي أن يجعل لنفسه حدًّاً، كلما انتهى إليه وقف عنده؛ حتى يستقر ما في قلبه، ويريح بتلك الوقفة نفسه»[(١)].

وكان السلف الصالح يأخذون أنفسهم بالاقتصاد والتدرُّج وينصحون غيرهم بذلك، وسار على منوالهم مَنْ جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم إلى أيامنا هذه.

فعن أبي عبد الرحمن السُّلَمي -رحمه الله تعالى- قال: «حدَّثنا الذين كانوا يُقرِؤوننا القرآن؛ عثمان بن عفان وابن مسعود وأُبيٌّ - رضي الله عنهم - أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر آيات فلا يجاوزوها إلى عشرٍ أخرى حتى يعلَموا ما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعاً»[(٢)].

وهذا سفيان الثوري - رحمه الله - يقول: «كنت آتي الأعمش ومنصوراً فأُسَمِّعُ أربعة أحاديث خمسة، ثُمَّ أنصرف كراهة أن تكثر وتفلت».

وهذا شعبة - رحمه الله - يقول: «كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدِّثني ثُمَّ يقول: أزيدك؟ فأقول: لا، حتى أحفظهما وأتقنهما».

وقال أبو هلال العسكري - رحمه الله -: «رأى معلم محمد بن داود ابن

---

(١)«الفقيه والمتفقه» [ص ١٠٠، ١٠٨] بتصرف.

(٢) «البرهان» [١/ ٤٥٦]، و«نزهة الفضلاء» [١/ ٣٨٣]، وسيأتي برواية أُخرى في قاعدة (٨): العمل بما يحفظه ويتعلمه، مع تخريج الأثر هناك، فراجعه [ص ٢١٢] حاشية (١).

الجراح على دفترٍ له دماً فسأله عنه فقال: إني كنت على السراج أدرس في الليالي الحارة فأرعَفُ، فقال له: إنما تطلب العلم لنفسك، فإذا أتلفتَ نفسَك، فما ينفعك علمُكَ؟ وقد قال عمر بن عبد العزيز: «إن نفسي مطيتي فإذا حملت عليها خسرتها»، فقال محمد بن داود: قال بعض الأوائل: «إن لَمْ تصبر على تعبِ العلمِ صبرت على شقاء الجهلِ»، فقال له المعلم: «صدق هذا القائل، ولكنَّ تجاوُزَ الاعتدالِ في طلب العلم ربما أدى إلى تضييعه...»[١].

وفي الحديث: «**ألا إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى**»[٢].

وعند البخاريّ وغيره «**إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه**»[٣].

وقال أبو العالية – رحمه الله –: «تعلَّموا القرآن خمس آيات، خمس آيات،

---

(١) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ٤٨].

(٢) رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وضعفه الألباني في «الضعيفة» [٢٤٨٠].

(٣) رواه البخاري [١٩٦٨] كتاب الصوم، والتِّرمذي [٢٤١٣] كتاب الزهد: من قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء – رضي الله عنهما – ينصحه بالترفق بنفسه في العبادة، وأقرَّه النَّبيُّ ﷺ.

فإن النَّبيَّ ﷺ كان يأخذه من جبريلَ خمساً خمساً»[(١)].

وعند البَيْهَقي في «شعب الإيمان» عن علي بن بكار الزاهد - رحمه الله - قال: «قال بعض أهل العلم: مَنْ تعلم خمساً خمساً لَمْ ينسَه»[(٢)].

وعنده أن مالكاً -رحمَه الله- يوم عاب العَجَلة في الأمور قال: «قرأ عبد الله بن عمر البقرة في ثمان سنين»[(٣)].

فعلى مَنْ أراد الحفظ أو الدراسة والتحصيل - أو أي عمل من أعمال الخير- أن يراعيَ سنَّة التدرج، وأن يترفَّق بنفسه، وأن يقتصر على ما يمكنه فهمه واستيعابه، فإنه بذلك يحصِّل علوماً كثيرةً جداً مع راحة نفسه وعدم إملالها.

* * * * *

(١) رواه ابن أبي شيبة [١٠/ ٤٦١]، وأبو نُعَيم [٢/ ٢١٩]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٤/ ٥١٢، ٥١٣] وهو مرسل، وأبو العالية تابعي ثقة.

(٢)«الجامع لشعب الإيمان» [٤/ ٥١١، ٥١٣].

(٣) «المرجع السابق» [٤/ ٥١١، ٥١٣].

القاعدة الخامسة:

الربط بين المحفوظات

من الإشكالات التي تحصل لكثير من الحفَّاظ – وفي حفظهم للقرآن بوجه خاص – أنَّ الواحد منهم يتوقف في بعض المواضع من القرآن – أثناء التلاوة أو التسميع– ولا يستطيع أن يُكمل ما بعدها، لا سيما في نهاية الصفحات أو الأرباع ونحوِها؛ وسبب ذلك هو عدم الربط بين المقاطع التي حفظها بعضها ببعض... فمثلاً :

إذا أراد حفظ مقطع معين من القرآن؛ فإنه يكرِّره عدداً من المرات حتى يتمكن من حفظه، فإذا أتقنه وحفظه، بدأ في المقطع الذي بعده مباشرةً دون أن يربط بينهما ولو بآيةٍ واحدة.. وهكذا في جميع المقاطع التي يريد حفظها.

وهذا من الخطأ في طريقة الحفظ؛ لأنه يجعل فواصل في الذهن بين كل مقطع وآخر، وربما لا يظهر هذا إلا على المدى البعيد، فتراهُ وهو يقرأ في الصلاة، أو أثناء تسميعه للآيات، يقرأ مُسْتَرسلاً، فإذا وصل عند نهاية مقطع من هذه المقاطع؛ إذا به يتلعثم ويتردد ويقف، وربما لا يستطيع

الإكمال إلا إذا ذُكِّرَ ببداية المقطع الذي بعده، فينطلق مسترسلاً في التلاوة إلى آخر المقطع الذي يحفظه، وهكذا.

ولِتجنُّب هذه الإشكالية لا بد من الربط بين المقاطع التي حفظها بعضها ببعض، فيأخذ آخر آية من المقطع القديم الذي حفظه من قبل، ثُمَّ يكررها مع آيات المقطع الجديد الذي بعده في أثناء حفظه له؛ حتى لكأنها آيةٌ منه، وهكذا يفعل في كل المقاطع بعضها مع بعض، وفي أواخر الصفحات والأرباع والأحزاب والأجزاء.. وبداياتها.. ومع كل سورة وأخرى.. بل: يفعل ذلك - إن استطاع - مع كل آيتين؛ بأن يقرأ عجُزَ الآية السابقة موصولةً بصدر الآية اللاحقة على شكل حَلَقاتٍ متداخلة.. في كل مقاطع حفظه... فإنه إن فعل ذلك أصبح حفظه قوياً جداً، ولم تَعُدْ هناك فواصل في ذهنه يقف عندها، بل يجد حفظه - بإذن الله تعالى - مسترسلاً متقناً في الآيات كلها.. وكذا السوَر أيضاً.

(ومما يلحقُ بعملية الربط أيضاً: حفظكَ لأوائل الأرباع، وأن تتصور أن كل جزء يشتمل على حزبين، والحزب يشتمل على أربعة أرباع، وحاول أن تركِّز في ذهنك على الجملة الأولى من كل رُبْع.

ولنأخذ مثالاً على ذلك: الجزء الأول من أول القرآن، نقسِّمه في الذاكرة إلى حزبين:

الحزب	الأرباع
الحزب الأول: وفيه أربعة أرباع:	الربع الأول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. الربع الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]. الربع الثالث: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤]. الربع الرابع: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [البقرة: ٦٠].
الحزب الثاني: وفيه أربعة أرباع:	الربع الأول: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٧٥]. الربع الثاني: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢]. الربع الثالث: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[البقرة: ١٠٦]. الربع الرابع: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ

	﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] .

وافعل هكذا في جميع الأجزاء؛ فإنَّ ذلك لا يكلِّفُك سوى دقائق معدودة، وسترى نتيجته الرائعة إذا واظبتَ عليه)[1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) «كيف تحفظ القرآن الكريم». د. يحيى غوثاني [ص ٥٤].

القاعدة السادسة:

التكرار أساس الحفظ

على طالب الحفظ ومريده أن يُكثر من التكرار، وأن يمرِّن نفسه على سرعة الحفظ والاستحضار، فإن الحفظ في أوله صعب وشاق، فإذا اعتاده الإنسان سَهُل عليه.

قال ابن شهاب الزُّهري -رحمه الله-: «إن الرجل يطلب العلم وقلبه شِعب من الشِّعاب[١]، ثُمَّ لا يلبث أنْ يصير وادياً لا يُوضع فيه شيءٌ إلا الْتهمَهُ».

وقال غيرُه: «كل وعاءٍ أفرغتَ فيه شيئاً فإنه يضيقُ، إلا القلب فإنه كلما أُفرغ فيه اتَّسع».

وكان الكياالهَرَّاسيّ[٢] - رحمه الله - يراجع درسَه أكثر من سبعين مرة.

---

(١) أي: صغير لا يتّسع لكثير من مسائل العلم.

(٢) من مشاهير علماء الشافعية. وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» [١٨/ ٤٥٢].

وكان أبو إسحاق الشيرازي –رحمه الله– يعيد الدرس مئة مرة إذا أراد أن يحفظه.

وقال الحسن بن أبي بكر النيسابوري–رحمه الله–: «لا يحصل الحفظ لي حتى يُعاد خمسين مرة».

وقال بشر بن السري–رحمه الله–: «إنما الآية مثل التمرة كلما مضغتَها استخرجت حلاوتَها».

وذكروا أنَّ فقيهاً أعاد الدرس في بيته مراراً كثيرةً، فقالت له عجوز في بيته: قد والله حفظتُه أنا، فقال: أعيديهِ؟ فأعادته، فلَمَّا كان بعد أيام قال: يا عجوز؛ أعيدي عليَّ ذلك الدرس؟ فقالت: ما أحفظُه، قال: أنا أكرر عدَّ الحفظ لئلاَّ يصيبني ما أصابك.

ومقدار الإعادة والتكرار يختلف من شخص لآخر، فمن عرف من نفسه جودة الحفظ، وإتقانه من مرة أو مرتين أو ثلاث، فليقتصر على ذلك، وإلا زاد في التكرار حتى يتقن محفوظه ويثبته.

وقد قيل: إن صاحب الذاكرة المتوسطة يحفظ بتكرار الآية من ثلاث إلى عشر مرات، وصاحب الذاكرة القوية يحفظ بتكرار الآية مرتين،

والضعيف يكرر من عشر مرات وحتى الخمسين حتى يحفظ[(١)].

وعن معاذ بن معاذ -رحمه الله- قال: «كنا بباب ابن عون، فخرج علينا شعبة، وقد عقد بيديه جميعاً، فكلَّمه بعضنا فقال: لا تكلِّمْني، فإني قد حفظتُ عن ابن عون عشرة أحاديث أخاف أن أنساها»[(٢)].

وقال أبو السمح الطائي- رحمه الله -: «كنت أسمع عمومتي في المجلس ينشدون الشعر، فإذا استعدتهم، زجروني وسبُّوني، وقالوا: تسمع شيئاً ولا تحفظه؟! قال: وكان الحفظ يتعذَّر عليَّ حِينَ ابتدأتُ أرومُه، ثُمَّ عوَّدته نفسي إلى أن حفظتُ قصيدة رُؤْبَة: «وقاتم الأعماقِ خاوي المخترق» في ليلةٍ، وهي قريب من مئتي بيت».

فالحفظ إنما يأتي بالتَّكرار والمِرَان، وكلما كان التكرار أكثر كلما كانت قاعدة الحفظ أقوى وأمتن.

وبعض طلاب الحفظ يكررون المقطع مرات يسيرة فيظنون أنهم حفظوه، فينتقلون لمقطع آخر؛ ومثل هؤلاء يُفاجئون بعد ذلك بتفلّتِ

---

(١) «الجامع والتركيز» [ص ١٠٥].

(٢) فيه فائدة: أن التكرار كلما كان بعد السماع مباشرةً كان أفضل وأثبت، وأنَّ خلْطَ ما يريد حفظه بكلام الناس ليس بجيد، وقد قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ١٩٣].

حفظهم منهم، ونسيانهم له، أو كثرة أخطائهم فيه... والسبب هو عدم التكرار؛ والواجب أن يكرِّر ويكرِّر حتى يستقر حفظه ويثبت، وقديماً قيل: «إذا تكرَّر تقرَّر»؛ وكل تكرار جديد ترسيخ للحفظ، وتخفيف للجهد المبذول في المراجعة.

والتكرار يكون بلفظ مسموع، أو يكون في النفس بلا صوت؛ وهو تمرير ما حفظه على ذاكرته دون تلفّظ، فإنه بذلك يُثبِّتُ صور المحفوظ، ومواضع الآيات، والهيكل العام لما حفظه.

قال سفيان الثوري - رحمَه الله -: «اجعلوا الحديث حديث أنفسكم، وفِكر قلوبكم تحفظوه»[١].

وقال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: «ما نمتُ ليلة إلا وأمررتُ أبواب الفقه على قلبي قبل النوم»[٢].

ولئن فعلوا هذا في غير القرآن، فهو مع القرآن أولى، وحصول الأجر به والنفع والبركة آكد؛ ففي الحديث القدسي: «**يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُهُ في نفسي، وإن ذكرني في**

(١) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ١٩٠].

(٢) «طبقات الشافعية للسبكي» [٨/ ٢١٣]، و«طبقات المفسرين» للداوودي [١/ ٣١٣].

ملإٍ ذكرتهُ في ملإٍ خير منهم، وإن تقرَّب إليَّ شِبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُهُ هَرْولةً»[١]، وأفضل ما ذُكر الله به كلامه؛ القرآن .

جعلني الله وإياك أُخيَّ؛ من أهل ذكره ومحبته وولايته وقربه، آمين.

* * * * *

(١) رواه البخاري [٧٤٠٥]، ومسلم [٢٦٧٥] من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً.



رفع الصوت والتغني بالتلاوة

وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجهر بالتلاوة

ينبغي على مَنْ أراد الحفظ أن يرفع صوته مع تكراره له، لاسيما إذا كان المحفوظ قرآناً [1] .

---

(١) ولا يتعارض رفع الصوت بالقرآن مع ما رواه أبو داود [١٣٣٣]، والتِّرمذي [٢٩٢٠]، والنسائي [٥/ ٨٠] من حديث عقبة بن عامر ﷺ مرفوعاً: «**فضل قراءة السر على قراءة العلانية، كفضل صدقة السر على صدقة العلانية**»، فإنه قد ثبت في أحاديث صحيحة: استحباب رفع الصوت بالتلاوة.

وطريق الجمع بين النصوص ما قاله الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» [١/ ٢٧٨، ٢٧٩]: «وطريق الجمع بين الأخبار والآثار المختلفة في هذا: إن كان الإسرار أبعد مِنَ الرياء فهو أفضل في حق مَنْ يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء بالجهر ورفع الصوت، فالجهر ورفع الصوت أفضل، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى غيره، والنفع المتعدي أفضل مِنَ اللازم، ولأنه يوقِظ قلب القارئ، ويجمع همه إلى الفكر فيه، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم ويزيد النشاط، ويوقظ غيره من نائم أو غافل وينشطه... قالوا: ومهما حضره شيء من هذه النيات

=

وذلك أنه كلما اشتركت حواس أكثر في الحفظ، كلما كان الحفظ أقوى، ومنفذ السمع إلى القلب أقوى من منفذ البصر إليه، ولهذا كان حفظ العميان أثبت وأقوى وأفضل من حفظ غيرهم.

وفي «الصحيح» عن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بتغنى بالقرآن، يجهر به**» (١).

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار**»(٢).

وعند ابن أبي داودَ، عن علي ﷺ: أنه سمع ضجة ناس في المسجد يقرؤون القرآن، فقال: طوبى لهؤلاء؛ كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ .

قال أبو هلال العسكري - رحمه الله -: «وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يُسمع نفسه، فإنَّ ما سمعَتْه الأذن رسخ في القلب،

فالجهر أفضل، فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر». وانظر أيضاً: «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ١٠٣ - ١٠٩].

(١) رواه البخاري [٥٠٢٣]، ومسلم [٧٩٢]، وأبو داود [١٤٧٣]، والنسائي [٢/ ١٨٠]، والحاكم [٢١٤٣]. ومعنى أذن: أي: استمع وهو إشارة إلى الرضا والقبول.

(٢) رواه البخاري [٤٢٣٢]، ومسلم [٢٤٩٩].

ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه، وإذا كان المدروس مما يفسح طريق الفصاحة، ورفع به الدارس صوته زادت فصاحته... وحُكي لي عن أبي حامد أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم، وكان يقول: «القراءة الخفيفة للفهم، والرفيعة للحفظ» [١].

وقال الزبير بن بكَّار- رحمه الله -: «دخل أبي، وأنا أُرَوِّي في دفتر ولا أجهر، أُرَوِّي فيما بيني وبين نفسي، فقال لي: إنما لك من روايتك هذه ما أدَّى بصرك إلى قلبك، فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها، فإنه يكون لك بذلك ما أدَّى بصرُك إلى قلبك، وما أدَّى سَمعُك إلى قلبك».

وينبغي في رفعه للصوت عند حفظه وتكراره أن يراعيَ الحالة التي هو عليها، والمكان الذي هو فيه، فإن كان في مسجد أو حلقة علم أو مكان يوجد معه فيه غيره؛ من ذاكر لله تعالى، أو مُصَلٍّ، أو قاريء للقرآن، أو نحو ذلك فإنه يُسِرُّ بالتلاوة حينئذ ولا يؤذي إخوانه.

وقد رَوَى أبو داودَ، من حديث أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ كان في المسجد فسمعهم يجهرون بالقرآن، فكشف السِّتر وقال: «**ألا كلكم مناجٍ**

---

(١) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ٣٧]، وقوله: الخفيفة: أي: الصوت المنخفض، والرفيعة: الصوت المرتفع.

ربه، فلا يؤذينَّ بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة»[١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) رواه أبو داود [١٣٣٢] في الصلاة.

المبحث الثاني: التغني وتحسين الصوت بالتلاوة

وينبغي عند رفع الصوت بالقرآن، أن يُحسِّن القارئ صوته ما استطاع، وأن يتغنى بتلاوته، وفي ذلك فوائد كثيرة:

منها: اتباع لسنَّة النَّبيِّ ﷺ واقتفاء لأثره.

ومنها: تثبيت الحفظ لأن التغنِّيَ مُحَبَّبٌ إلى النفس، وذلك يساعد على الحفظ، ويعوِّد اللسان على صوت معين، ونغمة معينة، فيتعرف على الخطأ رأساً عندما يختل وزن القراءة التي اعتادها للآية، فيشعر القاريء أن لسانه لا يطاوعه بالنطق عند الخطأ.

وقد رغَّبَ النَّبيُّ ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن والتغني به:

ففي حديث أبي هُرَيْرة ﷺ مرفوعاً: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به**»[1].

---

(١) تقدم تخريجه [ص ١٩٤] حاشية [١]، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في معنى قوله: «يتغنى بالقرآن» عن ابن الجوزي قوله: (اختلفوا في معنى «يتغنى به»،على أربعة أقوال؛ أحدها: تحسين الصوت. والثاني: الاستغناء. والثالث: التحزّن. والرابع: التشاغل به. تقول العرب: تغنى بالمكان إذا أقام به.

=

وعن عبد الله بن مغفل ﷺ قال: «رأيت النَّبيَّ ﷺ يقرأ وهو على ناقته [أو جمله] وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح [أو من سورة الفتح]، قراءة ليِّنة يقرأ وهو يُرجِّع»[1].

قال الحافظ ابن حجر: [وفيه قولٌ آخر حكاه ابن الأنباري في «الزاهر» قال: المراد به التلذذ والاستحلاء له كما يستلذ أهل الطرب بالغناء] إلى أن قال: [والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة، وهو أنه يُحسِّن به صوته جاهراً به مترنماً على طريق التحزين، مستعيناً به عن غيره مِنَ الأخبار، طالباً به غنى النفس، راجياً به غنى اليد، وقد نظمت ذلك في بيتين:

تغنَّ بالقرآن حسِّن به الصو ... تَ حزيناً جاهراً رنِّمِ

واستغنِ عن كُتب الأُلى طالباً ... غنى يدٍ والنفس ثُمَّ الزمِ

قال: ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع، وكان بين السلف اختلاف في جواز القراءة بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاعَ في ذلك]. وانظر: «فتح الباري» [٨/ ٦٨٦-٦٩٠]، فإنه مهم.

(١) رواه البخاري [٥٠٤٧]، باب الترجيع، كتاب «فضائل القرآن» وهو عند أبي داود [١٤٦٧]. قال ابن حجر - رحمَه الله -: [(الترجيع): هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله الترديد، وترجيع الصوت؛ ترديده في الحلق... وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع، فأخرج التِّرمذي في «الشمائل»، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي داود، واللفظ له من حديث أم هانيء - رضي الله عنها - قالت: «كنت أسمع صوت النَّبيِّ ﷺ وهو يقرأ، وأنا نائمة على فراشي يُرجّع القرآن»، والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل، فعند أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال: «بِتُّ مع عبد الله بن مسعود في داره، فنام ثُمَّ قام، فكان يقرأ قراءة

=

وفي رواية: قال معاوية بن قُرَّة – أبو إياس – الراوي عن عبد الله بن مغفل ﷺ: [لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعْتُ كما رجَّع].

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال له: «**مَنْ لم يتغن بالقرآن فليس منا**»(١) أي: مَنْ لم يُحسِّن صوته في تلاوة القرآن.

الرجل في مسجد حَيِّهِ لا يرفع صوته، ويُسمِعُ مَنْ حوله، ويرتل ولا يُرجِّع». وقال الشيخ محمد بن أبي جمرة: معنى الترجيع: تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة.

قال: وفي الحديث ملازمته ﷺ للعبادة لأنه حالة ركوبه الناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة، وفي جهره بذلك إرشاد إلى أن الجهر بالعبادة قد يكون في بعض المواضع أفضل مِنَ الإسرار، وهو عند التعليم وإيقاظ الغافل ونحو ذلك]. «فتح الباري» [٨/ ٧١٠].

وقد سأل شعبة أبا إياس [وهو معاوية بن قُرَّة] الراويَ عن عبد الله بن مُغفَّل ﷺ قال شعبة: قلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: ءآ ءآ ءآ، ثلاث مرات [بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة، ثُمَّ همزة أخرى].

قال ابن بطال: [في هذا الحديث إجازة القراءة بالترجيع والألحان الملذذة للقلوب بِحسن الصوت، وقول معاوية: «لولا أن يجتمع الناس»، يشير إلى أن القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء، وتستميلها بذلك حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع، وفي قوله (آ) بمد الهمزة والسكوت؛ دلالة على أنه ﷺ كان يُراعي في قراءته المد والوقف]. « فتح الباري » [١٣/ ٥٢٥]، كتاب التوحيد.

(١) رواه البخاري [٧٥٢٧]، وهو عند أبي داود [١٤٧٠]، وأحمد [١/ ١٧٢]، وابن ماجه [١٣٣٧]، والدارمي [١٤٩٨]، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

وقيل لابن أبي مُليكة: يا أبا محمد! أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يُحسِّنه ما استطاع[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال له: «**لقد أُوتِيتَ مِزماراً من مزاميرِ آل داود**» وفي رواية: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**»[٢].

والمراد بالمزمار هنا: الإشارة إلى حسن صوته ﷺ.

قال في «النهاية»: «شبَّه حُسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار»[٣].

---

(١) رواه أبو داود [١٤٧١].

(٢) رواه البخاري [٥٠٤٨]، ومسلم [٧٩٣]، والتِّرمذي [٣٨٥٤].

ونقل الحافظ في «فتح الباري» [٨/ ٧١١] عن الخطابي أنه قال: [قوله «آل داود» يريد داود نفسه، لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود ولا أقاربه، كان أُعطي من حُسنِ الصوت ما أعطي].

وقال الحافظ ابن حجر: [ومما نقل عن السلف في حسن صوت داود - عليه السَّلام - ما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما-: أن داود كان يقرأ الزبور بِسبعين لحناً، ويقرأ قراءةً يطرب منها المحموم. وكان إذا أراد أن يُبكي نفسه لم تَبْقَ دابة في برٍّ ولا بحرٍ إلا أنصتت له واستمعت وبكت]. «فتح الباري» [٨/ ٦٨٩].

وقوله: (لو رأيتني وأنا أستمع)، الواو فيه للحال. وجواب لو محذوف أي: لأعجبك ذلك. صحيح مسلم [١/ ٥٤٦] حاشية (٤). ط. محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العلمية.

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» [٢/ ٣١٢]، ط. البابي الحلبي. مصر.

ولحُسنِ صوته ﷺ كان الصحابة يطلبون منه القراءة ويستمعون إليه؛ فعن أبي سلمة قال: كان عمر إذا جلس عنده أبو موسى قال له: ذكّرنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده[1].

وقال أبو عثمان النهدي: «ما سمعت مزماراً ولا طنبوراً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري، إنْ كان ليصلي بنا فنودُّ أنه قرأ البقرة من حسن صوته»[2].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «سمعت النَّبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه»[3].

وعنه ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**حسّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً**»[4].

---

(١) «سنن الدارمي» [٣٤٩٦] في فضائل القرآن.

(٢) «نزهة الفضلاء» [١/ ١٦٩].

(٣) رواه البخاري [٧٦٧]، ومسلم [٤٦٤].

(٤) رواه الحاكم [١/ ٥٧٥]، والدارمي [٢/ ٤٧٤]، وابن نصر في «الصلاة» [ص ٥٤]، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٧٧١]. و«صحيح الجامع الصغير» [٣١٤٥].

وعنه مرفوعاً: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»(١).

فتحسين الصوت بتلاوة القرآن يزيده حلاوة وطلاوة، وحسناً وتأثيراً، ونفوذاً إلى القلب بإذن الله تعالى.

ولهذا يستحب للقاريء أن يُحسِّنَ صوته ما استطاع، وليس ذلك من الرياء في شيء كما يظنه بعض الموسوسين، وقد وُصف كثير من السلف الصالح بحسن أصواتهم ولو كان ذلك من الرياء لتركوه.

وقد قال أبو موسى الأشعري ﷺ لَمَّا عَلِمَ أن النَّبيَّ ﷺ كان يستمع إليه في قراءته: «لو علمت لحبرته لكَ تحبيراً»(٢).

وأخرج ابن أبي داودَ من طريق ابن أبي مسجعة قال: «كان عمر يُقدِّم الشاب الحسن الصوت؛ لحسن صوته بين يدي القوم»(٣).

وعن علقمة قال: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يرسل إليَّ، فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي قال: «زدنا

---

(١) رواه أحمد [٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٤]، وأبو داود [١٤٦٨]، والنسائي [٢/ ١٧٩، ١٨٠]، وابن ماجه [١٣٤٢]، والحاكم [٢١٤٥]وابن حبان [٧٤٩، ٧٥٠] وقال الشيخ شعيب: «إسناده صحيح»، وهو في «صحيح الجامع الصغير» [٣٥٨٠]

(٢) «فتح الباري» [٨/ ٧١١].

(٣) «فتح الباري» [٨/ ٧١١].

فداك أبي وأمي»[١].

وعن الأعمش قال: «كان يحيى بن وثَّاب من أحسن الناس قراءة، وربما اشتهيت أن أُقبِّل رأسه من حسن قراءته. وكان إذا قرأ لا تُسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد»[٢].

وقال أبو بكر بن عيَّاش: «لما هلك أبو عبد الرحمن - أي السُّلمي -، جلس عاصم[٣] يُقرِيءُ الناس، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن حتى كأن في حنجرته جلاجل».

واقرأ تراجم القوم تجد من ذلك شيئاً كثيراً.

وقال النَّووي - رحمَه الله -: «اعلمْ انَّ جماعات من السلف كانوا يَطْلِبُون من أصحاب القراءة بالأصواتِ الحسنةِ أن يقرؤوا عليهم وهم يستمعون، وهذا متفقٌ على استحبابه، وهو عادةُ الأخيار والمُتعبِّدين وعبادِ الله الصالحين، وهو سنةٌ ثابتةٌ عن رسول الله ﷺ ... »[٤].

* * * * *

(١) «نزهة الفضلاء» [١/ ٣٣٢].

(٢) «نزهة الفضلاء» [١/ ٤٠٢].

(٣) هو عاصم بن أبي النجود. وانظر: «نزهة الفضلاء» [١/ ٤٨٧].

(٤) «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ١١٢، ١١٣]ط. مكتبة المؤيد.

المبحث الثالث: الوسطية والاعتدال

ويجب على مَنْ يتغنَّى بالتلاوة، ويحسن صوته فيها، ويرفع صوته بها أن يراعيَ أحكام التلاوة والتجويد، وأن لا يكون تجميل صوته وتحسينه على حساب هذه الأحكام فيطيل في الغنن والمدود، ولا يراعي أماكن الوقف والابتداء، والتي وضعَها القُرَّاءُ مراعاةً للمعاني، ولا يهتم بالتفخيم والترقيق، أو الإخفاء، أوالإقلاب، أوالإدغام، أوغير ذلك من أحكام التلاوة المعروفة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، فترتيل القرآن وتجويده واجبٌ؛ لأن الله أمرنا بذلك، والأصل في الأمر أنه للوجوب إلا إن صرفته القرينة للاستحباب، وليس ثَمَّ قرينة هنا تصرفه لغيرِه.

ولذا قال الإمام الحافظُ شمس الدين ابن الجزري - رحمه الله - في مقدمته:

والأخذ بالتجويد حتمٌ لازمُ   مَنْ لَمْ يُجَوِّد القرآن آثِمُ
لأنه به الإله أَنْزَلاَ   وهكذا منه إلينا وصَلا

ومع ذلك: لا ينبغي أن يدفعه الحرص على القراءة بالتجويد إلى أن

يكون مُوسْوَسَاً فيقرأ الآية مرات كثيرة، ويدقق في إخراج الحروف من مخارجها، ويشق على نفسه، ويجهدها فوق طاقتها، والشيطان من ورائه بالمرصاد، يوهمه مع كل هذا التعب أنه أخطأ، وما أخرج هذا الحرف أو ذاك من مخرجه، فلا بد من التوسط والاعتدال..

قال ابن الجزري - رحمه الله -: «ليسَ التجويدُ بِتَمْضِيغ اللسان، ولا بتقعيرِ الفَمِ، ولا بتعويجِ الفَكِّ، ولا بترعيدِ الصَّوتِ، ولا بتمطيط الشَّدِّ، ولا بتقطيع المَدِّ، ولا بتطنينِ الغُنَّاتِ، ولا بحَصْرَمَةِ الرَّاءاتِ، قِراءةً تَنْفُرُ عنها الطِّباعُ، وتَمُجُّها القُلُوبُ والأسماعُ ؛ بلِ القِراءةُ السَّهْلَة العذبةُ الحُلْوة اللَّطيفةُ، التي لا مَضْغَ فيها ولا لَوْكَ، ولا تَعَسُّفَ ولا تكلُّف، ولا تصنُّعَ ولا تَنطُّعَ، ولا تخرُجُ عن طِباعِ العربِ وكلامِ الفُصَحاء، بوَجْهٍ من وُجوه القراءاتِ والأداء»(١).

ولله در القائل(٢):

يا مَنْ يرومُ تلاوةَ القرآنِ ويرودُ شأوَ أئمَّةِ الإتقانِ
لا تحسبِ التجويدَ مَدّاً مُفرِطاً أو مدَّ ما لا مدَّ فيه لواني

---

(١) «النشر» [١/ ٢١٣] ط. دار الفكر، بيروت. بتحقيق: علي محمد الضبّاع.

(٢) قاله الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي [ت: ٦٤٣هـ] - رحمَه الله تعالى- ، في مطلع قصيدته المسماة «عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد».

أو أنْ تشدِّد بعد مَدٍّ همزةً أو أنْ تلوكَ الحرف كالسَّكرانِ
أو أنْ تفوهَ بهمزةٍ مُتَهَوِّعاً فيفرُّ سامِعُها من الغثيانِ
للحرفِ ميزانٌ فلا تكُ طاغياً فيهِ ولا تكُ مُخسِرَ الميزانِ
فإذا همزتَ فجِيءْ به متلطِّفاً من غير ما بُهرٍ وغير توانِ
وامدُدْ حروفَ المدِّ عند مسكَّنٍ أو همزةٍ حَسَناً أخا إحسانِ

وقال الإمام النَّووي - رحمَه الله -: «قال العلماء رحمَهم الله تعالى: فيُستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها؛ ما لَمْ يخرج عن حدِّ القراءة بالتمطيط، فإن أفرَط حتى زاد حرفاً أو أخفاهُ فهو حرام».

وقال الإمام الماوردي - رحمه الله - في كتابه «الحاوي»: «القراءة بالألحان الموضوعة إنْ أخرجت لفظ القرآن عن صيغتِه بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود أو مد مقصور، أو تمطيط يخل به اللفظ، ويلتبس به المعنى، فهو حرام يفسق به القاريء، ويأثم به المستمع، لأنه عدَل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٨]، قال: فإن لَمْ يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله، كان مباحاً، لأنه زاد بألحانه في تحسينه».

قال الإمام النَّووي - رحمَه الله - عقب هذا الكلام مباشرة: «وهذا

القسم الأول[١] من القراءة بالألحان معصية ابتلي بها بعض العوام الجهلة، والطغام الغشمة، والذين يقرؤون على الجنائز، وفي بعض المحافل، وهذه بدعةٌ محرَّمةٌ ظاهرةٌ يأثم كل مستمع لها، كما قاله أقضى القضاة «الماوردي»: ويأثم كل قادر على إزالتها أو النهي عنها إذا لَمْ يفعل ذلك»[٢].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) يعني: ما خرَج به القاريء عن حدِّ الاعتدال فأخلَّ باللفظ أو المعنى.

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي [ص ١١١، ١١٢].

وانظر لمزيد بيان في مسألة القراءة بالألحان: «مقدمة تفسير الإمام القرطبي» باب: كيفية التلاوة لكتاب الله وما يكره منها وما يحرم [ص ٤٢-٥٦] ط. دار ابن حزم، و«سنن القرَّاء» [٩٣ - ١٠٩]، و«كيف نتعامل مع القرآن» [ص ١٦٠ - ١٦٧].

القاعدة الثامنة:

العمل بما يحفظُه ويتعلمه

أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «فضائل القرآن» عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في تأويل قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ** ﴾ [البقرة: ١٢١]؛ قالوا: «يتَّبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله»(١).

وروى ابن جرير الطَّبري بسندِه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلاله ويُحَرِّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلمَ عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئاً على غير تأويلِه».

وورد مثله عن قتادة، والحسن، وغيرهما من السلف(٢).

---

(١) «فتح الباري» [١٣/ ٥١٧، ٥١٨] كتاب التوحيد، و«تفسير ابن جرير» [٢/ ٤٩٠].

(٢) «تفسير ابن جرير» [٢/ ٤٨٧ - ٤٩٢].

وعن مجاهد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] قال: «عمرك أن تعمل فيه لآخرتك».

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه عن حال نبيه شعيب عليه السَّلام مع قومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾ [هود: ٨٨]، وأَمَر سبحانه رسوله بالتمسك بهذا الوحي، وإلزام نفسه العمل به فقال: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأهل القرآن هم العالمون بمعانيه، العاملون بما فيه، وإن لَمْ يحفظوه عن ظهر قلب، وأما مَنْ حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإنْ أقام حروفه إقامة السهم.

فمن أراد أن يثبت له حفظه، وأن ينال في الآخرة أجره وحظه، فليعمل بكل حرف يتعلمه من كتاب الله تعالى ومن حديث النَّبيِّ ﷺ، وأن لا يجعل حظه من القرآن مجرد التلاوة والسماع، وإلا كان هذا القرآن سبباً في شقائه وهلاكه، والعياذ بالله.

فكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه[١]! والقرآن إما حجة لك أو حجة عليك، فإن أحسنتَ تلاوتَه وفهمه والعمل به مع الإخلاص لله فيه، فاعلم أنك من الناجينَ المُقرَّبين، وأنك في جنان الخلد، وفي جوار الرب - تبارك وتعالى - وأما إن تلوتَه وحفظته؛ فلم تخلص لله في تلاوته وحفظه، ولم تعمل بما حفظته منه وتعلمته، فالنار النار.

فاجعل حفظك للقرآن، حفظ عمل ورعاية، لا حفظ قراءة وتلاوة؛ فإن حُفَّاظ القرآن كثير، والعاملين به أقل من القليل، ورُبَّ حاضرٍ كالغائب، وعالم كالجاهل، ورُبَّ حافظ للقرآن وليس معه منه شيءٌ؛ إذ كان في تركِه للعمل به بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة قبل أن يتعلمه قومٌ، يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثةٌ: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله**»[٢].

---

(١) رُوي عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «رُبَّ قاريءٍ للقرآن والقرآن يلعنه»، وقال بعض العلماء: «إنَّ المرء ليتلو القرآن فيلعن نفسه، وهو لا يعلم، يقول: ألا لعنة الله على الظالمين؛ وهو ظالم! ألا لعنة الله على الكاذبين، وهو منهم!».

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» [ص ٧٤]، والبغوي في «شرح السنَّة» [١١٨٢]. وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٥٨].

وعن معاوية ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**اقرؤوا القرآن، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تَجْفو عنه، ولا تغلو فيه**»[١].

وعن النواس بن سمعان ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**يُؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله، الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحآجَّان عن صاحبهما**»[٢].

فتأمل قوله: «**الذين كانوا يعملون به في الدنيا**».

ولقد كان أصحاب النَّبيِّ ﷺ ، ومَنْ جاء من بعدهم من التابعين ومن سلك سبيلهم يعملون بما يتعلَّمون، وما أكثروا من العلم إلا وأكثروا معه من العمل، وهذا أحدُ أهمِّ الأسباب في قلة الحُفَّاظ الذين جمعوا القرآن كله في حياة النبي ﷺ، وإن كان الواحد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، لا يخلو من حفظ بعض القرآن.

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي - رحمَه الله -: «إنا أخذنا هذا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آياتٍ لَمْ يجاوزوهنَّ إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهنَّ، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرثُ

---

(١) رواه أحمد [٣/ ٤٢٨، ٤٤٤]، والطبراني في «المعجم الأوسط» [١/ ١٤٢]، [٢/ ١٧٠]، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٦٠].

(٢) رواه مسلم [٨٠٥]، والتِّرمذي [٢٨٨٦].

القرآنَ بعدنا قومٌ لَيشـربونه شُرب الماء لا يُجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هَاهُنا ، ووضع يده على حلقه»(١).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «كان الرجل منّا إذا تعلَّم عشر آيات لم يُجاوزهنَّ حتى يعرفَ معانِيَهُنَّ، والعمل بهنَّ»(٢).

وقال جندب بن عبد الله ﷺ: «كنّا مع النبي ﷺ ونحن فِتيانٌ حَزاوِرَةٌ(٣)، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً »(٤).

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» [١٠/ ٤٦٠]، و«طبقات ابن سعد» [٦/ ١٧٢]، وانظر ما تقدم هنا في قاعدة (٤): «الاقتصاد والتدرج» [ص ١٨١] .

(ولذلك نستحسن أن توضع المناهج في تحفيظ القرآن على هذا الأساس، فلا يَكْتَفِي التلميذ المبتديء بحفظ نص الآيات وتجويدها، بل يُعطى شيئاً من تفسيرها وفقهها، على قدر مستواه والمرحلة التي يجتازها، فيُقَسَّمُ منهج الحفظ إلى دروس، كل درس يتكوَّن من خمس آيات أو عشر آيات يتعلم تجويدها، وحفظها، وتفسيرها، وما فيها من فقه في وقت واحد، فهذا أقوى حتى لحفظ النص، ومن التزم ذلك نرجوا أنه يُبارَكُ له جزاءَ اقتدائه بالمنهج النبوي).نقلاً عن «سنن القراء» [ص ٢٩].

(٢) «تفسير الطبري» [١/ ٣٥] ط. عيسى الحلبي ١٩٦٨م.

(٣) حزاوِرَةٌ: جمع حزْوَر وحَزَوَّر، وهو الذي قارب البلوغ. «النهاية» [١/ ٣٨٠].

(٤) رواه ابن ماجة [٦١]، والطبراني في «المعجم الكبير» [١٦٧٨]، وابن مندة في «الإيمان» [٢٠٨].

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «لقد عشنا بُرْهَةً من دهرنا وإنَّ أحَدَنا ليُؤتى الإيمانَ قبل القرآن، وتنزل السورةُ على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقَفَ عنده منها، كما تَتَعلَّمون أنتُمُ اليومَ القرآن، ولقد رأيتُ اليوم رجالاً يُؤتى أحدُهُمُ القرآن قبلَ الإيمان، فيقرأ مابين فاتحته إلى خاتمته، مايدري ما آمِرُهُ، ولا زاجِرُهُ، ولا ماينبغي أن يوقَفَ عنده منه، ويَنثِرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ»[1].

وكان ابن مسعود ﷺ يقول: «أُنزل عليهم القرآن ليعملوا به، فاتخذوا درسَه عملاً، وإن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرف، وقد أسقط العمل به».

وقال الحسن البصري - رحمَه الله -: «إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً تركبونه، فتقطعون به المراحل. وإنَّ مَنْ كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، وينَفِّذونها في النهار».

وفي موطأ الإمام مالك - رحمَه الله -: «أنه بلغه أن عبد الله بن عمر

(١) رواه الحاكم [١٠١]، والبيهقي [٣/ ١٢٠]، وابن منده في «الإيمان» [٢٠٧]، و«الدَّقَل»: رديءُ التمرِ أو يابسُهُ، يكون لرداءتهِ ويُبسِه منثوراً لا يجتمعُ بعضُهُ إلى بعض. «النهاية»[٢/ ١٢٧].

- رضي الله عنهما - مكث على سورة البقرة ثمانيَ سنين يتعلمها»[١].

وما ذلك إلا لأنه يتعلمها ليعمل بما حوته من أحكام فيأتمرَ بأوامرها، وينتهيَ عن نواهيها، ويقف عند حدود الله فيها.

ولهذا قال ابن مسعود ﷺ: «إنَّا صَعُبَ علينا حفظ ألفاظِ القرآن، وسَهُلَ علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ ألفاظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به»[٢].

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما - قال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به!»[٣].

وقال معاذ بن جبل ﷺ: «اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يأجركم الله بعلمكم حتى تعملوا»[٤].

---

(١) «الموطأ» كتاب القرآن، باب ماجاء في القرآن [١/ ٢٠٥].ط. دار إحياء الكتب العربية، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) «مقدمة تفسير القرطبي» [ص ١٠٥]ط. ابن حزم.

(٣) رواه الآجرّي في «أخلاق حملة القرآن» [ص ٤٠].

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» [١/ ٦٩٣] ط. ابن الجوزي.

(ولا غرو – بعدَ ما تقدَّم – أن كان قرَّاء القرآن من الصحابة – رضوان الله عليهم – أول الناس في صفوف الصلاة في المسجد، وأول الناس في صفوف الجهاد في الميدان، وأول الناس فعلاً للخير في المجتمع.

وفي معركة اليمامة الشهيرة، قال حذيفة ﷺ: «يا أهل القرآن، زيِّنوا القرآن بالفعال». وقال سالم مولى أبي حذيفة يوم اليمامة؛ وقد قال له المهاجرون، وهو حامل لوائهم: أتخشى أن نُؤْتى من قِبَلك؟ قال: «بئس حامل القرآن أنا إنْ أُتيتم من قِبَلي»[(١)].

وفي معركة اليمامة – في حروب الردة، ومقاتلة مسيلمة الكذاب ومن معه من المرتدين – قُتل عدد كبير من القراء، لأنهم كانوا في المقدمة أبداً، حتى قيل: إنهم نحو السبع مئة، وهذا ما دعا إلى جمع القرآن وتدوينه خشية ذهاب القرَّاء في معارك الجهاد)[(٢)].

وقد ذمَّ الله أقواماً في كتابه الكريم لأنهم تركوا العمل بما علموه من العلم والخير، فقال سبحانه: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

---

(١) «البداية والنهاية» [٦/ ٣٢٤]، ط. بيروت.

(٢) «كيف نتعامل مع القرآن» [١٤٣، ١٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

أين عقولكم يامن تعلمون الخير الكثير ولا تعملون به؟!.

أين عقولكم يامن تُوجِّهون الناس إلى الخير وتدعونهم إليه، ثُمَّ تخالف أعمالكم ما لاكته ألسنتكم! وأمَرتم به غيركم؟!!.

قال الإمام القرطبي - رحمَه الله -: «اعلم وفقك الله أنَّ التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذمَّ الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها؛ وبَّخَهم به توبيخاً يُتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة فقال: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ ﴾ الآية.

وقال منصور الفقيه فأحسن:

إنَّ قوماً يأمُرُونَا بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هُمْ لم يكونوا يُـصْرَعونا

وقال أبو العتاهية:

وصفتَ التُقى حتى كأَنكَ ذو تقىً ... وريحُ الخطايا من ثيابك تسطعُ

وقال أبو الأسود الدؤلي:

يا أيُّها الرجل المعلِّمُ غيرَه ... هلَّا لنفسِكَ كان ذا التعليمُ

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيمُ

وأراك تُصلح بالرشاد عقولنا ... نصحاً وأنت من الرشاد

ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

فهناك يُقبل ما تقول ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليمُ

لا تنهَ عن خلُقٍ وتأتيَ مثلَه ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

وقال سَلْم بن عمرو:

ما أقبح التزهيدَ من واعظٍ ... يُزهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ

لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ

إنْ رَفضَ الدنيا فما بالُهُ ... يستمنحُ الناسَ ويسترفِدُ

والرزق مقسومٌ على مَنْ ترى ... ينالُهُ الأبيضُ والأسودُ»[١]

وروي عن أبي جعفر بن علي، في قول الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤] قال: قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم وخالفوه إلى غيره[٢].

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

---

(١) «تفسير القرطبي» [١/ ٢٤٩، ٢٥٠].بتصرف.

(٢) «المرجع السابق» [١/ ١٧].

ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

وهذا مثل كل من أوتي علماً وفقهاً في الدين، وحفظاً لنصوص الوحي الكريم ثُمَّ لا يعمل بذلك، مثله في الدنيا «كالحمار يحمل أسفاراً» وياقبحه من مثل.. ومثله كذلك في الآخرة.

فعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**يُؤتَى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتابُ بطنه** [١]**، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان! ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمرُ بالمعروف ولا آتيه؛ وأنهى عن المنكر وآتيه**»[٢].

وعن جندب بن عبد الله ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مثل الذي يعلم الناس**

---

(١) «أقتابُ بطنه» أي: أمعاؤه. والحديث رواه أحمد [٢١٨٠٠] ط. الرسالة، والبخاري [٣٢٦٧،٧٠٩٨]، ومسلم [٢٩٨٩]، وانظر: «فتح البَارِي» [١٣/ ٥٥-٥٧].

(٢) قال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه «الفوائد» [ص ٦١]: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً، كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدِلاَّء، وفي الحقيقة قطَّاع طرق».

الخير وينسى نفسه كمثل السراج يُضيءُ للناس ويحرق نفسه»[١].

وقال الشافعي - رحمَه الله -: «ليس العلم ما حُفظ، إنما العلم ما نفع».

وقال إسماعيل بن إبراهيم بن مجمع بن جارية - رحمَه الله -: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به».

وقال سفيان بن عيينة - رحمَه الله -: «أجهل الناس مَنْ ترك ما يعلم، وأعلم الناس مَنْ عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله».

وقال الفُضيل بن عياض - رحمَه الله -: «لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً».

وقال الفضيل أيضاً: «رهبةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادتهُ في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة، مَن عمل بما علم استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفَّقه الله لما لا يعلم، ومن ساء خُلقُه شان دينَهُ وحسبَه ومروءتَه».

---

(١) قال الهيثميُّ في «المجمع» [١/ ١٨٤،١٨٥]: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون». وعزاه السيوطي للطبراني، والضياء. «فيض القدير» [٥/ ٥٠٨]، والحديث صححه الألباني في: «اقتضاء العلم العمل» [ص ٤٩].

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: «إن العالم إذا لَمْ يعمل بعلمه زلَّت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا».

وقال الشعبي - رحمَه الله -: «إنَّا لسنا بالفقهاء، ولكنَّا سمعنا الحديث فرويناهُ، ولكن الفقهاء؛ مَنْ إذا علم عملَ. وقال: ياليتني أنفَلِتُ من علمي كفافاً لا عليَّ ولا لي. وكان يقول: ليتني لَمْ أكن علمتُ من ذا العلم شيئاً». وقال الإمام الذَّهبي - رحمه الله - معلِّقاً على كلامه: «لأنه حجةٌ على العالم فينبغي أن يعمل به، وينبه الجاهل، فيأمره وينهاهُ، ولأنه مظنةُ أن لا يُخلص فيه وأن يفتخر به، ويماريَ به، لينال رئاسةً ودنيا فانية»[1].

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»[2].

وقال الخطيب البغدادي - رحمَه الله -: «ثُمَّ إني مُوصيك ياطالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يُعَدُّ عالماً مَنْ لَمْ يكن بعلمه عاملاً، فلا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٤/ ٣٠٣، ٣١٢].

(٢) رواه الدارمي [١/ ١٣١]، والتِّرمذي [٢٤١٧] وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في: «اقتضاء العلم العمل» [ص ١٦]، و«صحيح التِّرمذيِّ» [١٩٧٠/ ٢٥٤٥].

تأنس بالعمل ما كنت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصِّراً في العمل، لكن اجمع بينهما وإن قلَّ نصيبك منهما»(١).

وقال بعض الحكماء: «العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لَمْ يطلب علم، ولولا العلم لَمْ يطلب عمل، ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إليَّ من أن أدعه زهداً فيه».

وقال مالك بن دينار - رحمَه الله -: «إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه، وإذا طلبه لغير ذلك ازداد به فجوراً، أو فخراً».

وقال أيضاً: «تلقى الرجل وما يلحن حرفاً، وعمله لحنٌ كله».

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «لا يغررْكم مَنْ قرأ القرآن، إنما هو كلام نتكلم به، ولكن انظروا مَنْ يعمل به».

وعن الفضيل بن عياض - رحمَه الله - قال: «إنما نزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً. قيل: وكيف العمل به؟ قال: يُحِلُّوا حلاله ويُحرِّموا حرَامَه، ويأتمروا بأوامره، وينزجروا عن زواجره، ويقفوا عند عجائبه».

وقال أيضاً: «كفى بالله محباً، وبالقرآن مُؤْنِساً، وبالموت واعظاً،

---

(١) «اقتضاء العلم العمل» [ص ١٤، ١٥] بتصرف.

وبخشية الله علماً، وبالاغترار جهلاً».

وقال أيضاً: «يا مسكين! أنت مُسيءٌ وترى أنك مُحسن، وأنت جاهلٌ وترى أنك عالم، وتبخل وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلُك قصير، وأمَلُك طويل».

وعقَّب الذهبي - رحمه الله - على كلامه قائلاً: «إي والله، صدق؛ وأنتَ ظالم وترى أنك مظلومٌ، وآكلٌ للحرام وترى أنك متورع، وفاسقٌ وتعتقِدُ أنك عَدْلٌ، وطالبُ العلم للدنيا وترى أنك تطلُبه لله».

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: «الله الله في العمل بالعلم فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين مَنْ ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لذات الدنيا وخيرات الآخرة»[1].

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: «رحمَ الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب»[2].

فعلى مَنْ أراد العلم والحفظ في الدنيا، والنجاة والسعادة في الآخرة؛

---

(١) «صيد الخاطر» [ص ٢١٨].

(٢) «أخلاق حملة القرآن» [ص ١١٥].

أن يعمل بكل حرف درسه وتعلمه وحفظه.

وإن من فوائد العمل بالمحفوظ من العلم:

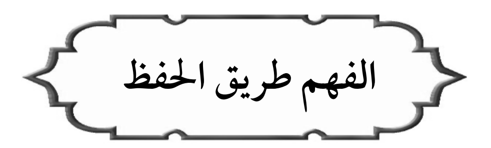
١- تثبيت الحفظ وقد رُوي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل».

٢- أن يكون في المحفوظ من العلم وإن كان قليلاً بركةٌ ونفعٌ، وقد قيل: «مَنْ عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

وإنَّ لكل شيءٍ زكاة، وزكاة العلم العمل به، فما أديت زكاته بورك فيه، وحصل به النفع، وإلا محقت بركته .

* * * * *

القاعدة التاسعة:



الفهم طريق الحفظ

قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢][1].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

---

(١) انظر في تفسير هذه الآية: «تفسير القرطبي» [١٦/ ٢٤٦]، و«فتح القدير» ط. دار الخير [٥/ ٤٥]، و«تيسير الكريم الرحمن» [٧/ ٨٠]، وانظر أيضاً: «أضواءالبيان» [٧/ ٤٢٨، ٥٢٩] ط. مكتبة ابن تيمية، فقد توسَّع في الكلام عليها، وأتى بمسائل يحسن بطالب العلم معرفتها والوقوف عليها.

[محمد: ٢٤].

لقد دَلَّتْ هذه الآيات - وما في معناها - على وجوب التدبُّر في القرآن ليعرف معناه.

وذلك لأن التدبر هو الطريق إلى إدراك معاني القرآن، وفهم مراميه، ومعرفة أحكامه وتكاليفه، وهذا من آكد الواجبات.

وإن الفهم والتدبُّر(1) للآيات المحفوظة، ومعرفة أوجه ارتباط بعضها ببعض؛ لَمِن أعظم ما يعين على حفظ القرآن، ولذا ينبغي على الحافظ للقرآن أن يقرأ تفسيراً للآيات التي حفظها، وأن يعلم أوجه ارتباط بعضها ببعض، وأن يكون حاضر الذهن عند القراءة، وذلك ليسهل عليه استذكار الآيات واستحضارها.

و[يقرر العلم الحديث سهولة الحفظ والاستذكار وتفاوتهما تفاوتاً مطرداً مع ما تنطوي عليه المادة من معنى، إذ يُمكن حفظ نصٍّ ما ذاخرِ المعاني، خلال عُشر - بضم العين- عدد مرات التكرار المطلوبة لحفظ نص مماثل خال من

(١) التدبر: هو النظر في أدبار الأمور، أي: مآلاتها وعواقبها، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب أو العقل بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب. «كيف نتعامل مع القرآن» [ص ١٦٩].

المعنى[(١)].

والقرآن الذي أُمرنا بالتدبر فيه ذاخر بالمعاني التي تُجيش العاطفة، وتُثير الوجدان... وبهذا تكون المادة القرآنية أخصب المواد قاطبة للحفظ][(٢)].

[ومع ذلك ينبغي أن لا يجعل الاعتماد في حفظه على الفهم وحده للآيات، بل يجب أن يكون الترديد للآيات هو الأساس، وذلك حتى ينطلق اللسان بالقراءة وإن شَتَّ الذهن أحياناً عن المعنى.

وأما مَنْ اعتمد على الفهم وحده فإنه ينسى كثيراً، وينقطع عن القراءة بمجرد شتات ذهنه، وهذا يحدث كثيراً، وخاصة عند القراءة الطويلة][(٣)].

وقد ذم النَّبيُّ ﷺ أقواماً لكونهم يقرؤون القرآن ولا يتدبرونه ولا يفهمونه، فهم يتلونه ولا يجاوز تراقيَهم وحناجرهم؛ ففي الحديث: «**يخرج قومٌ في آخر الزمان - أو في هذه الأُمة - يَقرؤون القرآن لا يُجاوزُ تراقِيَهُم - أو**

---

(١) «المدخل إلى علم النفس» [ص ٢١].

(٢) «كيف تحفظ القرآن الكريم» د. عبد الرب نواب الدين [ص ٨٧، ٨٨].

(٣) «القواعد الذهبية» لعبد الرحمن عبد الخالق.

حُلُوقَهم -، سيماهم التحليقُ، إذا رأيتموهم أو إذا لقيتموهم فاقتلوهم»[١].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قومٌ من أُمتي يَقرؤون القرآنَ، ليس قراءَتُكُم إلى قراءَتِهِم بشيءٍ، ولا صلاتُكُم إلى صلاتهم بشيءٍ، ولا صيامُكُم إلى صيامِهِم بشيءٍ، يقرؤون القرآن؛ يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم**[٢] **تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة»**[٣].

وعن أبي ذر ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن بعدي - أو سيكون بعدي- من أمتي قومٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقِيمَهُم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة، ثم لا يعودون فيه؛ هم شرُّ الخلق والخليقة»**[٤].

وقد كانت قراءة النَّبيِّ قراءةً مُتَأَنِّيةً؛ كلها تدبر وخشوع، ووصفت أم سلمة - رضي الله عنها - قراءته ﷺ بأنها: «**قراءةً مُفسَّرةً حرفاً حرفاً»**[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه [١/ ١٧٥] في المقدمة، باب في ذكر الخوارج؛ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً.

(٢) المراد بالصلاة هنا: القراءة، لأنها جزءٌ منها.

(٣) رواه مسلم [١٠٦٦].

(٤) رواه مسلم [١٠٦٧].

(٥) رواه أبو داود [١٤٦٦]، والتِّرمذي [٢٩٢٣]، والنسائي [٣/ ٢١٤]. وقال الترمذي: =

وأخرج الآجُرِّي في «أخلاق حملة القرآن» عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال- في القرآن-: «لا تنثروه نثر الدقل[١]، ولا تَهذّوه هَذَّ الشِعر، قِفوا عند عجائبه وحَرِّكوا به القلوب، ولا يَكُن هَمُّ أحدِكُمْ آخر السورة».

وينبغي على القارئ في قراءته أن يكون حاضر القلب، منتبه الذهن، متفاعلاً مع الآيات التي يقرؤها.

عن جابر ﷺ قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «**لقد قرأتها على الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣] ، قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد**»[٢].

«حديث حسن صحيح غريب».

(١) الدقل: رديء التمر.

(٢) رواه التِّرمذي [٣٢٩١] في التفسير، وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، قال ابن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه في العراق، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه. يعني: لما يروونه عنه مِنَ المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث متقاربة».

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ قرأ: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ [التين: ١] فانتهى إلى آخرها، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومَنْ قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [القيامة: ١] فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فليقل: بلى، ومَنْ قرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ﴾ [المرسلات: ١] فبلغ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات: ٥٠]، فليقل: آمنا بالله»[١].

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: أن النَّبيَّ ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] قال: «سبحان ربي الأعلى»[٢].

وقرأت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في الصلاة: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]، فبكت وقالت: اللهم مُنَّ عليَّ وقِني عذاب السَّموم، إنك أنت البرُّ الرحيم[٣].

---

(١) رواه أبو داود [٨٨٧] باب: مقدار الركوع والسجود، ورواه التِّرمذي [٣٣٤٧] في «التفسير»، والحديث ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» [٥٧٨٤].

(٢) رواه أبو داود [٨٨٣].

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٢/ ٢١١]، والمروزي في «مختصر قيام الليل» [٦٢]. وانظر هنا: فصل (٥):آداب تلاوة القرآن؛ في التدبر، والبكاء. ففيه مزيدُ إيضاحٍ لذلك.

وقال رجل لعبد الله بن مسعود ﷺ: أوصِني، قال: إذا سمعتَ الله عز وجل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فاصغِ إليها سمعَك، فإنه خيرٌ تُؤتَى به، أو سوءٌ تُصرَف عنه[١].

وكذلك من الآدابِ: إذا سمع أو قرأ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، أن يُصلِّي ويُسلِّمَ على النَّبيِّ ﷺ.

ومن آداب هذا الباب: أنْ يخفض صوته قليلاً إذا قرأ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، أو: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ [المائدة: ٦٤]، أو: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨]، أو: ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ [الصافات: ١٥٢] ونحو ذلك[٢].

وهو أدبٌ حسن فيه تعظيم لله تعالى، والله يقول: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [النساء: ١٤٨]، وهذه المقولات وأشباهها مما قاله الكفار

---

(١) رواه أحمد في كتاب «الزهد» [١٥٨]، وأبو نُعَيمٍ في «الحلية» [١/ ١٣٠]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ١٠].

(٢) ذكرَه الإمام النووي في« التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ٥٦]. وعزاه لإبراهيم النخعي.

هو من أقبح السوء[١].

وقال ابن القيم – رحمَه الله –: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور مَنْ يخاطبه من يتكلم به منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]»[٢].

وقال أيضاً: «مَنْ قُرِيء عليه القرآن فليقدِّر نفسه كأنما يسمعه من الله يخاطبه به»[٣].

وكذلك فإن التأمل والتدبر بالآية والوقوف مع ألفاظها، وإعادة النظر فيها، والتفكر في معانيها، مما يستشعر به المرء حلاوة القرآن.

قال بشر بن السري – رحمه الله –: «إنما الآية مثل التمرة، كلما مضغتها استخرجت حلاوتها»، فحُدِّث بذلك أبو سليمان فقال: «صدَق! إنما يُؤْتَى

(١)«سنن القراء» [ص ١٦٢].

(٢) «الفوائد» [ص ٧].

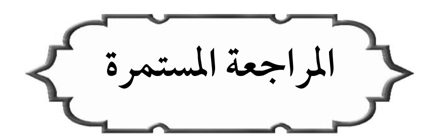
(٣) «مدارج السالكين» [١/ ٥٠٤] ط.مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

أحدُكُم من أنه إذا ابتدأَ السورةَ أراد آخرها»(١).

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) «البرهان في علوم القرآن» [١/ ٤٧١].

القاعدة العاشرة:



المراجعة المستمرة

وفيها مبحثان:

المبحث الأول: أهمية المراجعة

إن القرآن كلام الله تعالى، ويختلف اختلافاً كُلِّياً عن سائر الكلام، ويختلف عن سائر المحفوظات شِعراً كانت أو نثراً.

فالقرآن سريع الهروب من الذهن لمن أغفل مراجعته وتكراره.

وقد سُئل بعض أهل العلم: لماذا يتفلَّت القرآن من صدر حافظه إذا أهمل مراجعته؟ فقال: «إنَّ هذا القرآن عزيز، لا يبقى في صدر مَنْ يهمله». فأنت إذا تركته تركك، وهذا من عزَّته، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ** ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**تعاهدوا هذا القرآن،**

فوالذي نفس محمد بيده لهو أَشَدُّ تَفَلّتاً من الإبل في عقُلها»[١].

قال ابن بطَّال – رحمَه الله –: «هذا الحديث يوافق الآيتين؛ قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ [المزمل: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يُسِّر له، ومن أعرض عنه تفلَّتَ منه»[٢].

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنما مثلُ صاحب القرآن كمثل الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»**[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيتُ آية كيت وكيت، بل هو نُسِّيَ، واستذكِروا القرآن فإنه أشدُّ**

---

(١) رواه البخاري [٥٠٣٣]، ومسلم [٧٩١]، وأحمد [٤/ ٣٩٧، ٤١١].وقوله (تعاهدوا) أي: حافظوا على قراءته وتلاوته. والتَّفَلّتْ: التَّخلُّص.

(٢)«فتح الباري» [٩/ ٨١].

(٣) صاحب القرآن أي: حافظه. «المعقَّلة» أي: المربوطة بالعقال، والحديث رواه البخاري [٥٠٣١]، ومسلم [٧٨٩]، ومالك في «الموطأ» [١/ ٢٠٢]، والنسائي [٢/ ١٥٤]، وأحمد [٢/ ١٧، ٦٤، ١١٢]، وابن ماجه [٣٧٨٣].

تفَصِّياً من صدور الرجال من النَّعَم»[١].

والمراجعة للمحفوظ مطلوبة، سواء كان قرآناً أو حديثاً أو غيرهما.

قال الخطيب البغدادي – رحمَه الله –: «وينبغي أن يراعيَ ما يحفظه، ويستعرض جميعه كلما مضت له مدة، ولا يغفل ذلك، فقد كان بعض العلماء إذا علَّم إنساناً مسألة من العلم سأله عنها بعد مدة، فإن كان قد حفظها زاده، وإلا أعرض عنه»[٢].

وعن محمد بن القاسم بن خلَّاد – رحمه الله – أنه قال: «الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره، وحرفٌ تحفظه بقلبك أنفع من ألف حديث في دفاترك»[٣].

وقيل للأصمعي: «كيف حفظت ونسيَ أصحابك؟». قال: «درستُ وتركوا»[٤].

وقال ابن وَهْب – رحمه الله –: (قيل لأخت مالك بن أنس: «ما كان

(١) رواه البخاري [٥٠٣١، ٥٠٣٢].

(٢) «الفقيه والمتفقه» [٢/ ١٠١، ١٠٢].

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» [٢/ ٢٦٦].

(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» [٢/ ٢٦٧].

شغل مالك في بيته؟» قالت: «المصحف والتلاوة»)[١].

وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق - رحمه الله -: «القلوبُ تُرْبٌ، والعلم غَرسُها، والمذاكرةُ ماؤها، فإذا انقطع عن الترب ماؤها، جفَّ غرسُها»[٢].

وكان الخليل بن أحمد - رحمه الله - يقول: «الاحتفاظ بما في صدرك أولى من درس ما في كتابك، واجعل كتابك رأس مالك، وما في صدرك للنفقة»[٣].

وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: «تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس»[٤].

فالمراجعة المستمرة للمحفوظ من أهم ما يثبت الحفظ، لا سيما في القرآن، لذا كان من الواجب على حافظ القرآن خاصة، وعلى كل مسلم عامةً، أن يكون له وِردٌ دائمٌ مع كتاب الله عز وجل، وأن لا يمر عليه يوم إلا ويقرأ جزءاً منه أو أكثر، وذلك فيه تثبيتٌ للحفظِ أولاً، وفيه ثواب

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٧/ ١٨٦].

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» [٢/ ٢٧٨].

(٣) «الحث على طلب العلم والاجتهاد فيه» للحسن بن عبد الله العسكري[ص٦٩، ٧٠].

(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣٦).

عظيم جداً ثانياً؛ فكل حرف بعشر حسنات، والله يضاعف لمن يشاء، إضافةً إلى رفعة درجاته في الجنان.

اشتراط الطهارة لمسِّ المصحف:

وإن كانت المرأةُ حائضاً فلها أن تكثر من سماع القرآن لئلاَّ تنساه، ويجوز لها إمرار الآيات على القلب، وكذلك النظر في المصحف دون أن تتلفظ به أو تمسه، وبعض أهل العلم يرى أن الحائضَ يجوز لها أن تقرأ من المصحف وأن تمسَّه [1]. والله تعالى أعلم.

وقد سُئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمَه الله -: هل المدرس الذي يدرِّس تلاميذه القرآن من المصحف الشريف يجب عليه أن يكون طاهراً أم لا يشترط طهارته؟

فأجاب: المدرس وغيره في هذا الباب سواء، ليس له أن يَمَسَّ

---

(١) وهذا قول الظاهرية، وقال جمهور أهل العلم رحمهم الله جميعاً ومنهم الأئمة الأربعة - أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد -: لا يجوز للحائض - وكذا الجنب والنفساء - أن تمس المصحف، وهو مروي عن ابن عمر والحسن وعطاء والشعبي والقاسم بن محمد وطاووس.

وأما قراءة الحائض - والنفساء- للقرآن فمذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد أنه لا يجوز لها ذلك، ويرى مالك أنه يجوز لها قراءة شيء يسير لأجل التعوذ أو الرقية ونحو ذلك.

المصحف وهو على غير طهارة عند جمهور أهل العلم. ومنهم الأئمة الأربعة - رحمة الله عليهم - لقول النَّبيِّ ﷺ في حديث عمرو بن حزم: «لا يمس القرآن إلا طاهر»[(١)]، وهو حديثٌ جيد الإسناد، رَوَاهُ أبو داودَ وغيره مُتَّصلاً ومرسلاً، وله طرقٌ تدل على صحته واتصاله، وبذلك أفتى أصحاب النَّبيِّ ﷺ، والله ولي التوفيق»[(٢)].

وسُئلَ - رحمَه الله - أيضاً: «هل يجوز للحائض قراءة كتب الأدعية يوم عرفة، على الرُّغمِ من أنَّ بها آيات قرآنية؟

فأجاب: لا حرج أن تقرأ الحائضُ والنفساء الأدعية المكتوبة في مناسك الحج، ولا بأس أن تقرأ القرآن على الصحيح أيضاً، لأنه لَمْ يرد نص صحيح صريح يمنع الحائض والنفساء من قراءة القرآن، إنما ورد في الجنب خاصة بألا يقرأ القرآن وهو جنبٌ؛ لحديث علي رضي الله عنه وأرضاه، أما الحائض والنفساء فورد فيهما حديث ابن عمر «**لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن**»، ولكنه ضعيف، لأن الحديث من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين، وهو ضعيف في روايته عنهم. ولكنها تقرأ بدون مس المصحف، عن ظهر قلب.

---

(١) الحديث رواه الحاكمُ وصححه [٣/ ٤٨٥].

(٢) انظر: كتاب الدعوة «الفتاوى» [٢/ ٧٨].

أما الجنب فلا يجوز له أن يقرأ القرآن لا عن ظهر قلب، ولا من المصحف حتى يغتسل، والفرق بينهما أن الجنب وقته يسير، وفي إمكانه أن يغتسل في الحال من حين يفرغ من إتيانه أهله، فمدته لا تطول، والأمر في يده متى شاء اغتسل، وإن عجز عن الماء تيمم وصلى وقرأ، أما الحائض والنفساء، فليس الأمر بيدهما، وإنما هو بيد الله عز وجل.

والحيض يحتاج إلى أيام، والنفاس كذلك، ولهذا أبيح لهما قراءة القرآن لئلا تنسياهُ، ولئلا يفوتها فضل القراءة وتعلم الأحكام الشرعية من كتاب الله، فمن باب أولى أن تقرأ الكتب التي فيها الأدعية المخلوطة من الآيات والأحاديث إلى غير ذلك... هذا هو الصواب، وهو أصح قولَيْ العلماء - رحمهم الله - في ذلك»[1].

* * * * *

(١) انظر: كتاب الدعوة «الفتاوى» [١/ ٤٢].

المبحث الثاني: مقدار ما يقرأ في اليوم والليلة

في الصحيحين أن النَّبيَّ ﷺ لما بلغَه أن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - يقرأ القرآن كل ليلة قال له: «**اقرأ القرآن في كل شهر**»، قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**فاقرأه في كل عشرين**»، قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**فاقرأه في كل عشر**»، قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك. فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً**»، وفي روايةٍ: قال: فشدَّدْتُ فشُدِّد عليَّ، وقال لي: «**إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر**»، قال: فصرت إلى الذي قال لي النَّبيُّ ﷺ، فلَمّا كبرتُ وددتُ أني كنت قبلتُ رخصة نبي الله ﷺ (١).

وعن سعد بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: «**إن استطعت**»، قال: وكان يقرأه كذلك حتى توفي (٢).

---

(١) رواه البخاري [٥٠٥٢، ٥٠٥٣، ٥٠٥٤]، ومسلم [١١٥٩]، وأبو داود [١٣٨٨].

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» [٥٤٨١]، وابن المبارك في «الزهد» [١٢٧٤]، وصححه الألباني في: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٥١٢]، و«صحيح الجامع الصغير» =

وعن عبد الله بن عمرو أنه سأل النَّبيَّ ﷺ: في كم نختم القرآن؟ قال: «**في أربعين يوماً**»(١).

وفي هذه الأحاديث إشارةٌ إلى الحدِّ الأعلى للقراءة، والذي لا ينبغي تجاوزه أو الزيادة عليه، وهو أن يختم في كل ثلاث ليالٍ ختمة..

وإشارة إلى الحد الأدنى، وهو الأرفق بعامة المسلمين على اختلاف طبقاتهم وأعمالهم ومشاغلهم، وهو أن يختم القرآن كلَّ شهرٍ، أو في كل أربعين كما في رواية التِّرمذيِّ السالفة.

وبين هذا وذاك دَرَجَاتٌ ورُتَبٌ، تفاوتت فيها همم السلف رحمهم الله تعالى، فقد كان للسلف الصالح رضوان الله عليهم عادات مختلفة في مقدار ما يختمون فيه.

فمنهم مَنْ كان يختم كل شهر ختمة، وبعضهم في كل عشر ليال ختمة.

وبعضهم في كل ثمان ليال ختمة، قال أُبيّ بن كعب ﵁: «إنا لنقرؤه في

[١١٥٥].

(١) رواه أبو داود [١٣٩٥] في الصلاة، والتِّرمذي [٢٩٤٨] في القراءات، وقال: «حسن غريب».

ثمان ليال» يعني: القرآن[١].

وعن الأكثرين في كل سبع، ومنهم: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، وتميم الداري، ومن التابعين علقمة بن قيس.

ومنهم: قتادة بن دعامة السدوسي، كان يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة [٢].

قال أبو خلدة خالد بن دينار - رحمه الله -: سمعت أبا العالية يقول: كُنَّا عبيداً مملوكين، مِنَّا مَنْ يُؤَدِي الضرائب، ومِنَّا مَنْ يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة، فشق علينا، حتى شكا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلَّمونا أن نختم كل جمعة، فَصلَّينا ونِمْنَا ولم يشق علينا[٣].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: كان أبي يقرأ كل يوم سُبُعاً من القرآن نظراً ولا يتركه.

وهذه هي أفضل مُدَّة للختم لدلالة حديث عبد الله بن عمرو المتقدم

---

(١) «نزهة الفضلاء» [١/ ٦٩].

(٢) «المرجع السابق» [١/ ٤٩٠].

(٣) «المرجع السابق» [١/ ٣٦٧].

على ذلك، وفيه: «**اقرأه في سبعٍ ولا تزد**»، ولأنه فعل أكثر أصحاب النَّبيِّ ﷺ، فقد قال أوس بن حذيفة ﷺ: سألتُ أصحابَ رسول الله ﷺ كيف يُحزِّبونَ القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشـرة، وحزب المفصَّل وحده(١).

وعن بعضهم في كل ست ليالٍ ختمة. ومنهم: الأسود بن يزيد بن قيس، كان يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال(٢).

وعن بعضهم في كل خمس ليال، منهم: علقمة بن قيس فقيه الكوفة

---

(١) رواه أبو داود [٢/ ٥٥]، وابن ماجه [١/ ٤٢٧]، قال الإمام ابن معين: «إسناد هذا الحديث صالح، وحديثه عن النَّبيِّ ﷺ في تحزيب القرآن ليس بالقائم». انظر :حاشية «مختصـر سنن أبي داود» [٢/ ١١٣]، و«أُسد الغابة» [١/ ١٦٧ - ١٦٩].

واستدلَّ بعض العلماء بهذا الحديث على أن ترتيب السور كان مشهوراً لدى الصحابة كما هو معروف الآن في المصحف، وهذا التحزيب النبوي رمز بعضهم لترتيبه بقوله: (**فمي بشوق**)، فالأول منه: مِنَ الفاتحة إلى المائدة، والثاني: مِنَ المائدة إلى يونس، والثالث: مِن يونس إلى سورة (بني إسرائيل) الإسراء، والرابع: من (بني إسرائيل) إلى الشعراء، والخامس: مِنَ الشعراء إلى ﴿والصافات﴾، والسادس: مِنَ ﴿والصافات﴾ إلى ﴿ ق﴾ والسابع: حزب المفصل من ﴿ق﴾ إلى آخر القرآن.

(٢) «نزهة الفضلاء» [١/ ٣٢٩].

ومقرؤها، كان يقرأ القرآن في خمس[١].

وعن كثير منهم في كل ثلاث ليال، ومنهم: بشـر بن منصور [ت: ١٨٠هـ] مُحَدِّثٌ زاهد، قال فيه ابن المديني: حفَر قبره وختم فيه القرآن. وكان وردُه ثلث القرآن[٢].

ومنهم: أبو إسحاق السَّبيعي، من أَجِلَّةِ التابعين، كان يقرأ القرآن في كل ثلاث[٣].

وكان محمد بن إسماعيل البخاريُّ - رحمَه الله - يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة[٤].

وبعضهم ختمه في أقل من ثلاث، وهم كثير، ومنهم: عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، والشافعي، وآخرون.

وسُئل الإمام مالك - رحمَه الله - عن الرجل يختم القرآن في كل ليلة. فقال: «ما أحسن ذلك! القرآن إمام كل خير».

---

(١) «نزهة الفضلاء» [١/ ٣٣١].

(٢) «المرجع السابق» [٢/ ٦٥٢].

(٣) «المرجع السابق» [١/ ٥٠٣].

(٤) «المرجع السابق» [٢/ ٩٠٣].

قال الإمام الزركشي - رحمه الله -: [ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع. للحديث: «**اقرأ القرآن في كل سبع ولا تزد**»[(١)].

ورَوَى الطَّبراني بسند جيد أن أصحاب النَّبيِّ ﷺ سُئلوا: كيف كان رسول الله ﷺ يجزِّيء القرآن؟ قالوا: «كان يجزئه ثلاثاً وخمساً».

وكره قومٌ قراءته في أقلَّ من ثلاث، وحملوا عليه حديث: «**لا يفقه القرآن مَنْ قرأه في أقل من ثلاث**»[(٢)]. والمختار الذي عليه أكثر المحققين أن ذلك يختلف باختلاف حال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة][(٣)].

وأخرج ابن أبي داود عن مكحول - رحمه الله - قال: «كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرؤون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك».

وقد رَوَى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة - رحمه الله - أنه قال: «مَنْ

---

(١) تقدَّم تخريجه [ص ٢٤٠] حاشية (١).

(٢) رواه أبو داود [١٣٩٤]، والتِّرمذي [٢٩٤٩] وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه [١٣٤٧]، وأحمد [٢/ ١٦٤، ١٦٥]، والدارمي [١/ ٣٥٠] من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً. وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» [١١٠٧].

(٣) «البرهان في علوم القرآن» [١/ ٤٧٠ - ٤٧١].

قرأ القرآن في كل سنة مرتين، فقد أدى للقرآن حقه، لأن النَّبيَّ ﷺ عرضَه على جبريلَ في السنةِ التي قُبض فيها مرتين». وقال غيره: «يُكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر». ونصَّ عليه الإمام أحمد.

واستدلّوا بما ثبتَ عند أبي داود أن عبد الله بن عمرو سأل النَّبيَّ ﷺ فقال له: في كم نَخِتمُ القرآن؟ فأجابه: «**في أربعين يوماً**»(١).

وقال النَّووي- رحمه الله -: «والاختيار: أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه، وكذا مَنْ كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لَمْ يكن من هؤلاء المذكورين، فليستكثر ما أمكنَه، من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة»(٢).

وأما ما ورد عن كثير من السلف من ختمهم للقرآن في أقل من ثلاث، حتى ورد عن بعضهم أنه يختم القرآن في اليوم الواحد مرتين أو ثلاثاً، مع ما

---

(١) تقدم تخريجه [ص ٢٤١] حاشية (١).

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ٥٨]، وانظر: «رهبان الليل» [١/ ٩٠ – ٩٣] فإنه مهم، وكذا «الإتقان» [١/ ٢٩٢ – ٢٩٥].

ثبت في الحديث: «**لا يفقه القرآن مَنْ قرأه في أقل من ثلاث**»[١].

فقد أجاب عن ذلك الإمامُ الحافظُ ابن رجب الحنبلي - رحمَه الله - فقال: «إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات الفاضلة كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم»[٢].

وأكثر أهل العلم على أن إحسان التلاوة مع فهمها والتدبر فيها، أفضل من كثرة القراءة بغير فهم ولا تدبر.

قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما -: «لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما وأتدبرهما أحب إليَّ من أقرأ القرآن كله هذرمة».

وأخرج محمد بن أبي داود عن مسلم بن مخراق قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها -: إنَّ رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثة، فقالت:

---

(١) تقدم تخريجه [ص ٢٤٥]، حاشية (٢).

(٢)«لطائف المعارف» [ص ٣١٩]. ط. دار ابن كثير.

«قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ».

* * * * *

القاعدة الحادية عشر:

قيام الليل بالمحفوظ من القرآن

وفيها مبحثان:

المبحث الأول: فضل قيام الليل

ثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «**إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لَمْ يقم به نسيَه**»[(١)].

وقال أبو عبد الله بن بشر القطان - رحمه الله -: ما رأيتُ أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد[(٢)]، فلكثرة درسه وصلاته؛ صار القرآن كأنه بين عينيه[(٣)].

وقد ورد في فضل قيام الليل وعظيم ثوابه الشيء الكثير، فمن ذلك ما

---

(١) رواه مسلم [٧٨٩] كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد الله القطان، مسند العراق [ت ٣٥٠هـ].

(٣) «سير أعلام النبلاء» [١٥/ ٥٢١].

يلي:

قال تعالى في وصفِه لعباده المؤمنين، وما أعدَّ لهم من الأجر والثواب لأجل قيامهم الليل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] ، وقال سبحانه في وصف المحسنين: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

وقال سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩]، وهل يستوي مَنْ علم عظمة ربه فخافه واتَّقاه، وسعى إلى تنفيذ أوامره ونيل رضاه، فكان بين يديه بالليل ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرة ويرجو رحمة ربه، هل يستوي هذا مع ذلك الغافل الساهي، الذي ضيَّع ليله في غفلةٍ ولهو أو في معصية أو في نوم عميق كأنه جيفةٌ من الجيَفِ؟! كلا والله، لا يستويان أبداً![1].

(١) وقد قال سبحانه: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨].
قال القشيري – رحمَه الله –: «أفمن كان في حال الوصال يجر أذياله كمن هو في مذلة الفراق =

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: مَنْ أحبَّ أن يهوِّن الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليرَه الله في ظلمة الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه[1].

وقال سبحانه في وصف عباده الأبرار الأخيار: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴾ [الفرقان: ٦٤]؛ فهذا وصفهم، وتلك حالهم، فاحرص على أن تكون مثلهم، تلحق بركبهم وتكن معهم برحمة الله تعالى وكرمه.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**أفضل الصيام بعد رمضان**

يقاسي وباله؟! أفمن كان في روح القربة ونسم الزلفة، كمن هو في هول العقوبة يعاني مشقة الكلفة؟! أفمن هو في روح إقبالنا عليه، كمن هو في محنة إعراضنا عنه؟! أفمن بقي معنا، كمن بقي عنا؟! أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان، كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان؟! أفمن أُيد بنور البرهان، وطلعت عليه شموس العرفان، كمن ربط بالخذلان، ورسم بالحرمان؟! لا يستويان ولا يلتقيان.. هذا في أعلى الفضائل، وهذا في سوء الرذائل». «لطائف الإشارات» [١٤٤، ١٧١] ط. دار الكاتب العربي.

ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: «يا بني؛ لا يكون الديك أكيس منك؛ ينادي بالأسحار وأنت نائم». «رهبان الليل» [١/ ١٣٢].

(١) تفسير القرطبي [١٥/ ١٥٦].

شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل»[١].

وعن عبد الله بن سلام ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام»**[٢].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**في الجنة غرفة يُرى ظاهرها، من باطنها وباطنها من ظاهرها**»، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام»**[٣].

وقد كان النَّبيُّ ﷺ وهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقوم من الليل حتى تتورَّم وتتشقَّق قدماه، فأولى بنا وقد حملنا أوزاراً لا قِبَل لنا بحملها، وارتكبنا من الذنوب والمعاصي ما قد يكون سبباً في شقائنا

---

(١) رواه مسلم [١١٦٣]، وأبو داود [٢٤١٢]، والتِّرمذي [٢/ ٢٢٧]، والنسائي [٣/ ٢٠٧].

(٢) رواه التِّرمذي [٢٤٨٧] وقال: «حسن صحيح»، وأحمد [٥/ ٤٥١]، وابن ماجه [١٣٣٥، ٣٢٥١]، والدارمي [١/ ٣٤٠]، والحاكم [٣/ ١٣] وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

(٣) قال المنذري: «رواه الطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد حسن»، والحاكم [١/ ٨٠]، وقال: «صحيح على شرطهما». وقوله «أطاب الكلام»: أحسنه واختار أفضله وأرقَّهُ وأعذبه.

وهلاكنا – فأولى بنا وحالنا ما ذكرت – أن يكون لنا حظٌ من قيام الليل، عسى أن يغفر الله لنا ذنوبنا ويُعْظِم لنا الأجر والمثوبة.

وعن عائشةَ – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالت له: لِمَ تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[(١)].

وعن عبد الله بن أبي قيس قال: قالت عائشة – رضي الله عنها –: «لا تدع قيام الليل، فإن النَّبيَّ ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كَسِلَ صلى قاعداً»[(٢)].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثُمَّ يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثُمَّ يصلي ثلاثاً»[(٣)].

وعن أبي أمامةَ الباهلي ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**عليكم بقيام الليل، فإنه**

---

(١) رواه البخاري [١١٣٠]، ومسلم [٢٨١٩، ٢٨٢٠]، ومعنى تتفطر: أي: تتشقق.

(٢) رواه أبو داود [١٣٠٧]، وابن خزيمة في «صحيحه» [٢/ ١٧٨]، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ٤٠٣]رقم [٦٣٢].

(٣) رواه البخاري [٣/ ٢٢٧]، ومسلم [٧٣٨].

دَأَب الصالحين قبلكم، وقربةٌ إلى ربكم، ومَكْفرةٌ للسيئات، ومنهاةٌ عن الإثم»[١].

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتينِ جميعاً كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**»[٢].

وعن عمرو بن عبسة ﷺ أنه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعتَ أنْ تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»[٣].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إن في الليل لساعةً، لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة**»[٤].

---

(١) رواه التِّرمذي [٣٥٤٩]، وابن خزيمة في «صحيحه» [٢/ ١٧٧]، والحاكم [١/ ٣٠٨] وقال: «صحيح على شرط البخاري».

(٢) رواه أبو داود [١٣٠٩]، وابن ماجه [١٣٣٥]، وصححه ابن حبان [٦٤٥].

(٣) رواه التِّرمذي واللفظ له[٣٥٧٩]، وابن خزيمة [٢/ ١٨٢]، وقال التِّرمذي: «حديثٌ حسن صحيح غريب».

(٤) رواه مسلم [٧٥٧]، وأحمد [٣/ ٣٣١، ٣٤٨].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قرأ بعشر آيات لَمْ يكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين**»(١).

والذي يقوم الليل: تجده من أطيب الناس نفساً، وأكثرهم نشاطاً، وأقواهم عزيمةً، والذي لا يقوم الليل تجده من أخبث الناس نفساً، وأكثرهم كسلاً، وأضعفهم عزيمةً.

فعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّتْ عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(٢).

---

(١) رواه أبو داود [١٣٩٨]، وابن خزيمة [٢/ ١٨١]، وابن حبان في «صحيحه» [٢٥٦٣]، إلا أنه قال: «**ومن قام بمئتي آية كُتب مِنَ المقنطرين**». و«القانتين» قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القنوت دوام الطاعة، والمصلي إذا أطال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت». و«المقنطرين» أي: ممن كُتب لهم قنطار مِنَ الأجر.

(٢) رواه البخاري [١١٤٢]، ومسلم [٧٧٦]، ومالك [١/ ١٧٦]، وأبو داود [١٣٠٦]، والنسائي [٣/ ٢٠٣].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ذُكر عند النبيِّ ﷺ رجل نام الليل حتى أصبح، فقال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»[١].

واعلم أن قيام الليل على مَنْ لَمْ يعتده صعب وشاق، ولهذا لابد في أول الأمر من صبر ومجاهدة للنفس، ثُمَّ يشعر بعد ذلك بحلاوة ولذة في قيام الليل لا تعدلها لذة[٢].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري [١١٤٤]، ومسلم [٧٧٤]، والنسائي [٣/ ٢٠٤].

(٢) قال ثابت البناني - رحمَه الله -: «كابدتُ الصلاة عشرين سنة، واستمتعت بها عشرين سنة». فهيا ياأخي: أغلق باب الراحة، وافتح باب الجهد، أغلق باب النوم، وافتح باب السهر.

فخلِّ الهوينا للضعيف ولا تكن   نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

«رهبان الليل» [١/ ٤٣].

المبحث الثاني: الأسباب الميسِّرة لقيام الليل

هناك أسباب ظاهرة وأخرى باطنة ينبغي لمن أراد قيام الليل أن يراعيَها وأن يلتزمها، فإنها مما يسهِّل عليه قيام الليل وييسره له.

فأما الأسباب الظاهرة فأربعة:

الأول: أن لا يكثر من الأكل والشرب فيغلبَه النوم، ولا يستطيع القيام. قال بعضهم: «لا تأكلوا كثيراً، فتشربوا كثيراً، فتناموا كثيراً، فتخسروا كثيراً»[1].

الثاني: أن لا يتعب بالنهار في الأعمال الشاقة التي تجهد البدن، وتضعف الأعصاب، فإن ذلك مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار، فإنها من أهم ما يعين على قيام الليل حتى قال بعضهم: «القيلولة للقيام كالسحور للصيام».

الرابع: أن يحذر من الذنوب والمعاصي فإنها تحول بين العبد وبين رحمة الرب تبارك وتعالى، ولهذا قيل: من عقوبات المعصية المعصيةُ بعدها، ومن ثواب الحسنة الحسنةُ بعدها.

---

(١) انظر هنا القاعدة (٢٥): «الطعام والحفظ» في «المبحث الأول».

وقيل لابن مسعود ﷺ: لا نستطيع قيام الليل. فقال: أبعدتكم الذنوب.

وقال الفضيل - رحمه الله -: «إذا لَمْ تقدر على صيام النهار، وقيام الليل، فاعلم أنك محرومٌ كبَّلتك خطيئتك»[١].

وقال رجل للحسن البصري- رحمَه الله -: لا أستطيع قيام الليل فصف لي دواءً، فقال له: «لا تعصه بالنهار، فيقيمك بين يديه في الليل. وكان يقول: إن الرجل ليُحرَم قيام الليل بالذنب يصيبه».

وقال سفيان الثوري - رحمَه الله -: «حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته».

وكان الحسن البصـري - رحمَه الله - إذا دخل السوق وسمع لَغَطَهُم ولَغْوَهم قال: «أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء».

فالذنوب تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل، وأَخصَّها بالتأثير أكلُ الحرام. واللقمة الحلال لها في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما ليس لغيرها من المؤثِّرات.

وقد قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة منعت

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٨/ ٤٣٥].

قراءة سورة، وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة، فيُحرم بها قيام سنة.

وأما الأسباب الباطنة فأربعة أيضاً:

الأول: سلامة القلب من البدع والحقد على المسلمين، ومن فضول هموم الدنيا. فالمستغرق في الهمِّ بتدبير أمور الدنيا لا يتيسَّر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته، ولا يجول إلا في وساوسه[1].

وقد قيل:

يُـخَبِّـرُني البوَّاب أنك نائمُ وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائمُ

الثاني: الخوف من عقوبة الله ومن عذابه، فإن العبد إذا تفكّر في دركات جهنم وأهوال الآخرة طار نومه.

قال عبد الله بن رواحة - رحمه الله -: «إن عبد الله إذا ذُكِرَتْ الجنةُ طالَ شوقُه، وإذا ذُكِرَتْ النارُ طارَ نومُه».

وكان طاووس اليمانيّ - رحمه الله - يفرِشُ فراشه فيتقلَّب عليه... ثُمَّ يقوم فيدرجه، فيقوم إلى الصباح، ويقول: «ذكر جهنم أطار نوم العابدين».

وكان عبد العزيز بن أبي روّاد - رحمه الله - يأتي فراشه ليلاً ويمد يده

(١) وانظر هنا قاعدة (٢٠): «التقلل من الدنيا».

عليه ويقول: «إنك والله لَلَيِّنٌ، وفراش الجنة ألْيَنُ منك، فيدرج فراشه ويقوم يصلي الليل كله».

وقال عبد الله بن المبارك – رحمه الله –:

إذا ما الليل أظلَمَ كابَدُوهُ فيُسفِرُ عنهمُ وهمُ ركوع

أطارَ الخوفُ نومهمُ فقاموا وأهلُ الأمن في الدنيا هجوع

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل، وعظيم أجره وثوابه، وأحوال السلف فيه، فيستحكم بذلك رجاؤه، ويهيجه الشوق لطلب المزيد والارتفاع في درجات الجنان.

قال ابن المنكدر – رحمه الله –: «ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة».

وقال أبو سليمان الداراني – رحمه الله –: «أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا».

وكان يُقال: «مَنْ كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار..».

وسُئل أحد السلف: ما بالُ المتهجِّدين أحسن الناس وجوهاً؟ قال: «لأنهم خلَوا بالرحمن فألبسهم من نوره».

الرابع: وهو أشرف البواعث وأعظمها؛ حُبُّ الله تعالى، فإذا أحبَّ

العبد ربه ومولاه؛ أحبَّ الخلوة به، وتلذذ بتلاوة كتابه، ومناجاته في الخلوات.

نسأل الله أن يرزقنا مناجاته ودوام ذكره والإقبال عليه، والتلذذ بطاعته. آمين.

ومن تأمل حياة السلف الصالح في قيامهم الليل رأى منهم عجباً في مدوامتهم عليه، وأمرِهم غيرهم به؛ ولا غرو أن يكونوا كذلك، وقد كان إمامهم وقدوتهم - صلوات ربي وسلامه عليه - يقوم الليل حتى تتورم قدماه، وكان لا يدع قيام الليل أبداً، فإن مرض أو كسل صلى جالساً.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل، أيقظ أهله للصلاة، ثُمَّ يقول لهم: الصلاة الصلاة. ويتلو قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢] .

وهذا عبد الله بن مسعود ﷺ كان إذا هدأت العيون قام بين يدي ربه راكعاً ساجداً، فيُسمَع له دَوِيٌّ كدوي النحل حتى يصبح.

وهذا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يقضي ليله مع ربه في ركوع وسجود ونشيج ونحيب، خوفاً من الله وإجلالاً وتعظيماً له ومراقبة.

قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب.

فاجتهد أخي في أن تكون مثلهم، وأن تتشبه بهم، وأن تفعل فعلهم، عسى أن يجمع الله بينك وبينهم في نعيم الجنان، وفي جوار ربك الرحمن.

قال بعضهم:

مَنْ يُرِدْ مُلكَ الجِنان فليدَعْ عنه التواني
وليَقُم في ظلمة الليل إلى نور القرآنِ
وليَصِلْ صوماً بصوم إنَّ هذا العيش فانِ
إنما العيشُ جوارُ الله في دارِ الأمانِ

ويروى عن ذي النون المصري أنه رأى في منامه حوريَّةً تقول:

أتخطب مثلي وعنّي تنامْ ونوم المُحِبِّين عَنَّا حرامْ
فقم في دُجَى الليل وسْط الظلامْ بقلب حزين ودمع سجامْ
فمثلي يُزَفُّ إلى عابدٍ كثير الصيام طويل القيامْ

* * * * *

القاعدة الثانية عشر:

العناية بالمتشابه

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

والقرآن متشابه في ألفاظه ومعانيه، وكلماته وآياته؛ وإذا كان في القرآن نحواً من ستة آلف آية ونيف، فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما، قد يصل أحياناً إلى حدِّ التطابق، أو الاختلاف في حرف واحد أو كلمة أو أكثر.

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾

فهذه الآية تكررت بنصها في أوائل ثلاث سور وهي: سورة الزمر: ١، وسورة الجاثية: ٢، وسورة الأحقاف: ٢.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، تكررت بنصها في

[التحريم:٩].

وقال تعالى: ﴿ **وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ** ﴾ [البقرة: ٥٨] ، وفي [الأعراف: ١٦١]: ﴿ **وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا** ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ **فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ٧٨، ٩١]، و[العنكبوت: ٣٧]، وفي [هود: ٦٧، ٩٤]: ﴿ **فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ** ﴾.

وقال سبحانه في [البقرة: ٦٢]: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ [وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ] مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ** ﴾ الآية، وفي [الحج: ١٧]: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ [وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ] وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ** ﴾ الآية.

وقال سبحانه في [البقرة: ١٢٠] و[الأنعام: ٧١]: ﴿ **قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ** ﴾ ، وفي [آل عمران: ٧٣]: ﴿ **قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ** ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ **وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ** ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال في [آل عمران: ٢١]: ﴿ **وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ** ﴾، وفيها أيضاً [١١٢]: ﴿ **وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ** ﴾ .

وقال سبحانه في [البقرة: ١٧٣]: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾، وفي باقي سور القرآن [المائدة: ٣]، و[الأنعام: ١٤٥]، و[النحل: ١١٥]: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

وغير ذلك كثير جداً، وما هذه إلا أمثلة؛ لذلك يجب على قاريء القرآن المُجِيد، والحافظ المتقن، أن يُعنى عناية خاصة بالمتشابهات من الآيات [التشابه اللفظي]، وذلك بمقارنة بعضها ببعض، وإعادتها وتكرارها والتركيز عليها؛ من بداية الحفظ وأثناء التسميع والتلاوة والمراجعة، وعلى مدى العناية بهذا المتشابه تكون إجادة الحفظ وإتقانه.

ويمكن الاستعانة على ذلك بالاطلاع على الكتب التي اهتمت بهذا النوع من التشابه مثل:

١- «درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز» للخطيب الإسكافي.

٢- «أسرار التكرار في القرآن» لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني[١].

٣- «عون الرحمن في حفظ القرآن» لأبي ذر القلموني.

---

(١) وهو مطبوع بعنوان آخر: «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ط. دار الكتب العلمية.

٤- «سبيل التثبت واليقين لحفَّاظ آي الذكر الحكيم» لعبد الحميد صفي الدين.

٥- «تنبيه الحفَّاظ إلى الآيات المتشابهات الألفاظ» لمحمد عبد العزيز المسند.

٦- «إعانة الحُفَّاظ للآياتِ المتشابهة الألفاظ» لمحمد طلحة بلال منيار.

إضافة إلى بعض المنظومات الشعرية في المتشابه، والتي يسهل حفظها والإفادة منها؛ مثل «منظومة الدمياطي»، و«منظومة السخاوي» وغيرهما.

* * * * *

القاعدة الثالثة عشر:

المداومة ولو على القليل

فالإنسان قد يحصل له إقبال على الحفظ والدراسة والقراءة والاستيعاب بجدية ونشاط، وذلك في وقت من الأوقات، ثُمَّ هو بعد ذلك يصاب بالفتور والكسل، فيترك الحفظ الذي بدأ فيه فينساه، وإن ثبت له ما حفظه مع عدم مداومته على حفظ شيء جديد؛ فإنَّ محفوظاته تكون قليلة جداً بالقياس لغيره ممن داوم على الحفظ والمراجعة.

والذاكرة جارحة من الجوارح، فإذا زاد مرانها وتدريبها على الحفظ زادت قابليتها للحفظ والاستيعاب، وإذا أهملت وتركت قل حفظها واستيعابها.

والمداومة على الأعمال الصالحة، أصلٌ قرَّرته الشريعة ودعت إلى التزامه ورغَّبتْ في فعله:

قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، أي: فما قاموا بما ألزموه أنفسهم

حق القيام، وهذا ذم لهم لعدم مداومتهم على ما ألزموا أنفسهم به، مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله تعالى.

وقال سبحانه: ﴿ **وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ** ﴾ [الحجر: ٩٩]، أي: داوم على عبادتك رَبّكَ، واستمرَّ على طاعتك له، ولا تنقطع عنها، حتى يأتيَك الموت وأنت على ذلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يُدخل أحدَكم عملُه الجنة، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ**». وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**أدومه وإن قلّ**»(١). وفي لفظ أبي داودَ: «**اكفلوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**» وكان ﷺ إذا عمل عملاً أثبته(٢).

---

(١) رواه البخاري [٦٤٦٤، ٦٤٦٥]، ومسلم [٢٨١٨]، والنسائي [٨/ ١٢٣]،وابن ماجه [٤٢٣٨].

(٢) رواه أبو داود [١٣٦٨].

وسُئلت عائشة – رضي الله عنها –: كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ وهل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: «لا، كان عمله ديمةً، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع»[(١)].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجعٍ أو غيره، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ نام عن حزبه من الليل أو شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل**»[(٣)].

فعلى العاقل اللبيب أن يداوم على عمله وأن لا يُسَوِّف، وأن لا يُؤَخِّر عمله لغده، فإن الإنسان بيومه وليس بعده.

قال الحسن البصري – رحمَه الله –: «إياك والتسويف، فإنك بيومك

---

(١) رواه البخاري [٦٤٦٦].

(٢) رواه مسلم [٧٤٦] في صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) رواه مسلم [٧٤٧]، وأبو داود [١٣١٣]، والتِّرمذي [٥٨١]، وغيرهم.

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله – : «الحزب من القرآن: الورد، وهو شيء يفرضه الإنسان على نفسه، يقرؤه كل يوم» . انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» ، للإمام ابن الجوزي ، ط دار الوطن، الرياض (١/ ١٤٣).

ولستَ بغدك، فإن يكن غد لك، فَكِسْ فيه[1]، كما كِسْتَ في اليوم، وإلا يكن الغد لك، لَمْ تندم على ما فرَّطت في اليوم»[2].

وكل عمل مهما عَظُم وجلَّ فإنه يبدأ صغيراً، ومع الدوام عليه والصبر والعزيمة؛ يصبح عملاً جليلاً عظيماً يُبهِر مَنْ رآه أو سمع به.

وانظر إلى أهمية المداومة وفضلها، وماذا يُحصِّل صاحبها من الفوائد، وكم يجني من أطايب الثمرات:

أخرج الخطيب البغدادي بسنده عن حصين قال: «جاءت امرأة إلى حلقة أبي حنيفة، وكان يطيل الكلام، فسألته عن مسألة له ولأصحابه؛ فلم يحسنوا فيها شيئاً من الجواب. فانصرفت إلى حماد بن أبي سليمان فسألته فأجابها.

فرجعت إلى أبي حنيفة وأصحابه، فقالت: غررتموني؛ سمعت كلامكم فلم تحسنوا شيئاً. فقام أبو حنيفة فأتى حماد، فقال له: ما جاء بك؟ قال: اطلب الفقه. قال: تعلَّم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد حتى يتفق لك شيء من العلم. فتعلَّم ولزم الحلقة حتى فقه، فكان الناس يشيرون إليه

---

(١) فكِسْ فيه: مِنَ الكياسة: بمعنى العقل والفطنة. أي: اعمل عملاً تكون به كيِّساً.

(٢) رواه هناد بن السري في «الزهد» [١/ ٢٨٩].

بالأصابع»[١].

وهذا أبو حاتم الرازي صنف كتابه «المسند» في ألف جزء[٢] .

وهذا ابن جرير الطبري زاد عدد أوراق مصنفاته على نصف مليون ورقة.

وهذا ابن عقيل الحنبلي صنف كتابه «الفنون» في ثمان مئة مجلدة.

وهذا الحافظ ابن عساكر صنف كتابه «تاريخ دمشق» في ثمانين مجلدة كبيرة.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية أَرْبَتْ مصنفاتُه على أربع مئة مصنف من نخب العلم ودقائقه.

وسواهم في سواها كثير، لا يحيطه حصر ولا عدد.

فتدبَّر أخي وتأمَّل.. أكان لمثل هؤلاء أن يؤلِّفوا هذا الكم الهائل من المؤلفات وأن يكتبوا هذه الأعداد الرهيبة من الصفحات، لولا العزيمة الماضية، والهمة العالية، ومتابعة العمل، ومداومة العطاء.

---

(١) «الفقيه والمتفقه» [١٠٠ - ١٠١].

(٢) الجزء عند السلف يعادل «عشرين ورقة» تقريباً.

ولله دَرُّ القائل[1]:

اليوم شيءٌ وغداً مثله	من نخب العلم تُلتقطْ
يحَصِّل المرءُ بها حكمةً	إنما السيلُ اجتماع النقطْ

ولا شك أن الإنسان يَمَلّ، ويعتريه شيءٌ من الضَّجَر والسآمة، فالواجب عليه حينئذ أن يروِّح عن نفسه بشيءٍ من المباح كأنْ يجالس صديقاً، أو يداعب زوجةً أو أولاداً، أو يقرأ في كتب الأدب والشعر، ثُمَّ يعاود الحفظ بعد ذلك مباشرةً؛ ولا ينبغي له أن يترك ما اعتاده من العمل، بل عليه أن يداوم عليه ويصبر على ما يعتريه من مشاق في أثناء قيامه به؛ لا سيما وإن كان عمله خير الأعمال وأفضلها، وهو حفظ كلام الله تعالى، وتَعلّم علوم الشرع، فالمداومة في حقه حينئذ أوجب وآكد.

قال سعيد بن جبير - رحمَه الله -: «لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك كان أجهل ما يكون».

وقال ابنُ أبي غسَّان - رحمَه الله -: «لا تزال عالماً ما كنت متعلماً، فإذا استغنيت كنت جاهلاً»[2].

---

(١) قاله الشاعر الأديب: بهاء الدين بن النحاس الحلبي. «قيمة الزمن عند العلماء» للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ط(٥) [ص ٥٦].

(٢)«جامع بيان العلم وفضله» [١/ ٤٠٨] ط. ابن الجوزي.

وصدق مَنْ قال:

إذا أنت لَمْ تبغِ الزيادةَ في العُلا فأنتَ على النقصانِ منهنَّ حاصلُ

وكان أحمد بن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئاً، وإن قلَّ.

فعلى مَنْ أراد الحفظ للقرآن، والفوز من الله بالرضوان، وملاعبة الحور في قصور الجنان، أن يداوم على عمل الصالحات، ومنها: مداومته على الحفظ والمراجعة، وإن قلَّ نصيبه منها، وقد تقدم أن: «**أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**»، فقليل دائم خير من كثير منقطع.

فخذ من الآيات قدراً تستمر عليه، وعوِّدْ نفسَك - كل يوم - على حفظ شيء جديد، واجعل لنفسك كل يوم وقتين لا تفرِّط فيهما أبداً:

وقتاً لحفظ شيء جديد، ووقتاً لمراجعة الحفظ القديم، وبإمكانك أن تحفظ القرآن كله في أقل من أربع سنوات[1]، ودون أي جهد وعناء إذا داومت على حفظ خمس آيات فقط كل يوم. [خمس آيات فقط]. بشرط المداومة على الحفظ والاستمرار في المراجعة - والله الهادي والموفق إلى سبيل الرشاد.

* * * * *

(١) قد يستطيل البعض هذه المدة - وهي حقاً طويلة - ولكن لضعف الهمم وموت العزائم، صارت هذه المدة ليست بالطويلة، والله المستعان.

القاعدة الرابعة عشر:



ومن أعظم ما يعين على الحفظ والاستيعاب، تقوى الله تبارك وتعالى، والخوف منه والمراقبة له، وفعل أوامره واجتناب معاصيه.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال سبحانه: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

فإذا كانت مجالسة أهل الظلم، ومخالطة أهل المعاصي، من أسباب النسيان، فكيف حال العصاة أنفسهم، فالله المستعان.

قيل لسفيان بن عُيَيْنَة – رحمَه الله –: بِمَ وجدت الحفظ؟ قال: بترك

المعاصي، وسُئل - رحمَه الله -: هل يُسلَبُ العبدُ العلم بالذنب يصيبه؟ قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]، قال: «وهو كتاب الله، وهو أعظم العلم، وهو حظهم الأكبر الذي صار لهم واختصوا به، وصار حجة عليهم».

وسأل رجل مالك بن أنس، فقال: «يا أبا عبد الله، هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ فقال: إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي».

وكان مالك - رحمَه الله - يقول: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم الخشية»[1].

وقال بشر بن الحارث - رحمَه الله -: «إن أردت أن تلقَّن العلم فلا تعصِه».

وقال الضحاك بن مزاحم - رحمَه الله -: «ما من أحد تعلم القرآن ثُمَّ نسيه إلا بذنب يحدثه، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، ونسيان

---

(١) انظر ما تقدم هنا في قاعدة: «العمل بالمحفوظ».

القرآن من أعظم المصائب»[١].

وثبت عن العباس عم النَّبيِّ ﷺ أنه قال في دعاء الاستسقاء: «اللهم إنه لَمْ ينزل بلاء إلا بذنب، ولم ينكشف إلا بتوبة، وقد توجَّهتْ بي القومُ إليك، فهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث»[٢].

وفي الحديث: «**إنَّ الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[٣].

وكما أن الرزق رزق أقوات وأبدان، فهو كذلك رزق علوم وأفهام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمَه الله -: «وكما أن لله ملائكةً موكلة بالسحاب والمطر، فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم؛ هذا رزق القلوب وقوتها، وهذا رزق الأجساد وقوتها»[٤].

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، وأبو عبيد في «فضائل القرآن».

(٢) «فتح الباري» [٢/ ٥٧٧] ط. الريان.

(٣) رواه أحمد [٥/ ٢٧٧] من حديث ثوبان ﷺ مرفوعاً، ورواه ابن ماجه [٤٠٢٢]، والحاكم [١/ ٤٩٣]، وابن أبي شيبة [١٠/ ٤٤٢]، والبغوي في «شرح السنة» [١٣/ ٦]، وابن حبان [٨٧٢]، وقال الشيخ شعيب: «حديث حسن».

(٤) «الفتاوى» [٤/ ٤٢]، الطبعة الثانية.

الخلق.

وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق»[١].

وقال ابن الجوزي - رحمَه الله -: [إن للخلوة تأثيرات تَبِينُ في الجلوةِ، كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات، فيترك ما يشتهي حَذَراً من عقابه، أو رجاءً لثوابه، أو إجلالاً له، فيكون بذلك الفعل كأنه طَرَح عوداً هنديًّا، على مِجْمَرٍ، فيفوحُ طِيبُهُ، فيستنشقه الخلائق ولا يدرون من أين هو؟ فترى عيونَ الخلقِ تُعَظِّمُ هذا الشخص، وألسنتَهم تمدحه، ولا يعرفون لِمَ؟ وعلى عكس هذا مَنْ هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق، فإنه على قدر مبارزته بالذنوب يفوحُ منه ريحُ الكراهةِ، فتمقته القلوب، وربَّ خالٍ بذنبٍ كان سببَ وقوعِه في هوَّةِ شِقوةٍ، في عيشِ الدنيا والآخرة.

قال أبو الدرداء ﷺ: «إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى، فيُلقي الله بُغضَه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر»][٢].

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «أكذب الناس العائد في ذنبه،

---

(١) «الجواب الكافي» [ص ٦٢]. ط. الريان.

(٢) «صيد الخاطر» [ص ٢٤٩، ٢٥٠].

وأجهل الناس المُدِلُّ بحسناته، وأعلمُ الناس بالله أخوفهم منه، لن يكملُ عبدٌ حتى يُؤثِرَ دينَهُ على شهوته، ولن يَهْلِكَ عبدٌ حتى يؤثِرَ شهوته على دينه»[١].

وقال الزرنوجي - رحمَه الله -: «وأقوى أسباب الحفظ: الجِدُّ والمواظبة، وتقليل الغذاء، وصلاة الليل؛ وقراءة القرآن من أسباب الحفظ.

وأما ما يورث النسيان: فالمعاصي وكثرة الذنوب، والهموم والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال والعلائق»[٢].

وقال وكيع - رحمه الله -: «استعينوا على الحفظ بترك المعصية».

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها».

وقال ابن القيم - رحمَه الله -: «وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.

فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور. ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي الإمام مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقّد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٨/ ٤٢٧].

(٢) «تعليم المتعلم» [٥٤، ٥٥].

أرى أن الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعي - رحمَه الله -:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضلٌ وفضل الله لا يُؤتاهُ عاصي[1]

وكلما كان الحافظُ لله أتقى، كلما كان حفظه أنفع وأقوى .

وقد تجد حُفَّاظاً للقرآن أو للحديث، وهم من شرار خلق الله، فتجد منهم مَنْ هو صاحب بدعة بل بدع! وتجده إماماً في الزيغِ والضلال!!

ومنهم مَنْ بدت عليه أمارات الفسوق والفجور!!

ومَنْ هذا حاله فهو:

١- فتنة في نفسه وفتنة لغيره.

٢- وحفظه ذلك استدراج من الله تعالى له، كما قال سبحانه: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، و[القلم: ٤٥].

٣- وحفظه لا يكون فيه نفعٌ ولا بركةٌ غالباً.

وأما الذي ينسى ما حفظه بسبب المعصية فمحمولٌ على أحد أمرين:

---

(١) «الجواب الكافي» [ص ٦٠].

١- إما أن الله أراد به خيراً فعاقبَه في الدنيا لينتبه إلى ذنبه فيسارع بالتوبة والرجوع إلى ربه.

٢- أو أن الله أراد أن يجعله عبرةً لغيرِه من العصاة الغافلين.

ألا فليتقِ امرؤٌ ربه، وليحذر معاصيَه، وليتجنب مساخطه؛ لينجوَ من عذاب الله في الآخرة أولاً، ثُمَّ ليثبت له حفظه في الدنيا ثانياً.

فإن أصرَّ على معصيته فليعلم أن علمه ذلك وبالٌ عليه، وأن حفظه حجة عليه لا له، لأن العلم بلا عمل لا قيمة له، والحفظ بلا التزام وطاعة لا عبرة به.

وليت شعري! أيُّ قيمة لحفظه للقرآن مع عصيانه للكريم الرحمن، وانغماسه في الفجور والعصيان؟!

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لأعلمنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباءً منثوراً، أمَا إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»[1].

---

(١) رواه ابن ماجه [٤٢٤٥] من حديث ثوبان ﷺ، وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٧١٧٤].

وأيُّ قيمةٍ لعلمه وحفظه إن كان لا يعمل به، وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن الله يؤيد هذا الدين بأقوامٍ لا خلاق لهم**»(١).

وفي روايةٍ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»!!(٢) .

وقال ﷺ: «**أكثر منافقي هذه الأمة قُرَّاؤها**»(٣).

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» [٨٨٨٥]، وابن حبان [٤٥١٧]، عن أنس بن مالك ﷺ ، وقال الشيخ شعيب: «حديث صحيح»، ورواه أحمد [٥/ ٤٥]، والطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي بكرة ﷺ ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [١٨٦٦].

(٢) رواه البخاري [٦٦٠٦] في القدر، وهو عند مسلم [١١١] في الإيمان، وأحمد في «المسند» [٨٠٩٠] ط. الرسالة، وابن حبان في «صحيحه» [٤٥١٩] من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه أحمد في «المسند» [٦٦٣٦]، والطبراني في «المعجم الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٦٩٥٨]عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - ، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٧٥٠]، و«صحيح الجامع الصغير» [١٢٠٣]. وقال محققو المسند: «حديث صحيح» .

وقوله: «قُرَّاؤها»: أي: علماء السوء، وأصحاب الأهواء، الذين لا يعملون بما يعلمون، فترى أحدهم منحلاً مُستهتراً في سلوكه ومظهره؛ حالقاً للحيته، مسبلاً لثيابه، شارباً للدخان، مداهناً لأصحاب المناصب والسلطان، متزلفاً إليهم طمعاً في منصبٍ أو جاه، أو مالٍ من حلال كان أو من حرام، مُحَلّلاً ما حرَّمه الله، ومحرِّماً ما أحلَّه الله، فالربا عنده حلال! ولا يسميه ربا، بل هو عائد استثماري!! والنقاب عنده حرام! بل هو بدعة عصرية منكرة!! والالتزام بدين الله عنده تعصب وتطرُّف! بل همجية وإرهاب!! ولا حول ولا قوة بالله.

وقال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**»[1].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان»[١٧٧٧] عن عمران بن حصين ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١/ ١٨٧]: «رجاله رجال الصحيح»، ورواه أحمد [١٤٤] من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعاً، وقال محققو المسند: «إسناده قوي»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [١٥٥٤ ، ١٥٥٦]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٠١٣].

القاعدة الخامسة عشر:

المحافظة على رسم واحد للمصحف

ومما يعين على إحكام الحفظ وإتقانه والتثبُّت فيه: أن يجعل الحافظُ لنفسه مصحفاً خاصًّاً به لا يُغيِّره مطلقاً، وذلك لأن الحفظ يكون بالنظر كما يكون بالسماع، فصور الآيات ومواضعها في المصحف تنطبع في ذهن القارئ مع كثرة التلاوة والنظر في المصحف.

فإن غيَّر الحافظُ مصحفه الذي يحفظ فيه، أو حفظ من مصاحف متعددة - مُتغيِّرة مواضع الآيات - فإن حفظه يتشتت، ويصعب عليه ضبطه وإحكامه وإتقانه، إلا بمشقة وعناء[١].

ولذا ينبغي لمن أراد الحفظ أن يحافظ على رسم واحد لمصحف حفظه لا يغيره أبداً[٢].

---

(١) «القواعد الذهبية» لعبد الرحمن عبد الخالق.

(٢) ويفضَّل في هذا: «مصحف المدينة النبوية»، والذي يقوم على طباعته مجمع الملك فهد =

وهكذا يفعل كثير من القُرَّاء المجيدين والحفاظ المتقنين، جعلني الله وإياك منهم، مع الإخلاص لله في الحفظ والعلم والعمل... آمين.

وينبغي على مُريدِ الحفظ كذلك؛ أن يأخذ نَظَرُهُ من الصفحة التي يُريدُ حفظها الحظَّ الوافر، وأن يملأ عينيه من الآيات، ويُطيل النظر فيها - مع التلاوة والتكرار -، فإن إدامة النظر تجعل مواضع الآيات مرسومة على صفحة الذهن، منقوشةً في سِجِلِّ الذاكرة، بحيث لو سُئلتَ عن آيةٍ بعد سنين، فإنك على الأقل تتصور موضعها، وتتذكر أنها في يمين الصفحة مثلاً أو يسارها[1].

وقد رويَ عن أحمد بن الفرات - رحمه الله - أنه قال: «لَمْ نَزَلْ نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، فأجمَعوا أنه ليس شيءٌ أبلغ فيه إلا كثرة النظر».

وقال إسماعيل بن أبي أويس - رحمه الله -: «إذا هممت أن تحفظ شيئاً فَنَمْ، وقُمْ عند السَّحَر، فأسْرِجْ، وانظر فيه فإنك لا تنساهُ بعدُ إن شاء

لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة؛ وفيه تبدأ الصفحة بأول الآية، وتُختم بآخر الآية، وهو مقسَّم تقسيماً جيداً، فكل جزء من الأجزاء الثلاثين في عشرين صفحة، والصفحة خمسة عشر سطراً.. وقد سماه البعض لحسن تقسيمه وترتيبه: «مُصحف الحفَّاظ».

(١) «كيف تحفظ القرآن» للغوثاني. ط. نور المكتبات [ص ٦٨].

الله»[١].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ١٧٧].

القاعدة السادسة عشر:



ذكر الله ودعاؤه

وفيها مبحثان:

المبحث الأول: ذكر الله تعالى وفضله

إن من أهم ما يجب مراعاته على كل مسلم، وعلى طالب العلم والحفظ بوجه خاص؛ كثرة ذكر الله تعالى، ودوام دعائه، واللجوء إليه في كل وقت وفي كل حال.

فذكر الله تعالى هو باب الفتح الأعظم، وسبيل الوصول الأقوم، ومن صدَف عنه فقد حُرم الخير كله، وسار على غير سبيل، ومن وُفِّق إليه فقد هُدي إلى الرشد وقاده إلى خير دليل.

وذكر الله تعالى يطرد الشيطان ويرضي ربنا الرحمن، ويزيل الهم والغم، ويجلب الفرح والسرور، ويشرح الصدور، ويذيب قسوة القلوب، ويحط الخطايا والذنوب، ويزيل وحشة القلب، وينجي من عذاب الرب، وهو أمان من النفاق، وأمان من الحسرة يوم القيامة، وهو غراس الجنة، وسبب لنزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر، وهو نور

للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره ومعاده، يسعى بين يديه على الصراط، ويكسو الوجه نضرة في الدنيا، ونوراً في الآخرة.

ولذلك أمرنا الله تعالى أن نُكثر من ذكره فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال في وصف المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال جل شأنه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال جل وعز: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، [الجمعة: ١٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢] «إن الله لَمْ يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثُمَّ عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لَمْ يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، فقال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ [النساء: ١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسرِّ والعلانية، وعلى كل حال قال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢] ،فإذا فعلتم ذلك صلَّى عليكم هو وملائكته»[١].

وقال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: «المراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدواً وعشياً، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله، ذكر الله تعالى»[٢].

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**سبَق المُفَرِّدون**»، قالوا:

---

(١) «تفسير الطبري» [١٩/ ١٢٤]. ط. هجر. وذكرَه ابن كثير [٦/ ٤٢٧] عن علي بن أبي طلحة به، وعزاه السُّيوطيُّ في «الدر المنثور» [٥/ ٢٠٤] إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) «الأذكار» للنَّووي، [ص ٧].

وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»[١].

وعن أبي هُرَيْرة وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – مرفوعاً: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتينِ جميعاً كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**»[٢].

وعن عائشة – رضي الله عنها –: «أن النَّبيَّ ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه»[٣].

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ثلاثة لا يُردُّ دعاؤهم: الذاكر لله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط**»[٤].

وعن أبي الدرداء ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الورِق والذهب، وخير لكم من أن تلقَوْا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا**

---

(١) رواه مسلم [٢٦٧٦]، والتِّرمذي [٣٥٩٠].

(٢) تقدم تخريجه [ص ٢٥٤] حاشية [٤].

(٣) رواه مسلم [٣٧٣]، وأبو داود [١٨]، والتِّرمذي [٣٣٨١].

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن عطاء بن يسار عن أبي هُرَيْرة مرفوعاً ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٣٠٦٤]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٢١١].

أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «**ذكر الله**»[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مثَل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**»[٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما جلس قوم يذكرون الله تعالى، إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات**»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه**[٤] **إذا ذكرَني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً،**

---

(١) رواه الترمذي [٣٣٧٤]، وأحمد [٦/ ٤٤٧]، وابن ماجه [٣٧٩٠]، وصححه الحاكم [١/ ٤٩٦]، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في: «صحيح الجامع الصغير» [٢٦٢٩].

(٢) رواه البخاري [٢٤٠٧]، ومسلم [٧٧٩].

(٣) رواه أحمد [٣/ ١٤٢]، والطبراني في «الأوسط» [٤٣٤]. وصححه الألباني في: «صحيح الجامع الصغير» [٥٦٠٩]. و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٢١٠].

(٤) معنى قوله: «**وأنا معه إذا ذكرني**»: معيَّة حَفظ وكلاءة، وتوفيق ورعاية، لا أنه - سبحانه وتعالى - معه بذاته؛ فإنه سبحانه مُستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١].

وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً»(١).

وعن طلحة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ليس أحد أفضل عند الله من مؤمنٍ يعمر في الإسلام، لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله**»(٢).

إلى غير ذلك من نصوص الوحي الكثيرة الدالة على فضيلة الذكر، والمرغبة فيه.

الترهيب من ترك الذكر :

ووردت نصوص أخرى كثيرة تحذرنا من ترك الذكر وتأمرنا بالبعد عن الغافلين الساهين، وتبين لنا سوء مصيرهم ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله سبحانه: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ** ﴾ [الحشر: ١٩].

---

(١) رواه البخاري [٧٤٠٥]، ومسلم [٢٦٧٥]، والتِّرمذي [٣٥٩٨]، وغيرهم.

(٢) رواه أحمد [١/ ١٦٣]، وعنه الضياء في «المختارة» [١/ ٢٨٣] وقال الألباني: «إسناده حسن؛ وهو صحيح على شرط مسلم»، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٦٥٤]، و«صحيح الجامع الصغير» [٥٣٧١].

وقوله عز وجل: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ** ﴾ [المنافقون: ٩].

ووصف سبحانه وتعالى المنافقين بأنهم: لا يذكرونه إلا قليلاً، فقال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [النساء: ١٤٢].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قعد مقعداً لَمْ يذكر الله فيه، كانت عليه من الله تِرَة**[١]، **ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت من الله تِرَة، وما مشى أحدٌ ممشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله تِرَة**»[٢].

---

(١) أصل الترة: النقص، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٥]، أي: لن ينقصكم، ومعناها هنا: التَّبِعة، يقال: وترتُ الرجل ترةً، على وزن: وعدته عدة. «شرح السنة» [٥/٢٨].

(٢) رواه أبو داود في الأدب [٤٨٥٦]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٢١]موارد، وصححه الألباني في: «صحيح الجامع الصغير» [٦٤٧٧].

وفي روايةٍ: «**ما جلس قوم مجلساً لَمْ يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**»[١].

وعنه ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة**»[٢].

ومما ينبغي أن يُعلم: أن [أفضل الأذكار مطلقاً تلاوة كتاب الله عز وجل، إلا فيما شرع بغيره، وذلك في المواطن التي ورد النهي فيها عن قراءة القرآن كحالتي الركوع والسجود، وهكذا ما وردت به السنة المطهرة من الأذكار الموظفة في الأوقات، وعقيب الصلوات، لأن إرشاده ﷺ إليها في هذه الأوقات يدل على أفضليتها على غيرها، ثُمَّ أفضل الذكر بعد تلاوة القرآن الكريم دراسة علم الحديث النبوي الشريف، وما أكثر ما ثبت من النصوص في فضيلة العلم والعلماء والتعليم والتعلم، ثُمَّ أفضل الذكر بعد ذلك التصلية والتسليم على رسول الله ﷺ ، ثُمَّ سائر الأذكار المأثورة والدعوات المشهورة في دواوين السنة، يأتي بها الذاكر في أوقاتها، ومنها ما

---

(١) رواه أبو داود [٤٨٥٥، ٥٠٥٩]، والتِّرمذي [٣٣٧٧]، والحاكم [٢٠٦١] في الدعاء، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في: «صحيح الجامع الصغير» [٥٦٠٧].

(٢) رواه أحمد [٢/ ٤٣٢]، والبيهقي في «السنن الكبرى» [٣/ ٢١٠]، والتِّرمذي [٣٣٨٠]، وأبو داود [٤٨٥٥، ٥٠٥٩]، والحاكم [١٨٥١] في الدعاء، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٥٧٥٠].

هو غير مُؤَقَّت فيأتي بها كما جاءت، ولا يبتدع بل يتبع، والله المستعان][1].

وقال ابن القيم – رحمَه الله –: [الإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه والرضى به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته، ثواب عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: «إن في الدنيا جنة مَنْ لَمْ يدخلها لَمْ يدخل جنة الآخرة». وقال بعض العارفين: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله ومعرفته وذكره][2].

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾ [الكهف: ٢٤]: «ويحتمل في الآية وجه آخر، وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد مَنْ نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى؛ لأن النسيان منشؤه من الشيطان؛ كما قال فتى موسى: ﴿**وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ**

---

(١) «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» [ص ١٨] ط. دار الإيمان. وانظر: «نزل الأبرار» لصديق حسن خان [ص ١٥٦].

(٢) «الوابل الصيب» [٦٩ – ٧٠]. ط. الريان. بتصرف.

﴿أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ [الكهف: ٦٣]، وذكر الله يطرد الشيطان؛ فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان. فذكرُ الله سبب للذكر؛ ولهذا قال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي - رحمه الله -: «ويؤخذ من عموم قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: الأمر بذكر الله عند النسيان فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله أن يذكر ربه، ولا يكوننَّ من الغافلين.

ولَمَّا كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابةِ وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، أمره أن يقول: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ٢٤] فأمرَه أن يدعوَ الله ويرجوَه، ويثق به أن يهديَه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد. وحريٌّ بعبدٍ تكون هذه حاله، ثُمَّ يبذل جهده ويستفرغ وسعه في طلب الهدى؛ أن يوفَّق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره»[2].

فجدير بكل مسلم، وبحَمَلَة كتاب الله، وطلبة العلم الشرعي على

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٧٨].

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» [٥/ ٢٦].

وجه الخصوص: أن يكونوا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وأن يلتزموا بالأذكار الموظفة على مدار اليوم والليلة، فيلتزموا بأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وكذا دخول المسجد والخروج منه، وأذكار الصلوات وما يقال بعدها، وغير ذلك من الأذكار الموظفة في يوم المسلم وليلته.



المبحث الثاني: الدعـاء وفضـله

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد [٤/ ٢٧١]، وأبو داود [١٤٧٩]، والتِّرمذي [٣٢٤٤]، وابن ماجه [٣٨٢٨]، والنسائي في «الك-برى» [١١٤٦٤]، وابن حب-ان [٨٩٠] الإحس-ان، وصححه الألباني في «صحيح الج-امع» [٣٤٠٧].

(٢) رواه أحمد [٢/ ٢٦٢]، والتِّرمذي [٣٣٦٧]، وابن ماجه [٣٨٢٩]، وابن حبان [٢٣٩٧] موارد، والحاكم [١/ ٤٩٠]، وصححه ووافقه الذهبي. وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٥٣٩٢].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن ربكم حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردَّهما صفراً خائبتين**»(١).

وعنه رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»(٢).

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنه مَنْ لَمْ يسأل الله يغضب عليه**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود [١٤٨٨]، والتِّرمذي [٣٥٥٦] واللفظ له، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه [٣٨٦٥]، وقال الحافظُ في «فتح الباري» [١١/ ١٢١]: «إسناده جيد»، ورواه ابن حبان [٢٣٩٩] موارد، والحاكم [١/ ٤٩٧]، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه التِّرمذي [٢١٤٠] عن سلمان، وابن ماجه [٩٠، ٤٠٢٢]، وابن حبان [٨٧٢]، والحاكم [١/ ٤٩٣] عن ثوبان، وصححه، ووافقه الذهبي. وحسَّنه الألباني في: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٥٤].

(٣) رواه التِّرمذي [٣٥٦٦] في الدعوات، والحاكم [١/ ٤٩١] بلفظ: «مَنْ لَمْ يدع الله...»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٢٤١٨].

وسبب غضب الله عليه: أنه إما قانط وإما مستكبر، وكلا الأمرين موجب لسخط الله وغضبه، وقد تقدم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أي: عن دعائي، فهو سبحانه يُحبُّ أن يُسأل وأن يُلَحَّ عليه، ومن لَمْ يسأله يبغضه ويغضب عليه.

وعنه ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**أعجز الناس مَنْ عجز عن الدعاء، وأبخل الناس مَنْ بخل بالسلام**»[(١)].

[وفي دعاء الله عز وجل معانٍ:

أحدها: الوجود، فإن مَنْ ليس بموجود لا يُدعى.

الثاني: الغِنَى، فإن الفقير لا يُدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يُدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يُدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسيَ لا يُدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يُدعى][(٢)].

ومَنْ كان موجوداً، وموصوفاً بالغنى والكرم، والرحمة والجود، وهو سميع بصير، قادر لا يعجزه شيء، وخزائنه ملأى.. جدير أن يُطلب منه لا من غيره، وأن يُلجأ إليه لا إلى غيره، وأن يُدعى وحده دون سواه.. سبحانه وتعالى..

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، ورواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في: «صحيح الجامع الصغير» [١٠٤٤]، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٦٠١].

(٢) «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» [ص ٧٦].

وحفظ كلام الله عز وجل، والتُّفقه في دينه، عطيَّة وهبة، يهبها الله تعالى لمن شاء من عباده، فأكثرْ من سؤاله واللجوء إليه أن يجعلك من أهل العلم والحفظ والفهم والعمل بما تعلم، فإن مَنْ أدام قرع الباب أوشك أن يفتح له.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمَه الله - إذا صعبت عليه مسألة، ذهب إلى المساجد المهجورة، حيث لا يراه أحد إلا ربه وخالقه، وعفَّر وجهه في التراب، والتجأ إلى رب الأرباب، وقال: يا معلِّم آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهِّم سليمان فهِّمني. وتقدم قوله - رحمَه الله -: «وكما أن لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر، فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم، هذا رزق القلوب وقوتها، وهذا رزق الأجساد وقوتها»[١].

وقال الإمام مالك - رحمَه الله -: «العلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل»[٢].

وقد قال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهو قريب سبحانه بعلمه وبسمعه

(١) «الفتاوى» [٤/ ٤٢] الطبعة الثانية.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» [٧٥٧]. ط. ابن الجوزي.

وقدرته ومعونته، لا يُخيِّب رجاء مَنْ دعاه والتجأ إليه.

فمَنْ دَعا رّبَّه بقلبٍ حاضر، ودعاء مشـروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، ومن أصدق من الله قيلاً.

ويتأكد حصول الإجابة إذا أتى الداعي بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى، والانقياد لأوامره، وترك نواهيه القولية والفعلية، مع الإخلاص لله والمراقبة له، والخوف منه، والمداومة على طاعته، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإنني ألخص لك بعض آداب الدعاء ومستحباته، وأوقات الإجابة، وأسبابها وموانعها، ومن يُستجاب دعاؤه، وما ينبغي أن يحذره الداعي...، فإن أردت المزيد على ما أذكره لك، فارجع إلى ما كتبه أهل العلم في هذا الموضوع.

أولاً: آداب الدعاء :

١ - التوبة إلى الله تعالى ورد المظالم إلى أهلها.

٢- الاعتراف بالذنب بين يدي الرب، وفي دعاء سيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء [أعترف] لك بنعمتك علي،**

وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[(١)].

٣- الإخلاص لله تعالى والتأدب والخشوع، والمسكنة والخضوع، وإظهار الافتقار والشكوى إليه مع البكاء أو التباكي.

٤- تجنب الحرام مأكلاً وملبساً ومشرباً، والتعفف عن الشبهات .

٥- استقبال القبلة، فإنها الجهة التي يتوجه إليها العابدون لله تعالى، والمتقربون إليه، والداعون له.

٦- استحباب الوضوء قبل الدعاء، وأن يستاك ويتطيب، فيكون على طهارة كاملة، فإنه يلجأ إلى ملك الملوك ورب الأرباب سبحانه .

٧- أن يقدِّم الداعي عملاً صالحاً بين يدي دعائه، كصدقة أو صيام أو صلاة أو إحسان إلى يتيم[(٢)]، تفريج كربة معسر، أو قضاء حاجة أخيه

---

(١) رواه البخاري [٦٣٠٦] من حديث شداد بن أوس ﷺ وفي آخره: «**من قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة**» .

(٢) روى البيهقي، والضياء، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» وابن عساكر، عن أبي الدرداء ضض أن النبي ﷺ قال: «**ادن اليتيم منك، وألطفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، ويُدرك حاجتك**». انظر: «صحيح الجامع الصغير» للألباني [٢٥٠] .

المسلم، أو تلاوة القرآن، أو غير ذلك من أعمال الخير والطاعة[١].

٨- رفع اليدين في الدعاء، ووردت فيه صفاتٌ ثلاثة :

الأولى: ترفع اليدين حذو المنكبين، غير ساتر لهما بثوب أو غطاء، وذلك عند المسألة .

الثانية: تُشير بأصبع واحدة، وذلك عند الاستغفار .

الثالثة: تمدُّ يديك جميعاً، وذلك عند الابتهال.

ودليل ذلك: حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً وموقوفاً: «**المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك، أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة، والابتهال أن تمدَّ يديك جميعا**»[٢].

٩- أن يبدأ دعاءه بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، وعليه أن يجتهد في ذلك ويكثر منه في أول الدعاء ووسطه

---

(١) أخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [المجادلة: ١٢] ؛ فإذا كان المناجي للرسول ﷺ مطالب بتقديم صدقة - وهي عمل صالحٌ - بين يدي مناجاته له، فلأن يُقدَّم بين يدي مناجاة الله ﷻ من باب أولى، والله تعالى أعلم .

(٢) رواه أبو داود [١٤٩٠،١٤٨٩، ١٤٩١] وهو صحيحٌ، وانظر رسالة: «النبذ المستطابة في الدعوات المستجابة » لسليم الهلالي.

وآخره، فإنه الجناح الذي يصعد به خالص الدعاء إلى عنان السماء.

١٠- أن يُلحَّ الداعي في الدعاء، وأن يَعزِمَ في المسألة، وأن يُعظم رغبته، ويجزم في الطلب، وأن يُوقن بالإجابة، وأن يُحسن الظن بالله ﷻ في إجابته لدعائه.

١١- أن يكرر الدعاء ثلاثاً، وقد كان النبي ﷺ يفعله.

١٢- أن يلزم الدعاء في الشدة وفي الرخاء، وفي جميع الأحوال، ففي حديث ابن عباس الشهير: «**تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة**»[1].

وفي الحديث أيضاً: «**من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء**»[2].

١٣- أن يدعو بجوامع الأدعية ويدع ما دون ذلك، وإن اقتصر على أدعية القرآن والسنة فقد أحسن وأصاب، وذلك أنها جمعت خيري الدنيا جمعت خيري الدنيا والآخرة، مع وجازة اللفظ وجمال العبارة.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» [٣/ ٣٢٦] [٦٣٠٣] عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وقال الحاكم: « هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما- »، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» [٢٩٦١].

(٢) رواه الترمذي والحاكم، وحسنه الألباني، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٥٩٥].

١٤- أن يتحرَّى أوقات الإجابة، وأن يغتنم الأحوال والأوضاع التي يُستجاب فيها الدعاء.

١٥- أن يدعو الله بأسمائه الحسنى، ولاسيما باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و(ياذا الجلال والإكرام)، وقد قال الله ﷻ: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فيتخير من أسماء الله ما يناسب حاجته فيدعوه بها فإذا طلب شيئا قال: يا كريم ويا جواد، وإذا أراد المغفرة قال: يا غفور، يا رحيم، يا رحمن، وإذا دعا على قومٍ قال: يا جبار، يا منتقم، يا قوي، يا عزيز ... وهكذا.

١٦- أن يبدأ بنفسه في الدعاء ثم يثني بغيره وذلك لأن التأخر في مثل هذا الموطن فيه نوع إعراض، والأولى المسارعة والاستباق وقد قال تعالى: ﴿**فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ** ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال: ﴿**وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ**﴾ [المطففين: ٢٦] .

١٧- أن يخفض الداعي صوته وأن يجعله بين الجهر والمخافتة، وفي الحديث: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً**»،

إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»[(١)].

١٨- أن يستعمل في كل مقام الدعاء المأثور فيه، فهو أفضل من غيره لتنصيص الشارع عليه، والأولى أن يُقتصر على المأثور، فما كل أحد يُحسِنُ الدعاء، فيُخافُ عليه من الاعتداء .

١٩- أن يُشركَ إخوانه معه في دعائه - لاسيما إذا كان الداعي إماماً أو مع جماعةٍ - وهذه صفة المؤمنين، وعباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

٢٠- أن يسأل الله تعالى جميع حاجاته صغيرها وكبيرها، حقيرها وجليلها، وأن يرى منة الله عليه وفضله، في إجابته إلى صغير الحوائج وكبيرها على السواء، قال تعالى: ﴿**وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ**﴾ [النساء: ٣٢]، وفي حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ليسأل أحدكم ربه حاجاته كلها، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»**[(٢)].

---

(١) رواه البخاري [٤٢٠٥]، ومسلم [٢٧٠٤] عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٢) رواه الترمذي،وابن حبان، وقال الترمذي: «حديث حسن»، وحسنه الأرناؤوط، وانظر: «جامع الأصول» [٢١٣٥].

وفي الحديث أيضاً: «**سلوا الله كل شيء حتى الشسع، فإن الله ﷻ إن لم ييسره لم يتيسر**»(١)، و«**إذا تمنى أحدكم فليُكثر، فإنما يسأل ربه**»(٢).

٢١- يستحب التأمين عقب الدعاء للداعي والمستمع، والتأمين في الحقيقة دعاء بمعنى «اللهم استجب»، وإنما ذُكر عقب الدعاء لأنه مقام التلخيص بعد التفصيل، والإجمال بعد البسط .

٢٢- أن يحمد الله تعالى ويشكره عقب الدعاء، أن وفقه لدعائه واللجوء إليه، فإن ذلك من أعظم النعم، وأن يزداد حمده وشكره إذا استجاب الله له دعاءه.

ثانياً: ما ينبغي أن يحذره الداعي:

يجب على الداعي أن يحذر من بعض الأمور، وأن يتجنبها في دعائه ومنها:

١- أن لا يتوجه بالسؤال إلا إلى الله تعالى، فإنه لا يقدر على حاجته إلا ربه وخالقه، ومن عداه فإنه في قبضته ومسخر بتسخيره، فلا يسأل إلا الله، ولا

---

(١) رواه ابن السني [٣٥٤] وفيه قطن بن نسير، قال فيه الذهبي في «الميزان»: «كان أبو حاتم يحمل عليه، وقال ابن عدي: يسرق الحديث». والحديث ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» [٤٩٤٨].

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١٠/ ١٥٠]: «رجاله رجال الصحيح» .

يستعين إلا بالله، وفي الحديث: « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله »[١].

٢- أن لا يدعو بأمر الله مستحيل وقوعه عقلاً وعادة، كالخلود في الدنيا، وإحياء الموتى، ورؤية الله في الدنيا، وإنزال مائدة من السماء، ونحو ذلك مما هو مختصٌ بالأنبياء من المعجزات، ولا يدعو بأمر قد فرغ من كالآجال ونحوها، فهذا كله من الاعتداء المنهي عنه في الدعاء.

٣- أن لا يدعو بإثم، كأن يسأل خمراً يشربها أو امرأة يفحش بها، ولا قطيعة رحم، ففي الحديث: « **ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم** »[٢].

ويدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرَّحم: جميع حقوق المسلمين ومظالمهم، ويدخل فيه أيضاً: الدعاء على أهله أو ماله، وقد ورد النهي عن ذلك بخصوصه.

---

(١) رواه أحمد، والحاكم، والترمذي، وقال :«حسن صحيح»، والحديث صححه الألباني، وانظر: «صحيح الجامع الصغير» [٧٨٣٤] .

(٢) رواه الترمذي [٣٥٧٣] عن عبادة بن الصامت ﷺ، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، والحاكم [١/ ٦٧٠] [١٨١٦] عن أبي سعيد ﷺ وزاد: «أو يدخر له من الأجر مثلها»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [١٨١٩].

٤ – أن لا يكون دعاؤه على وجه الاختبار لربه تبارك وتعالى، أو التجريب، بل يكون سؤالاً محضاً، إذ العبد ليس له أن يختبر ربه ﷻ.

٥ – ألا يشغله الدعاء عن فريضة حاضرة، فيكون عاصياً.

٦ – ألا يستعجل، ولا يضجر من تأخر الإجابة، كمن له حق على غيره، إذ ليس لأحد على الله حق، وفي الحديث: « **يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت ربي فلم يستجب لي، فيتحسر عند ذلك ويدع الدعاء** »[(١)].

وأيضاً: فقد تكون مصلحته في تأخير الإجابة، والدعاء عبادة واستكانة والضجر والاستعجال ينافيها .

٧– ألا يسيء الأدب في خطاب الرب تبارك وتعالى، وأن لا يدعو بما لا يليق ولا ينبغي، وإن كان حقاً فلا يقول: « يا خالق الحيات والعقارب، أو يا ضار » ... ونحوه، وذلك لوجوب تعظيم الله تعالى في كل حال، وهو في حال السؤال أوجب وآكد.

٨– ألا يقتصر على دعاء غيره من الناس، مع الجهل بمعناه، أو انصراف الهمِّ عن لفظه، إذ الدعاء سؤال، وهذا غيرُ سائلٍ بل حاكٍ لكلام غيره، ولا بأس إذا كان الدعاء حسناً ومن عبد صالح ؛ أن يختاره ويفهمه ويوفيه حقه من التأمل

---

(١) رواه البخاري [٦٣٤٠]، ومسلم [٢٧٣٥] من حديث أبي هريرة ؓ.

واستحضار معناه والإخلاص في الدعاء به .

٩- ألا يدعو بلسان الفصاحة والانطلاق، وألا يتشدق بعباراته في أثناء الدعاء، وأن لا يتكلف السجع فإن ذلك كله مناف لروح الدعاء، وإنما يدعو بلسان الذلة والخضوع والافتقار .

١٠- ومما ينبغي أن يحذره الداعي: الدعاء الجماعي، فإنه بدعةٌ لم يثبت عن النبي ﷺ ولا أصحابه الكرام، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وأعني به: تخصيص الاجتماع لأجل الدعاء، فأما لو وُجدَ اجتماع على طاعة لله تبارك وتعالى، كدرس علمٍ، أو تلاوة قرآن، أو نحو ذلك، ثم دعوا، فلا أعلم بذلك بأساً .

١١- ومما ينبغي أن يحذره الداعي: التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره فإنه توسُّلٌ بدعيٌ لا يجوز[١] .

١٢- ومما ينبغي أن يحذره الداعي: ضم اليدين إلى الصدر حال الدعاء، وقد تقدم بيان صفة رفع اليدين .

ثالثاً: أوقات استجابة الدعاء[٢]:

من أوقات استجابة الدعاء:

---

(١) انظر: « التوسل، أنواعه وأحكامه » للألباني .

(٢) انظر: «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» [ص ٨٣] وهو هنا بتصرف منه .

١ – يوم عرفة من السنة، ورمضان من الشهور، ويوم الجمعة من الأسبوع في آخر ساعة بعد العصر، إذا جلس ينتظر صلاة المغرب .

٢ – جوف الليل الآخر، ونصفه الثاني، وثلثه الأول، وثلثه الأخير، ووقت السحر.

٣ – عند الأذان والإقامة، وبينهما[١]. ٤ – ساعة من كل ليلة .

٥ – ليلة القدر. ٦ – عند التأمين في الصلاة .

٧ – بعد الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير .

٨ – دبر الصلوات المكتوبات. ٩ – عند الاجتماع في مجالس الذكر.

١٠ – عند شرب ماء زمزم. ١١ – عند نزول المطر .

١٢ – عند التحام الحرب مع الكفار. ١٣ – عند صياح الديكة .

١٤ – عند حضور الميت وعند تغميضه .

رابعاً: مَنْ يُستجاب دعاؤهم[٢]:

١ – دعاء المسلم إذا جمع شروط الدعاء وآدابه وسلم من موانع الإجابة .

---

(١) انظر: «صحيح الجامع» [٣٤٠٥]، و[٣٤٠٦] .

(٢) انظر: «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» [ص ٨٤، ٨٥] بتصرف .

٢- دعاء المضطر، والمظلوم، ولو كان فاجراً أو كافراً .

٣- الإمام العادل. ٤- الوالد على ولده .

٥- الولد البار بوالديه. ٦- الصائم .

٧- المسافر. ٨- الذاكر الله كثيراً .

٩- دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب .

١٠- الحاج والمعتمر، وفي الحديث: «الحُجاج والعُمَّار وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»[١].

١١- من استيقظ من الليل فقال: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله** ». ففي الحديث أن «**من تعار من الليل، فقاله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته**»[٢].

١٢- من دعا بدعوة ذي النون «لا إله إلا أنتَ سبحانك إني كنت من الظالمين»، ففي الحديث عن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**دعوة ذي النون إذ دعا**

---

(١) رواه البزار، وحسنه الألباني. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٨٢٠] .

(٢) رواه البخاري [١١٥٤] .

وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له »[(١)].

١٣ – من قال في صلاته بعد التشهد، وقبل السلام: «**اللهـم إني أسألك يا الله الأحـد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم**»، ففي الحديث أن من قال ذلك يُستجاب له، ويغفر له[(٢)] .

١٤ – من قال في صلاته بعد التشهد وقبل السلام: « **اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك**» ثم دعا بما يريده من خير، فإن الله يستجيب له، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ سمع من يدعوا بذلك فقال: «**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا**

---

(١) رواه أحمد [١٤٦٢]، والترمذي [٣٥٠٥]، والنسائي في « السنن الكبرى » [١٠٤١٧]، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » [١٨٢٦] .

(٢) رواه أبو داود [٩٨٥]، والنسائي [١٣٠١]، ورواه أبو داود أيضاً [١٤٩٣]، والترمذي [٣٤٧٥] وحسنه، وابن ماجه [٣٨٥٧] بلفظ آخر ؛ عن بريدة ﷺ، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال: «**لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**».

سئل به أعطى »[(١)].

خامساً: موانع إجابة الدعاء:

إذا توجه العبد إلى الله تعالى بالدعاء ثم لم يُستجب له دعاؤه، فهناك احتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأول: أن الإجابة مؤجلة له في الدنيا إلى حيث الوقت المناسب الذي تثمر فيه .

الاحتمال الثاني: ألا يُستجاب له في الدنيا، ولكن يجازى على دعائه بأن يرفع عنه سوء كان مقدَّراً عليه، أو يدَّخر له أجره في الآخرة .

الاحتمال الثالث: أن تُردَّ دعوته ولا تُقبل منه، ولا تُستجاب له ؛ وذلك لوجود مانع من موانع الإجابة .

ومن أهم موانع إجابة الدعاء وأبرزها:

١ – ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي الحديث: « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم**

---

(١) رواه أحمد [٢١/ ١٩٢] [١٣٥٧٠]، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١٦٤١]: «حسن صحيح» .

عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم »[١]؛ وإذا كان من لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، لا يُستجاب دعاؤه، فكيف بمن هو غارقٌ في المعاصي والشهوات والمنكرات أصلاً !!، فالله المستعان.

٢- الاستعجال في الدعاء، بأن يقول: دعوت فلم يستجب لي .

٣- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.

٤- أكل الداعي وشربه ولبسه من الحلال، ففي الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ**﴾ [المؤمنون :٥١]، وقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ**﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟**»[٢].

٥- استيلاء الغفلة والشهوة والهوى على النفس، قال تعالى: ﴿**إِنَّ**

---

(١) رواه أحمد [٣٨/ ٣٣٢] [٢٣٣٠١]، والترمذي [٢١٦٩] وقال: «حديث حسن»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢٣١٣] :«حسن لغيره».

(٢) رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

ﭐللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، وفي الحديث: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**»(١).

٦- الدعاء على أناس مخصوصين، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها(٢)، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه(٣)، ورجل آتى سفيهاً(٤) ماله وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ** ﴾ [النساء: ٥]»(٥).

٧- عدم الجزم في الدعاء. ٨- عدم الخشوع في الدعاء.

---

(١) رواه الترمذي [٣٤٧٩]، والحاكم [١/ ٦٧٠][١٨١٧] وقال: «هذا حديث مستقيم الإسناد»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١٦٥٣]: «حسن لغيره».

(٢) فإذا دعى عليها لا يُستجاب له، لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها، وهو في سعة من فراقها.

(٣) أي: فأنكر أخذه للمال، فإذا دعا عليه لا يُستجاب له، لأنه المفرط والمقصِّر بعدم الإشهاد الذي أمر الله تعالى به.

(٤) فإذا أعطاه ماله فأضاعه له أو أفسده، ثم دعا عليه، فلا يُستجاب له لأنه المفرط بإعطائه المال له، مع نهي الشارع له عن ذلك.

(٥) رواه الحاكم [٣١٨١] [٢/ ٣٣١] وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٣٠٧٠].

٩- وقد لا يُستجاب الدعاء لحكمةٍ ربانية لا يُدركها الداعي .

وإذا أراد العبد أن يكون مستجاب الدعوة فليلتزم بما سبق ذكره في هذا المبحث، وليكثر من النوافل والطاعات والمستحبات، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[١].

سادساً: شرب ماء زمزم مع الدعاء:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم**»[٢].

وعن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً عاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه**» قال: وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال:

---

(١) رواه البخاري [٦٥٠٢]، وانظر: «فتح الباري» [١١/ ٣٤٨-٣٥٥].

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» [١١١٦٧] [١١/ ٩٨]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٣٣٢٢] .

«اللهم أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء»[١].

وعن جابر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ماء زمزم لما شرب له»**[٢].

وعن ابن أبي مليكة قال: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل، فجلس إلى جنبه فقال له ابن عباس: من أين جئت؟ قال: شربت من زمزم، قال: شربتها كما ينبغي؟ قال: وكيف ينبغي يا ابن عباس؟ قال: تستقبل القبلة، وتسمِّي الله ثم تشرب، وتتنفس ثلاث مرات، فإذا فرغت حمدت الله تعالى، وتتضلع منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم»**[٣].

وبناء على ما تقدم: يُستحب لمن كان في أرض الحرمين، أو كان في غيرها وأمكنه الحصول على ماء زمزم أن يُكثر من الشرب منه مع دعاء الله ﷻ أن يرزقه الحفظ والفهم والعلم النافع والعمل الصالح، فإن ذلك مظنة الإجابة،

---

(١) رواه الحاكم [١٧٣٩] [١/ ٦٤٦]، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارود، ولم يخرجاه»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١١٦٤]: «حسن لغيره».

(٢) رواه أحمد [١٤٨٤٩] [٢٣/ ١٤٠]، والبيهقي في «السنن الكبرى» [٩٦٦٠]، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١١٦٥]: «حسن لغيره»، وصححه في «صحيح الجامع الصغير» [٥٥٠٢].

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» [٩١١١]، والتضلع هو الإكثار من الشرب حتى يمتلأ الجنب والأضلاع.

وقد فعل هذا غير واحد من السلف .

* * * * *



التسميع الدائم والاستماع للقرآن

وفيها مبحثان:

المبحث الأول: تسميع القرآن

وينبغي على الحافظِ لكتاب الله تعالى أن لا يعتمد على حفظه بمفرده، بل يجب عليه أن يعرض حفظه دائماً على حافظ آخر، أو متابع له في المصحفِ ؛ حَبَّذا لو كان هذا مع حافظ متقن، وذلك حتى ينبِّهه لما يمكن أن يكون قد نسيه من القراءة، أو ردَّدَه دون وعيٍ أو أخطأ فيه.

فكثيراً ما يحفظ الواحد منا السورة خطأ، ولا ينتبه لذلك حتى مع النظر في المصحف، لأن القراءة كثيراً ما تسبق النظر، فينظر مريد الحفظ في المصحف، ولا يرى بنفسه موضع الخطأ في قراءته. ولذلك كان التسميع لغيره وسيلة لاستدراك هذه الأخطاء وتنبيهاً دائماً لذهنه وحفظه.

وكما أن في التسميع للغير تصحيح للخطأ، واستدراك لما قد يحصل من النسيان، فهو كذلك تثبيت للمحفوظ، وتقوية للذاكرة على استيعابه والاحتفاظ

به[١].

ولهذا كان السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - يداومون على تسميع القرآن على غيرهم، وكانوا يحرصون على عرض حفظهم على شيوخهم المتقنين.

قال مجاهد - رحمه الله -: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقفه عند كل آية أسأله فيما نزلت وكيف كانت»[٢].

وعن حفصة بنت سيرين - رحمها الله تعالى - قالت: قال لي أبو العالية: «قرأت القرآن على عمر ﷺ ثلاث مرار»[٣].

وهذا أبو عمرو عثمان بن سعيد - رحمه الله - [٤]: تلا على نافع شيخَه

---

(١) وفيه فائدة أخرى، وهو الاستمرار على الحفظ، والتعاون على البر والتقوى، وذلك لأن عادة الإنسان التسويف، فكلما أراد الحفظ أتته المشاغل فصرفته، ودعته نفسه للتأجيل والتأخير، وسرعان ما تفتر عزيمته، أما الحفظ بمشاركة أخ أو إخوة آخرين يضعون لأنفسهم خطةً، ويَشُدُّ كلّ منهم عضد أخيه، ويحصل التنافس بينهم والعتاب على التقصير، فهذا هو الطريق الموصل للهدف إن شاء الله.

(٢) «نزهة الفضلاء» [١/ ٤١٨].

(٣) «المرجع السابق» [١/ ٣٦٦].

(٤) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو الملقب بورش [ت ١٩٧هـ]؛ وهو صاحب القراءة المشهورة، جوَّد خَتَمات على نافع، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه «والورش: لبن يصنع».

=

أربع ختمات في شهر واحد.

وحرصَ السلف- رحمهم الله - كذلك على إقامة حلقات للتلاوة والتسميع في المساجد لأهمية التسميع وكثرة فوائده[١]، وكان هذا ديدن السلف الصالح، ليس في القرآن وحده، بل في سائر العلوم الشرعية، وكان الواحد منهم يشتهي أن يلقى أخاه حتى يذاكره العلم.

يقول إبراهيم النخعي - رحمَه الله -: «إنه ليطول عليَّ الليل حتى ألقى أصحابي وأذاكرهم».

وقال إبراهيم بن أرومة الأصبهاني- رحمه الله -: «كل مَنْ حفظ حديثاً فلم يذاكر به تفلَّت منه».

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: «كنا نكون عند النَّبيِّ ﷺ فنسمع منه الحديثَ، فإذا قمنا ذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه».

وعن عبد العزيز بن أبي حازم - رحمه الله - قال: قال أبي: «كان الناس فيما مضى من الزمان الأول، إذا لقي الرجل مَنْ هو أعلم منه قال: اليوم يوم غُنْمِي؛ فيتعلَّم منه، وإذا لقي مَنْ هو مثله قال: اليوم يوم مذاكرتي؛ فيذاكره،

«نزهة الفضلاء» [٢/ ٧١١].

(١) سيأتي هذا - إن شاء الله - في قاعدة (١٩): تعليم الناس المحفوظ.

وإذا لقي مَنْ هو دونه علَّمه، ولَمْ يَزْهُ عليه.

قال: حتى صار هذا الزمان، فصار الرجل يعيب مَنْ فوقه ابتغاء أن ينقطع منه؛ حتى لا يرى الناس أن له إليه حاجة، وإذا لقي مَنْ هو مثله لَمْ يذاكره، فهلك الناس عند ذلك».

وصدق - رحمَه الله - فيما قال، وليت أهل هذا الزمان - وخاصةً طلبة العلم الشرعي- تأملوا مقولته هذه، وتمثلوا بما فيها، وعملوا بها. والله المستعان.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المبحث الثاني: الاستماع للقرآن

وكما أن تسميع القرآن للغير ضبطٌ للمحفوظ، وإتقانٌ له، فكذلك استماعه من غيرك؛ فهو إضافة إلى كونه عبادةً لله تعالى، يُؤجَرُ عليها فاعلُها؛ فهو كذلك مما يثبِّت الحفظ ويصوِّبه ويقوِّيه.

والمرءُ مهما أُوتيَ من ذكاءٍ وفطنةٍ، وقوةِ حفظٍ وسرعة تَذكُّر، فهو - مع ذلك - لا يخلو من جوانب نقصٍ وخَلَل وضعفٍ - لا يراها هو في نفسه -، ومثل هذا النقص يُعالِجه عن طريق التسميع للغير، أو الاستماع منه وإليه.

وهذا رسول الله ﷺ تروي عنه أُمُّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فتقول: سمع النَّبيُّ ﷺ رجلاً يقرأ في سورةٍ بالليل، فقال: «**يرحمه الله، لقد أذكرني آية كذا وكذا، كنت أُنسيتُها من سورة كذا وكذا**»(١).

وعنها - رضي الله عنها - قالت: أبطأتُ على عهد رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء - تعني في المسجد - ثُمَّ جئت، فقال: «**أين كنتِ؟**» قلت: كنتُ أستمعُ قراءة رجل من أصحابك، لَمْ أسمع قبلُ قراءته وصوته من أحد!

---

(١) رواه البخاري في «فضائل القرآن» [٥٠٣٧، ٥٠٣٨]، ومسلم في «صلاة المسافرين» [٧٨٨].

قالت: فقام وقمت معه، حتى استمع له، ثُمَّ التفت إليها فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**»[(١)].

وتقدَّم بيانُ استماعه ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ وطلبه من عبد الله بن مسعود ﷺ أن يقرأ عليه واستماعه له، وكذا طلب الصحابة من أبي موسى ﷺ أن يقرأ عليهم، وهم يستمعون إليه .

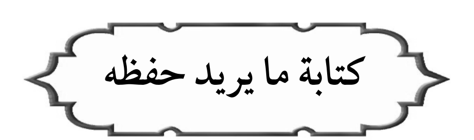
فعلى حافظ القرآن - ومريد حفظه -: أن يتعاهد القرآن حتى لا يتفلَّت من ذاكرته، وذلك بدوام تلاوته استظهاراً من الصدر، والتسميع لغيره من القرَّاء المجيدين، والاستماع إليه منهم مباشرةً، أو عن طريق إذاعات القرآن الكريم، أو المصاحف المرتَّلَةِ لكبار القرَّاء، وكذلك القراءة من المصحف، فكل ذلك - إن شاء الله تعالى - مما يثبت الحفظ ويعينه عليه.

* * * * *

---

(١) رواه ابن ماجه في «إقامة الصلاة» [١٣٣٨]، وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده صحيح ورجاله ثقات».

القاعدة الثامنة عشر:



كتابة ما يريد حفظه

أورد الخطيب البغدادي بسنده عن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: كان رجل يشهد حديث النَّبيِّ ﷺ فلا يحفظه فيسألني فأحدثه، فشكا قلة حفظه إلى رسول الله ﷺ فقال له: «**استعن على حفظك بيمينك**»[(١)]، يعني: بكتابة ما يريد حفظه.

وأورد البخاريُّ في صحيحه «باب كتابة العلم» بسنده عن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: «ما من أصحاب النَّبيِّ ﷺ أحد أكثرَ حديثاً مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب»[(٢)].

---

(١) ذكره في كتابه «تقييد العلم» باب: ما روي عن النَّبيِّ ﷺ ؟ أنه أمر الذي شكا إليه سوءَ الحفظ أن يستعين بالخط. [ص ٦٥]. ط. دار إحياء السنة النبوية.

(٢) رواه البخاري [١١٣] كتاب العلم، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: [قوله (فإنه كان يكتب ولا أكتب) هذا استدلال من أبي هريرة على ماذكره من أكثرية ما عند عبد الله بن عمرو بن العاص على ما عنده، ويستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازماً بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثاً عن النبي ﷺ منه إلا عبد الله، مع أن الموجود المروي عن عبد الله بن عمرو أقل من =

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «قيدوا العلم بالكتابة»[1].

فالكتابة مما يعين على إحكام المحفوظ وإتقانه، وذلك أن الإنسان يحفظ بنظره كما يحفظ بسمعه فإذا كتب ما يريد حفظه، فإنه يرى كل كلمة وكل حرف في أثناء كتابته، ثُمَّ يعود إلى ما كتبه بنظره مراراً في أثناء تكراره لأجل الحفظ، وبذلك يرسخ في ذهنه رسوخاً عجيباً.

الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة، فإن قلنا: الاستثناء منقطع فلا إشكال، إذ التقدير: لكن الذي كان من عبد الله وهو الكتابة لم يكن مني، سواء لزم منه كونه أكثر حديثاً لما تقتضيه العادة أم لا. وإن قلنا: الاستثناء متصل، فالسبب فيه من جهات:

أحدها: أن عبد الله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم فقلَّت الرواية عنه.

ثانيها: أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو الطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصدّياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمانمائة نفس من التابعين، ولم يقع هذا لغيره.

ثالثها: ما اختصَّ به أبو هريرة، من دعوة النَّبي ﷺ له بأنه لا ينسى ما يحدِّثه به كما سنذكره قريباً.

رابعها: أن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جملٍ من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدّث منها، فتجَنَّبَ الأخذ عنه لذلك كثيرٌ من أئمة التابعين. والله أعلم].

انظر: «فتح الباري» [١/ ٢٥٠]ط. الريان.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٦) وقال: «وصح مثله من قول أنس»، وسكت عه الذهبي.

ولا زالت كتابة ما يريد حفظه؛ هي الطريقة المثلى للحفظ في بلادنا[١] وكذلك في «الخلاوي» في السودان وغيرها من البلاد الإفريقية، حيث يكتب الأطفال ما يريدون حفظه من الآيات.

وأمْرُ الكتابة أمرٌ نسبي يختلف من شخص لآخر، فمن علم من نفسه قوة الحفظ وثباته من غير كتابة فإنَّ ترك الكتابة في حقه أولى، لأن الكتابة تضيع الكثير من الوقت، وقد كان البخاري - رحمَه الله - وهو حافظ الدنيا؛ لا يكتب، وإنما يحفظ مباشرةً، وكذا كان غيره من علماء السلف رحمهم الله تعالى، ومن عَلِمَ من نفسه ضعف الحفظ، وشرود الذهن، وقلة الضبط للمحفوظ، ووجد أن الكتابة معينةٌ له على الحفظ والإتقان؛ فعليه بها، والله الموفق.

ومما يدخل في الكتابة - المعينة على الحفظ -: أن يقوم بوضع علامةٍ بالمرسام على مواضع الخطأ التي تَمُرُّ به من خلال حفظه للآيات؛ ثُمَّ يقوم

---

(١) أعني: في قرى صعيد مصر؛ حيث الكتاتيب التي يحفظ بها الأطفال كلام الله عز وجل، فيذهب كلٌ منهم ومعه لوح خشبي يكتب عليه ما يريد حفظه بالحبر الأسود أو الأزرق، وفي اليوم التالي مباشرة يكون قد حفظه فيمسحه بالماء ثُمَّ يكتب آيات جديدة وهكذا.

وأعرف شابًّا كان يدرُس بالجامعة المصرية، حفظ القرآن كله بهذه الطريقة في سِنٍ متأخرة، لكنه استعمل بدلاً مِنَ الألواح، عدداً مِنَ الدفاتر أو الكراسات وكان يكتب عليها ويحتفظ بها، حتى أنهى حفظه للقرآن.

بعد ذلك بتكرار موضِعِ الخطأ - بعد تصحيحه - موصولاً بما قبله وما بعده من الكلمات؛ يُكَرِّر ذلك مراتٍ كثيرةً جدًّا، حتى ينمحي ذلك الخطأ تماماً، وعليه أن يعتنيَ بهذه المواضِعِ عنايةً خاصَّةً كلما مرَّ بها في ورده، أو تسميعه أو استماعه.. فيكررها لئلا يعودَ الخطأ إليه مرةً أخرى.

وهذه الطريقة مفيدة جدّاً في تصحيح الخطأ وتثبيت الصواب من المحفوظ، وقد جربتها مع الطُّلاب الذين أقوم بتدريسهم سواء في حلقات التحفيظ، أو في المدارس النظامية - هنا في المملكة - ووجدتُ لها أثراً عظيماً في ذلك.

وقد ذكر بعض القرَّاء أنه لا يتمكن من إتقان حفظه، وتصحيح الخطأ إلا بتكراره مئةَ مرةٍ على الأقل. والله تعالى أعلم.

* * * * *

القاعدة التاسعة عشر:

تعليم الناس المحفوظ ونشره بينهم

ومن أسباب تثبيت الحفظ ووسائل إتقانه وإحكامه: نـشرُه بين الناس، وتعليمه لهم، مع ما في هذا العمل - أعني: الدعوة والتعليم - مِن امتثال أمر الله تعالى ومن عظيم الأجر والثواب.

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وقال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وعن أبي مسعود البدري ﷺ أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: أنه قد أُبدع

بي[١]، فقال رسول الله ﷺ: «**ائت فلاناً**» فأتاه فحمله. فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دل على خير فله مثل أجر فاعله**»، أو قال: «**عامله**»[٢].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثلُ أجور مَنْ تبعه لا يَنقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم، مثلُ آثامِ مَنْ تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً**»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن الدال على الخير كفاعله**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مثل الذي يتعلم العلم، ثم لا يُحدِّثُ به، كمثل الذي يكنزُ، فلا يُنفق منه**»[٥].

---

(١) قوله: «أُبدع بي» أي: كلَّتْ ركابه، أو عَطِبَتْ، وبقي منقطعاً عنها. و«يستَحمِلُهُ» أي: يطلب حمله على دابة ونحوها.

(٢) رواه مسلم [١٨٩٣]، وأحمد [٤/ ١٢٠]، وأبو داود [٥١٢٩]، والترمذي [٢٦٧١].

(٣) رواه مسلم [٢٦٧٤].

(٤) رواه التِّرمذي [٢٦٧٠] في كتاب العلم. وصححه الألباني في: «صحيح الجامع الصغير» [١٦٠٥].

(٥) رواه الطبراني في الأوسط [٦٨٩]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٥٨٣٥].

وتقدَّم قول النَّبيِّ ﷺ: «**خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلمه**»[(١)].

وتعليم الناس المحفوظ ونشره بينهم، يكون في القرآن وفي الحديث وفي غيرهما من العلوم الشرعية المتفرعة عنهما، والخادمة لهما.

وتكرار المحفوظ على مسامع الناس وتعليمهم إياه؛ من أعظم ما يثبت الحفظ، ولهذا تجد العلماء الذين يتصدَّوْن للفتيا وتعليم الناس؛ هم أحفظ الناس للأدلة الشرعية، وذلك لكثرة تكرارهم لها على مسامع الناس، وتجد القراء الذين يقيمون حلقات التلاوة والتسميع - وكذا أئمة المساجد، هم أحفظ الناس للقرآن؛ لكثرة تكرارهم له، وكثرة سماعهم إياه من غيرهم عن طريق التسميع لهم.

وقد كان كثير من السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - يشتغلون بتعليم الناس القرآن، ومن هؤلاء:

١- أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم، صاحب النَّبيِّ ﷺ، وهو من قُرَّاءِ الصحابة، وكان ﷺ أقرأ أهل البصرة وأفقههم في الدين.

قال أنس ﷺ: بعثَني أبو موسى الأشعري إلى عمر، فقال لي: كيف تركتَ الأشعري؟ قلت: تركته يعلِّم الناس القرآن، فقال: أمَا أنه كيِّسٌ! ولا

---

(١) رواه البخاري [٥٠٢٧]، وأبو داود [١٤٥٢]، والترمذي [٢٩٠٩]، وغيرهم.

تسمعها إياه[١].

٢- أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ﷺ، حكيم هذه الأمة، وسيد قُرّاءِ دمشق، وهو صاحب النَّبيِّ ﷺ:

عن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال: «كان أبو الدرداء يُصلِّي، ثُمَّ يجلس ويُقريء ويقرأ... وهو الذي سنَّ هذه الحِلَق للقراءة». أي: قراءة القرآن[٢].

٣- أبو عبد الرحمن السُّلَمِي:

فقد كان أبو عبد الرحمن السُّلَمي - رحمه الله - يُقريء الناس في المسجد الأعظم - الكبير، وهو مسجد الكوفة - أربعين سنة، وكان يروي حديث: «**خيركم مَنْ تعلم القرآن وعلمه**»[٣] ويقول: فذلك الذي أقعدني هذا المقعد[٤].

٤- ابن الأخرم- محمد بن النضر بن مُرّ الربعي رحمه الله تعالى- مقريء دمشق [ت ٤٣١ هـ]:

كانت له حلْقة عظيمة بجامع دمشق، يقرؤون عليه من بعد الفجر إلى

---

(١) «نزهة الفضلاء» [١/ ١٦٨].

(٢) «المرجع السابق» [١/ ١٥٩]، وانظر: «تذكرة الحفاظ» [١/ ٢٤].

(٣) رواه البخاري [٥٠٢٧]، وأبو داود [١٤٥٢]، والترمذي [٢٩٠٩]، وغيرهم.

(٤) «نزهة الفضلاء» [١/ ٣٨٣].

الظهر[(١)].

٥- الإمام المقريء شيخ الإسلام أبو منصور محمد بن أحمد بن علي البغدادي الخياط الزاهد - رحمه الله - [ت٤٩٩هـ]:

جلس لتعليم كتاب الله دهراً وتلا عليه أمم، وكان له وردٌ بين العشاءَيْن بسُبُعٍ، وبلغ عدد مَنْ أقرأهم القرآن من العميان سبعين نفساً[(٢)].

وياله من صبر عجيب، وعزيمة جَبَّارة، أن يُعلِّم سبعين رجلاً كتاب الله عز وجل، وهم من العميانِ فلا يستطيعون القراءة، ويعتمدون اعتماداً كُلِّياً على السماع والتلقين، فما أعظم أجره وما أكثر ثوابه...

وهكذا كان هدي السلف في غير القرآن من علوم الشرع، كالحديث والفقه والتفسير وغير ذلك من العلوم.

قال سفيان الثوري- رحمَه الله -: «تعلَّمُوا هذا العلم، فإذا علمتموه فتحفظوه، فإذا حفظتموه فاعملوا به، فإذا عملتم به فانشروه».

وقيل شعراً:

يا طالباً للعلم كي تحظى بهِ   ديناً ودنيا حظوة تعليهِ

---

(١) «نزهة الفضلاء» [٢/ ١١٤٥].

(٢) «المرجع السابق» [٣/ ١٣٤٧].

اِسمعه ثُمَّ احفظه ثُمَّ اعمل بهِ لله ثُمَّ انشـره في أهليهِ

وقال إبراهيم النَّخعي- رحمَه الله -: «مَنْ سرَّه أن يحفظ الحديثَ فَليُحَدِّثْ به؛ ولو أن يُحَدِّثَ به مَنْ لا يشتهيه، فإنه إن فعل ذلك كان كالكتاب في صدره».

وكان ابن شهاب الزهري - رحمَه الله - يجمع الأعاريب فيحدثهم ويُعلِّمهم - يريد بذلك الحفظ -، وكان يسمع الحديث من عروة وغيره، فيأتي إلى جارية له وهي نائمة فيوقظها، فيقول: اسمعي: حدثني فلانٌ كذا، وفلانٌ كذا، فتقول: مالي ولهذا الحديث، فيقول: قد علمتُ أنكِ لا تنتفعين به، ولكن سمعته الآن فأردت أن أستذكره[1].

وعن عبد الله بن المبارك - رحمه الله - قال: «مَنْ بخل بالعلم ابتُلِيَ بإحدى ثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، أو ينسى، أو يتبع السلطان»[2].

فعلى من أراد تثبيت حفظه سواء كان قرآناً أو مسائل في الفقه أو غير ذلك من العلم الشرعي المحمود: أن يعلمه غيره من الناس، وأن ينشره بينهم، وأن يراجعه معهم؛ ولو أن يعلِّمَ أطفالَ المسلمين ما حفظه من

---

(١) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ١٩٨].

(٢) رواه أبو نُعَيمٍ في «حلية الأولياء» [٨/ ١٦٥].

القرآن والحديث، وفي هذا تثبيتٌ لحفظه مع ما يناله من عظيم الأجر والثواب عند الله تبارك وتعالى، وقد تقدم الحديث «**خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه**»[١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري [٥٠٢٧]، وأبو داود [١٤٥٢]، والترمذي [٢٩٠٩]، وغيرهم.

القاعدة العشرون:

التقلُّل من الدنيا

وذلك أن التعلُّق بالدنيا وشهواتها وملذَّاتها يضيع على الإنسان جُلَّ وقتِه، ويجعله دائم الفكر فيها، مُسْتغرق الهم في تحصيلها، منشغلاً بالإكثار منها، ومَنْ هذه حالُه قلَّ أن يحفظ سورةً من كتاب الله عز وجل، أو حديثاً من أحاديث النَّبيِّ ﷺ فضلاً عنِ التطَلُّعِ إلى أكثر من ذلك.

وقد ذمَّ الله عز وجل مَن اتبعوا شهواتهم، وساروا خلفها؛ حتى شغلتهم عما خُلقوا له من طاعة الله وعبادته، وتوعَّدهم بالغَيِّ، فقال سبحانه: ﴿ **فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾ [مريم: ٥٩].

وبيَّن سبحانه أن مَنْ أراد الدنيا، وكانت هي همَّه وسعى إليها، وانشغل بها، أنه قد ينالها، ولكنَّ مصيره في الآخرة النار، وبئس المصير والقرار.

قال سبحانه: ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ**

جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

وأخبر سبحانه أن نعيم الدنيا سيعقبه السؤال والحساب، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

وليت شعري، أي قيمةٍ لنعيمٍ يفنى وينتهي وتبقى تَبِعاته؟! شِدّةٌ في السؤال والمحاسبة! من أين اكتُسِبَ وفيمَ أُنفق؟ ومن يدري؟ فقد يكون نعيمُ الدنيا سبباً في شقاء الآخرة! والله المستعان.

ولذات الدنيا ممزوجةٌ بالآفات، محفوفةٌ بالمخاوف والمخاطر يعكِّر صفوَها كثيرٌ من الهموم والغموم.. فهل يهنأ بهذه عاقل:

قايستُ بين جمالها وفِعالها فإذا الملاحةُ بالقباحةِ لا تفي

وقال آخر:

دارٌ إذا ما أَضْحَكَتْ في يومها أبكَتْ غداً قُبْحاً لها من دار

ولذَّات الدنيا يسعى خلفها كُلُّ أحد، ويركضُ وراءها كل فاسق وساقط، وينافس فيها كل مُلحدٍ وفاجر، وهذا من أعظم ما يُزهِّد فيها:

سأتركُ حبَّها من غيرِ بُغْضٍ ولكنْ لكثرةِ الشُّـركاءِ فيهِ
إذا وقع الذُّبابُ على طعام رفعتُ يدي ونفسِي تشتهيهِ
وتجْتَنب الأسودُ ورودَ ماءٍ إذا كان الكلابُ يلُغْنَ فيه

وقيل لأحد الزُهّاد: ما الذي زهَّدك في الدنيا؟ فقال: خِسَّةُ شركائها، وقلَّة وفائها، وكثرة جفائها.

وقيل لآخر - في ذلك - فقال: ما مَدَدتُ يدي إلى شيءٍ منها، إلا وجدتُ غيري قد سبقني إليه، فأتركه له.

والدنيا دارُ ممرٍّ لا دارُ مَقَرّ، ومنزل عبور لا مَقْعد حبور، وهي خيالُ طيفٍ أو سَحَابةُ صيفٍ، ومَنْ فيها - من أهلها - كراكبٍ قالَ تحت ظلِّ شجرةٍ ثُمَّ راح عنها وتركها:

أرى أشقياءَ الناسِ لا يسأمونها   على أنهم فيها عُراةٌ وجوَّعُ
أُراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها   سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تقشعُ

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «ليست الدنيا دار إقامة، وإنما آدم أُهبط إليها عقوبة، ألا ترى كيف يَزْويها عنه، ويمرِّرها عليه؛ بالجوع، بالعُري، بالحاجة، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها، تسقيه مرةً حُضَضَاً، ومرةً صَبِراً؛ وإنما تريد بذلك ماهو خيرٌ له.[1]

وقد كانت عيشة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم جميعاً، وهم

---

(١) الحُضض: عصارة شجر معروف مر المذاق يُتداوى به، ويشبه الصبر. «سير أعلام النبلاء» [٨/ ٤٣٥].

أفضل الناس بعد الأنبياء - عيشة الفقراء، فلم يكونوا ينعمون بهذه الدنيا، ولا يُهلِكون أوقاتهم وأعمارهم في تحصيلها؛ بل يرضون منها بأقل القليل .

تقول عائشة - رضي الله عنها -: «ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتاليين حتى قبض». وفي روايةٍ: «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرٍّ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قُبض»[1].

وعن عروة، عن عائشةَ - رضي الله عنهما - أنها قالت له: «ابنَ أختي؛ إن كُنَّا لننظر إلى الهلالِ؛ ثلاثةَ أهلَّةٍ في شهرين، وما أُوقِدَتْ في أبياتِ رسول الله ﷺ نارٌ. فقلتُ: ما كان يُعيشُكُم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسولِ الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار كان لهم منائحُ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه»[2].

وعنها ﵂ قالت: «كان فراش رسول الله ﷺ من أَدَم، وحشوُه لِيف»[3].

وكان ﷺ يرغِّبُ أصحابه في الزهد في الدنيا والقناعة باليسير منها:

---

(١) رواه البخاري [٦٤٥٤]، ومسلم [٢٩٧٠].

(٢) رواه البخاري [٦٤٥٩]، ومسلم [٢٩٧٢].

(٣) رواه البخاري [٦٤٥٦].

فعن عبيد الله بن مِحْصَنٍ الأنصاري الخُطَمِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أصبح منكم آمناً في سربه، مُعافىً في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها**»(١).

وكان يقول ﷺ: «**قد أفلح مَنْ أسلم وكان رزقه كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه**»(٢).

بل كان ﷺ يدعو ويقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قُوتاً**»(٣).

وعن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما - قال: «لقد رأيت نبيكم ﷺ ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه»(٤).

وأورد البخاريُّ في صحيحه «كتاب العلم» باب: «حفظ العلم»:

---

(١) رواه التِّرمذي [٢٣٤٦] في كتاب الزهد، والبخاري في «الأدب المفرد» [٣٠٠]، وابن ماجه [١٤٤١] في الزهد، والحميدي [٤٣٩]، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب»، وحسنه الألباني في: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٣١٨]، و«صحيح الأدب المفرد»[٢٣٠]، قال ابن الأثير في «النهاية» [٢/ ٣٥٦] ط. عيسى الحلبي: [«سرب»: يقالُ فلانٌ آمِنٌ في سِرْبه - بالكسر -: أي في نفسه، وفلانٌ واسعُ السِّرْبِ: أي رَخِيُّ البالِ، ويُروَى بالفَتح، وهو المسلك والطريق، يقالُ: خَلِّ سَرْبَه: أي طريقه].

(٢) رواه مسلم [١٠٥٤] عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعاً.

(٣) رواه البخاري [٦٤٦٠] من حديث أبي هُرَيْرة ﷺ مرفوعاً.

(٤) رواه مسلم [٢٩٧٨]، والتِّرمذي [٢٣٧٣]. والدقل: رديء التمر.

عن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: «إن الناس يقولون أكثرَ أبو هُرَيْرة، ولولا آيتان من كتاب الله ما حدَّثت حديثاً، ثُمَّ تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، ثُمَّ قال: «إن إخواننا المهاجِرينَ كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هُرَيْرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون»[1].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «وفيه الحث على حفظ العلم، وفيه أن التقلُّل من الدنيا أَمْكَن من حفظه، وفيه فضيلة التكسُّب لمن له عيال، وفيه جواز إخبار المرء بما فيه من فضيلة إذا اضطر إلى ذلك وأمن من الإعجاب».

فانظر - رحمك الله - إلى فقه أبي هريرة ﷺ ، فقد رضي بالفقر مع ملازمته للنبيِّ ﷺ - على شبع بطنه فقط - ليحفظ الحديثَ، عن أن يشتغل بالدنيا كما فعل غيره من الصحابة؛ فماذا كانت النتيجة؟! صار أبو هُرَيْرة

(١) رواه البخاري [١١٨]، وانظر: «فتح الباري» [١/ ٢٥٨ - ٢٦٠].

أحفظ الصحابة على الإطلاق؛ بل هو حافظ هذه الأمة ﷺ، وذلك لأنه لَمْ ينشغل بالدنيا ولا شهواتها، ولم يكن من المُترَفين فيها أو المتنعِّمين بها، بل كان همه الأكبر هو العلم والحفظ.

ويدل على ذلك ما رَوَاهُ الحاكمُ في «المستدرك» من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: «كنت أنا وأبو هُرَيْرة وآخرُ عند النَّبيِّ ﷺ فقال: «ادعوا»، فدعوت أنا وصاحبي وأمَّن النَّبيُّ ﷺ، ثُمَّ دعا أبو هريرة فقال: «اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي، وأسأل علماً لا يُنسى» فأمَّن النَّبيُّ ﷺ ، فقلنا: ونحن كذلك يا رسول الله، فقال: «**سبقكما الغلام الدوسي**»[١].

وليس معنى ذلك أن يعتزل طالب العلم والحفظ الدنيا، ويترك العمل ويعيش عالةً على غيره.. لا وألف لا..

قال سعيد بن المسيب- رحمه الله -: «لا خير فيمن لم يجمع المالَ، يكفّ به وجهه، ويؤدي أمانته»[٢].

---

(١) رواه الحاكم [٣/ ٥١٨] وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «حماد ضعيف»، وهو حماد بن شعيب، والحديث ضعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» [٣٢٤٢]، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة» [٣٨٤٨].

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» [١/ ٧٢٠].

وقال عبد الرحمن بن أبزى ﷺ: «نِعمَ العونُ على الدِّين اليسارُ»[١].

وقال أيوب السختياني رحمه الله: قال لي أبو قلابة[٢] - رحمه الله -: «يا أبا أيوب! الزم السوق؛ فإنَّ فيها غِنىً عن الناس، وصلاحاً في الدِّين»[٣].

وقال أبو الدرداء ﷺ :« من فقه الرجل استصلاحه معاشه»[٤].

وقال ﷺ أيضاً: «صلاح المعيشة من صلاح الدين، وصلاح الدين من صلاح العقل» .

وقال: ليس من حُبِّك الدنيا التِماسُكَ ما يُصلحك منها .

وقال عمر ﷺ: «يا معشر القرّاء استبقوا الخيرات، وابتغوا من فضل الله، ولا تكونوا عيالاً على الناس»[٥].

وقال عبد الله بن المبارك- رحمَه الله -: «لا يُطلَب العلم إلا بالفراغ

---

(١) «المرجع السابق» [١/ ٧٢١]، واليسارُ: الغِنى.

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر... أبو قلابة الجَرْمي البصريّ، من أجلّةِ التابعين، وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» [٤/ ٤٦٨]، و«الكاشف» [١/ ٥٥٤].

(٣) «جامع بيان العلم وفضله » [١/ ٧٢٣].

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» [١/ ٧٢٥،٧٢٤].

(٥) «المرجع السابق» [١/ ٧٢٥]، وصح مثله عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى.

والمال والحفظ والورع»[١] وورد مثله عن غيره من السلف، ومن أين يأتي المال إن لَمْ يكن له عمل يرتزق منه؟! وقد كان كثير من علماء السلف - إن لَمْ يكن جميعهم - لهم أعمالٌ يكتسبون منها أرزاقهم، وما كانوا في يومٍ من الأيام عالةً على غيرهم.

والغرض من إيراد ما تقدم: أن يتطلَّع طالب العلم إلى معالي الأمور فيكونَ كما قيل: «قدَماه في الثَّرى وهامةُ هِمَّته في الثّريا»[٢] فيعمل عملاً يسيراً يتحصَّل منه على قُوتِه وقوتِ عياله، ثُمَّ يفرِّغ بقية أوقاته للعلم والحفظ، والدراسة والتحصيل، فلا تشغله الدنيا وملذَّاتها وشهواتها ومغرياتها عن مقصوده الأسمى؛ وهو حفظ كلام الله عز وجل، ودراسة

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٤/ ٣٥٩ - ٣٦٠].

(٢) قال الإمام الحافظ المتقن الأديب، أبو الحسن علي بن أحمد النُّعيمي البصري الشافعي [ت٤٢٣ هـ]:

إذا أظمأَتْكَ أَكُفُّ اللِّئام	كَفَتْكَ القناعَةُ شِبعاً وريّاً
فكُنْ رَجُلاً رِجلُهُ في الثرى	وَهامَةُ هِمَّتِهِ في الثُّرَيَّا
أَبيّاً لنائِلِ ذي ثَرْوَةٍ	تراهُ بما في يديه أَبيَّا
فإنَّ إراقةَ ماءَ الحياة	دون إراقةِ ماء المُحَيَّا

«سير أعلام النبلاء» [١٧/ ٤٤٧].

العلوم الشرعية، والتفقه في الدين، وتعليم غيره من المسلمين.

وأن يصبر على خشونة العيش وقلة المال والمتاع، وأن لا يتطلَّع إلى ما لغيره من مال أو متاع.

وقد تقدّم قول يحيى بن أبي كثير - رحمه الله -: «لا يُنال العلمُ براحة الجسم».

وقال إبراهيم الحربي - رحمَه الله -: «أجمع عقلاء كل أمة: أن النعيم لا يُدرك بالنِّعَمِ، وأن مَنْ آثر الراحة فاتته الراحة، فما لصاحب اللذات وما لدرجة وِراثة الأنبياء».

* * * * *

القاعدة الحادية والعشرون:



مراجعة سير القوم

وعلى مَنْ أراد العلم والحفظ، وطلب الفهم والاستيعاب؛ أن يُطالع أحوال السلف الصالح رحمَهم الله، وأن ينظر في هِمَمهم العالية في دراستهم وتحصيلهم، وحفظهم واستيعابهم، وطلبهم للعلم وعملهم به، وطاعتهم لله عز وجل، فإنَّ ذلك من أعظم ما يزيد في الهمة، ويُحَرِّض على الحفظ والطلب، ويدعو للاستقامة والثبات على الحق، مع الإخلاص لله والمراقبة له في ذلك كله.

وها أنا «أستعرض بعض النماذج لبعض حُفَّاظ هذه الأمة في قوة حفظهم وسرعة فهمهم واستيعابهم، ليس في القرآن وحده - فإنَّ حفظهم للقرآن في صغرهم أمرٌ مسلَّم به، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك - وإنما في حفظهم لحديث النَّبيِّ ﷺ وغيره من العلوم والفنون.

١- **فهذا أبو الضحاك: زيد بن ثابت** رضي الله عنه كاتب الوحي للنبيِّ ﷺ، أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة بعد هجرة النَّبيِّ ﷺ.

رَوَى خارجة عن أبيه قال: أُتي بي النَّبيَّ ﷺ مقدمه المدينة فقالوا: يا

رسول الله هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرةَ سورة. فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك، وقال: «**يازيد؛ تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمنُهم على كتابي**»، قال: فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته[1]، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم.

وعن ثابت بن عبيد قال: قال زيد: قال لي رسول الله ﷺ: «**أتُحسن السريانية؟**» قلت: لا، قال: «**فتعلَّمْها فإنه تأتينا كُتب**»، قال: فتعلمتُها في سبعة عشر يوماً!![2].

فانظر إلى هذه الهمَّة العالية، وانظر إلى تلك التربية النبوية الفاضلة، فبعد ما رآه النَّبيُّ ﷺ حريصاً على حفظ القرآن، واطمأنَّ عليه في ذلك؛ أمرَه أن يتعلم لغة العجم، لا ليفتخر بها، أو يتعالى على غيره من خلال تشدُّقه بكلماتها؛ ولكن ليأمن المسلمون كيدهم، ويجتنبوا مكرهم، فإنه مَنْ عرف لغة قوم أمِنَ مكرَهم؛ فتعلَّمَها في نصف شهر، وجوَّد الكتابة وحفظ القرآن وأتقنه، وأحكم الفرائض، وانتدبه أبو بكرٍ في جمع القرآن، ثُمَّ عيَّنه عثمان

---

(١) ومن الذي يستطيع ذلك الآن؟! وقد أتيحت لنا من وسائل العلم والمعرفة والدراسة والتحصيل ما لم يتوفر عُشْرُ مِعشاره لذلك الجيل.. فالله المستعان.

(٢) رواه ابن حبان [٧١٣٦]، والحاكم [٣/ ٤٢٢]، وأبو داود [٣٦٤٥]، والترمذي [٢٧١٥] وقال: «حديث حسن صحيح» .

لكتابة المصحف، وانتهت إليه الرياسة في آخر أيامه؛ وقَرَأَ عليه ابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وغيرهم كثير[١]، فرضي الله عنه وعن أصحاب النَّبيِّ ﷺ أجمعين.

٢- وهذا الإمام الكبير أبو وائل الأسدي، شقيقُ بن سلمة، شيخ الكوفة، وهو تابعي مخضرم [ت ٨٢هـ].

قال فيه الإمام الذَّهبي: «كان رأساً في العلم والعمل» ، وورَد عنه - رحمَه الله - أنه تعلم القرآن في شهرين فقط[٢].

وهذه همَّة عالية عجيبة، قلَّ وندر أن يوجد مثلها في هذا الزمان.

٣- وهذا الإمام الجليل تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي، شيخ العربية وشيخ القراءات ومسند الشام[م ٥٢٠ هـ، ت٦١٣هـ] أي أنه عاش فترة كانت ظروف المسلمين فيها سيئة للغاية، وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية غير مستقرة، والفتن والحروب والانهزامية تحيط بهم من كل جانب - كما هو حالنا هذه الأيام - وبالرغم من ذلك كله: حفظ القرآن كله وهو في سن التمييز، وقرأه بالقراءات العشر

---

(١) «فتح البَارِي» [٩/ ٤٨]، و«تذكرة الحفاظ» [١/ ٣٠].

(٢) «نزهة الفضلاء» [١/ ٣٥٧].

وله عشرة أعوام[١].

وممن حفظ التاريخ أسماءهم من حُفَّاظ التابعين: أبو العالية الرياحي رفيع بن مهران؛ وقد قرأ على أبيٍّ وغيره، وأبو رجاء العطاردي عمران بن مِلحان البصري؛ تلقَّن من أبي موسى وعرض على ابن عباس، والحسن ابن أبي الحسن (الحسن البصري)الذي نشأ بالمدينة وحفظ القرآن في خلافة عثمان ﵁، وغيرهم كثير.

وهكذا نقل الخلف عن السلف، جيلاً بعد جيل، واشتهر المقرئون في الأمصار والأعصار:

فمن قُرَّاء المدينة:

١- شيبة بن نصاح قاضي المدينة ومقرؤها، أدرك أم المؤمنين عائشةَ وأم سلَمة - رضي الله عنهما- .

٢- وقالون؛ أبو موسى، قاريء أهل المدينة في زمانه ونحْويُّهم، وقالون لقبُه، وهي لفظة رومية معناها: جيد.

ومن قُرَّاء مكَّة:

١- عبد الله بن كثير المكي، إمام المكيين في القراءة وضبط القرآن.

---

(١) «نزهة الفضلاء» [٣/ ١٥٣١].

٢- وَوَهْب بن واضح، انتهت إليه الرئاسة في الإقراء بمكة.

ومن قُرَّاء مصر:

١- عثمان بن سعيد الملقب بِـ (وَرْش)، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه.

٢- طاهر بن عبد المنعم، وكان من كبار المقرئين في عصره بمصر.

ومن قُرَّاء أهل العراق:

١- عاصم بن أبي النَّجُود الأَسَدي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة.

٢- أبو عمرو الدُّوري نزيل سَامُرَّاء؛ حفص بن عمر بن عبد العزيز ابن صهبان، مقريء الإسلام وشيخ العراق في وقته، ويقال: إنه أول مَنْ جمع القراءات وألَّفها [١].

وأما حفظهم لغير القرآن فعجيب، وهذه بعض نماذج من حفظهم؛ لتدرك الفرق بيننا وبينهم، وكيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه؟ وتخلَّفنا في ركب الكسالى والعاجزين!!.

---

(١) «كيف تحفظ القرآن» لعبد الرب نواب الدين. [ص ٢٨- ٣٠].

وانظر: «تذكرة الحفاظ» [١/ ٦١، ٦٦، ٧١]، و«معرفة القراء الكبار» [١/ ٦٤، ٧١، ٧٣، ١٢١، ١٢٦، ١٢٩، ١٥٧، ٢٩٧].

لا تعرضنَّ بذكرنا مع ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالْمُقْعَدِ؟

• **الإمام الشعبي** [ت ١٠٤ هـ] [(١)]:

هو الإمام عامر بن شراحيل، أبو عمر الهمداني، عَلَّامة عصره.

قال فيه أبو عبد الله الحاكم - رحمَه الله -: «كان حافظاً ولم يكتب شيئاً قط».

وقال مكحول - رحمَه الله -: «ما رأيت أحداً أعلم من الشَّعبي».

قال الشعبي - رحمَه الله -: «ما كتبتُ سوداء في بيضاء قط، وما سمعت حديثاً قط - من رجل - فأردت أن يعيده علي».

أي: يحفظه بمجرد سماعه لأول مرة ولا يحتاج لتكراره!!

وقال - رحمَه الله -: «ما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا وأنا أعلم به منه، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالماً».

• **هشيم بن بشير الواسطي** [م ١٠٤، ت ١٨٣هـ]:

هو أبو معاوية السلمي، مولاهم الواسطي، شيخ الإسلام، ومُحدِّث بغداد وحافظها.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٤/ ٢٩٤].

قال عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله -: «كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري».

وقال يعقوب الدورقي - رحمه الله -: «كان عند هشيم عشرون ألف حديث»[(١)].

وقال هشيم - رحمَه الله -: «كنت أحفظ في المجلس الواحد مئة حديث، ولو سئلت عنها لأجبت».

● **عبد الرحمن بن مهدي** [م ١٣٥، ت ١٩٨ هـ][(٢)]:

هو ابن حسان بن عبد الرحمن أبو سعيد العنبري سيد الحفاظ الإمام الناقد المجود، كان - رحمَه الله - قدوةً في العلم والعمل.

قال الشافعي - رحمَه الله -: «لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن».

وقال علي بن المديني - رحمه الله -: «لو أُخِذْتُ فحلفت بين الركن والمقام، لحلفتُ أني لَمْ أرَ قط أحداً أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي».

---

(١) قال الذهبي - رحمَه الله -: «كان رأساً في الحفظ إلا أنه صاحب تدليس كثير، قد عرف بذلك».

(٢) «سير أعلام النبلاء» [٩/ ١٩٢].

وعن عبد الله بن عمر القواريري - رحمه الله - قال: «أملى عليَّ عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً!!».

• **سليمان بن داود الطيالسي** [ت ٢٠٤ هـ][(١)]:

هو الإمام الحافظُ الكبير، صاحب المسند.

قال الفلاَّس وعلي بن المديني وغيرهما: ما رأينا أحداً أحفظ من أبي داود.

وقال سليمان بن حرب - رحمه الله -: «كان شعبة يحدث فإذا قام قعد أبو داود الطيالسي وأملى من حفظه ما مرَّ في المجلس!!».

وقال عبد الرحمن بنُ أبي حاتم - رحمه الله -: «سمعت عمر بن شبة يقول: كتبوا عن أبي داود أربعين ألف حديث وليس معه كتاب». أي: أملاها من الحفظ والذاكرة!!

• **الإمام الأصمعي** [م ١٢٢، ت ٢١٦هـ][(٢)]:

هو الإمام اللغوي الأخباري، الحافظُ البصري عبد الملك بن قُريب أبو سعيد، حجة الأدب ولسان العرب.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٩/ ٣٧٨] و«تاريخ بغداد» [٩/ ٢٤].

(٢) «سير أعلام النبلاء» [١٠/ ١٧٥].

قال عمر بن شبَّة: سمعتُ الأصمعي يقول: أحفظ ستين ألف أرجوزة[(١)].

• **إسحاق بن راهويه [م ١٦١، ت ٢٣٨هـ]**[(٢)]:

هو أبو يعقوب إسحاق بن راهويه شيخ المشرق وسيد الحُفَّاظ.

قال أبو عبد الله الحاكم- رحمَه الله -: «إسحاق بن راهويه إمام عصره في الحفظ والفتوى».

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: سمعت ابن خشرم يقول: «كان إسحاق ابن راهويه يملي عليَّ سبعين ألف حديثٍ حفظاً!».

وكان إسحاق - رحمَه الله - يقول: «أعرف مكان مائة ألف حديث كأني أنظر إليها، وأحفظ منها سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي صحيحة، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزوَّرة! فقيل: ما معنى المزوَّرة؟! قال: إذا مرَّ بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فلَّيتُه منها فلياً».

وكان يقول: «ما كتبتُ شيئاً إلا حفظتُه، ولا حفظتُ شيئاً فنسيته».

ومن أعجب ما تسمع أنه - رحمَه الله - صَنَّف كتابه «التفسير»

---

(١) هكذا في «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ٢٨٦]، وفي «سير أعلام النبلاء» [١٠/ ١٧٧]، قال: «أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة».

(٢) «سير أعلام النبلاء» [١١/ ٣٥٨]، و«تاريخ بغداد» [٦/ ٣٤٥].

و«المسند» في رأسه لا في كتاب، وكان يمليه هكذا من حفظه لا يخل بترتيبه الذي رتبه عليه![1].

وقال أبو حاتم- رحمَه الله -: «والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ. فقيل له: إنه أملى التفسير عن ظهر قلب! فقال: وهذا أعجب؛ فإنَّ ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها».

• الإمام أحمد بن حنبل [م١٦٤ - ت٢٤١هـ][2]:

هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، والصِّدّيق الثاني لهذه الأمة.

قال علي بن المديني - رحمَه الله -: «أعزَّ الله الدين بالصدِّيق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة». يعني: محنة خلق القرآن.

وقال إبراهيم الحربي - رحمه الله -: «رأيت أبا عبد الله كأنَّ الله جمع له علم الأوَّلين والآخرين».

---

(١) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ٢٧٠]. وانظر :«سير أعلام النبلاء» [١١/ ٣٧٤].

(٢) «السير» [١١/ ١٧٧]، و«تاريخ بغداد» [٤/ ٤١٢]. وانظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي. وإنني أنصح كل طالب علم أن يقرأ ترجمة هذا الإمام الجليل، فإنه بحق إمام الدنيا.

وقال أبو زرعة- رحمه الله -: «كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرتُهُ وأخذتُ عليه الأبواب».

وقيل لأبي مسهر الغسَّاني: «تعرف مَنْ يحفظ على الأمة دينها؟ فقال: شاب في ناحية المشرق» يعني: أحمد بن حنبل.

وقال الشافعي- رحمه الله -: «خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل».

وقال علي بن المديني - رحمه الله -: «ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله، أحمد بن حنبل، وبلغَني أنه لا يحدِّث إلا من كتاب، ولنا فيه أسوة».

وقال عبد الله بن الإمام أحمد - رحمَهما الله -: «قال لي أبي: خذ أي كتاب من كتب وكيع من المصنف؛ فإن شئتَ تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت الإسناد حتى أخبرك بالكلام!!».

● **أبو عبد الله البخاري [م ١٩٤، ت ٢٥٦هـ]**[(١)]:

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم، حافظ الدنيا.

---

(١) «السير» [١٢/ ٣٩١]، و«هدي الساري» [٥٠١ - ٥١٨]، و«تاريخ بغداد» [٢/ ٤ - ٣٣].

قال أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمَه الله -: «ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل».

وقال محمد بن بشار- رحمَه الله -: «حفَّاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، والدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، ومسلم بنيسابور».

وقال عمرو بن علي الفلاَّس- رحمَه الله -: «حديث لا يعرفه محمد ابن إسماعيل ليس بحديث».

وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري- رحمَه الله -: «دخلت بلخ فسألني أصحاب الحديث أن أُمليَ عليهم لكل مَنْ كتبت عنه حديثاً. فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم».

وقال سليم بن مجاهد- رحمه الله -: سمعت أبا الأزهر يقول: «كان بسمرقند أربع مئة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلَّقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن».

وقال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ: «سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا

وأرادوا امتحان حفظه، فعمدوا إلى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا وإسناد هذا لمتن هذا، ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا عليه الموعد للمجلس، فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم، ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ والبخاري يقول: لا أعرفه.

وكان العلماء ممَّن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فَهِمَ الرجل. ومن كان لم يدر القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ.

ثُمَّ انتدب رجل من العشرة أيضاً فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال: لا أعرفه. فلم يزل يلقي عليه واحداً واحداً حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثُمَّ جاء الثالث وإلى تمام العشرة وهو لا يزيدهم على: لا أعرفه.

فلَمَّا علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فقلت: كذا؛ وصوابه: كذا، وحديثك الثاني كذا؛ وصوابه: كذا، والثالث

والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك. فأقرَّ له الناس بالحفظ. فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح»[1].

قال ابن حجر - رحمَه الله -: «هنا يُخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظاً، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقَوْه عليه من مرة واحدة!!، وقد روينا عن أبي بكر الكلوذاني قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة، فيحفظ أطراف الأحاديث مرة واحدة!!».

وقال محمد بن أبي حاتم الورَّاق - رحمَه الله -: «سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلام فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً - بعد ستة عشر يوماً -: إنكما قد أكثرتما عَليَّ وأَلْحَحْتُما، فأعرِضَا عليَّ ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نُحكِمُ كُتُبَنَا من حفظه. ثُمَّ قال: أترون أَنِّي أختلفُ هدراً، وأُضَيِّعُ أَيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد».

---

(١) أي: لا يثبت أمامه أحد لا في حفظ ولا في مناظرة.

وقال أبو عبد الله البخاري - رحمَه الله -: «كتبت عن ألف شيخ وأكثر، وعن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده».

وقال- رحمَه الله -: «أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب. فقيل له: كم كان سنك؟ قال: «عشر سنين أو أقل... قال: فلَمَّا طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء».

وهذا الذي ذكرت لك إنما هو شيء يسير مما ورد في حفظه - رحمَه الله -، واقرأ ما كتبه أهل العلم عنه في حفظه وورعه وعبادته وشيوخه، وسَعة علمه وفقهه وقوة ذكائه، وكرمه وسماحته، وصبره على الأذى.. تجدْ شيئاً عجيباً. فرحمه الله تعالى وجمعنا وإياه في جنان الخلد. آمين.

• **أبو زرعة الرازي [ت ٢٦٤هـ]**(١):

هو الإمام الكبير، سيد الحفاظ عُبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فرُّوخ. قيل لأبي بكر بن أبي شيبة- رحمَه الله -: مَنْ أحفظ مَنْ رأيت؟ فقال: ما رأيت أحفظ من أبي زرعة الرازي.

وقال أبو زرعة الرازي- رحمه الله -: «أحفظُ مئتي ألف حديث كما

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [١٣/ ٦٥].

يحفظ الإنسان: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١] **!!** وفي المذاكرة ثلاث مئة ألف حديث**!!**».

وسُئل أبو زرعة الرازي - رحمَه الله - عن رجلٍ حلف بطلاق زوجته أنَّ أبا زرعة يحفظ مائة ألف حديث. فقال: ليُمسك امرأته، فإنها لَمْ تطلق عليه.

● **أبو الطيب المتنبي** [م ٣٠٣، ت ٣٥٤هـ][(١)]:

هو أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب شاعر الزمان الشهير بالمتنبي.

بلغ الذروة في النظم، وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق. وكان معجباً بنفسه كثير البأو والتيه، فمُقت لذلك.

قال ورَّاقٌ كان يجلس إليه المتنبي: ما رأيت أحفظ من هذا الفتى - يعني: المتنبي - وكان اليوم عندي، وقد أحضر رجل كتاباً من كُتبِ الأصمعي نحو ثلاثين ورقة ليبيعه؛ فأخذ المتنبي ينظر فيه طويلاً. فقال له الرجل: ياهذا أريد أبيعه وقد قطعتني عن ذلك، فإن كنت تريد حفظه فهذا إن شاء الله يكون في شهر**!**.

فقال له: فإن كنت حفظته في هذه المدة، فمالي عليك**؟!** قال: أهب لك

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [١٦/ ١٩٩]، و«تاريخ بغداد» [٤/ ١٠٢].

الكتاب! قال: فأخذ الدفتر من يده، فأقبل يتلوه إلى آخره؛ ثُمَّ استلبه فجعله في كمه.

فقام صاحبه فعلق به، وطالب بالثمن. فقال: ما إلى ذلك سبيل، قد وهبتَه لي! فمنعناه، وقلنا له: أنت اشترطت على نفسك هذا. فتركه عليه وانصرف.

● **الإمام الدَّارقُطنيُّ** [م ٣٠٦، ت ٣٨٥هـ](١):

هو الإمام المُجوِّد، شيخ الإسلام، عَلَمُ الجهابذة، أبو الحسن علي ابن عمر بن أحمد بن مهدي...المُقريء المحدِّث، كان من بحور العلم وأئمة الدنيا.

قال أبو عبد الله الحاكم - رحمَه الله -: «أبو الحسن صار واحدَ عصرِه في الحفظ والفهم والورع، وإماماً في القُرَّاء والنحويين... وكان أحد الحفَّاظ».

وذكروا أن الدَّارقُطني - رحمَه الله - حضر في حداثته مجلس إسماعيل بن الصفار فجعل ينتسخ جزءاً كان معه، وإسماعيل يُملي؟ فقال له بعض الحاضرين: لا يصح سماعك وأنت تنسخ!. فقال الدَّارقُطني: فهمي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [١٦/ ٤٤٩].

للإملاءِ غير فهمك! ثُمَّ قال: تحفظ كم أملى الشيخ من حديثٍ إلى الآن؟ فقال: لا. فقال: أملى ثمانية عشر حديثاً!! فعُدَّتِ الأحاديثُ فكانت كما قال! ثُمَّ قال: الحديث الأول عن فلان عن فلان ومتنه كذا! فلم يزل يذكر أسانيد الأحاديث ومتونها على ترتيبها في الإملاء حتى أتى على آخرها. فتعجب الناس منه!!.

قلت: ويحق لمثل هذا أن يُتعجَّب منه، فرحمه الله وأكرم مثواه وجمعنا وإياه في دار كرامته ومستقر رحمته. آمين.

● **بكر بن محمد الحنفي** [م ٤٢٧، ت ٥١٢ هـ][(١)]:

هو الإمام العلاَّمة، شيخ الحنفية، ومفتي بخارى أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل.

كان يُضرب به المثل في حفظ المذهب، وقد تَفَرَّدَ وعلا سنَدُه وعظُم قدره، حتى قيل له: أبو حنيفة الأصغر.

وكان إذا طلب المتفقِّهُ منه الدرس؛ ألقى إليه من أيِّ موضعٍ شاء من غير مطالعةِ كتاب،وسئل عن مسألةٍ فقال: هذه المسألة أعدتها في برج من حصن بخارى أربع مئة مرة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [١٩/ ٤١٥].

ومما ينبغي التنبيه عليه: أنَّ هؤلاءِ الأئمة الأعلام - وغيرهم من حُفَّاظ هذه الأمة وعلمائها وفقهائها -، لَمْ يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالصبر على الطلب، والمداومة على الدراسة والتحصيل، والانكباب على العلم، وعدم الانشغال باللهو ومتاع الدنيا الزائل.

قال محمد بن أبي حاتم - رحمَه الله -: «سمعت هانيء بن النضر يقول: كنا عند محمد بن يوسف - يعني: الفريابي - بالشام، وكنا نتنزه - فعل الشباب - في أكل الفرصاد[1] ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه، ويكبّ على العلم.

ولما قيل للإمام الشعبي - رحمَه الله -: من أين لك هذا العلم؟

قال: «بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغراب»[2].

---

(١) الفرصاد: التوت، وقيل: حمله وهو الأحمر منه، «سير أعلام النبلاء» [١٢/ ٤٠٥]، حاشية [٢].

(٢) هكذا في «سير أعلام النبلاء» [٤/ ٣٠٠]. وصوابه: (بترك الاعتماد... وصبر كصبر الحمار). أي: بترك اعتمادي على الغير،... وإنما ضُرِبَ المثل في الصبر بالحمار لصبره على الخَسْفِ - أي: الذُلِّ - وقلةِ التَّفَقُّد - أي: لا أحد يتفقده ويهتم به - ومع هذا يصبر على ذلك. «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل» لعبد الفتاح أبو غدة... ط(٤) .حلب.

=

وقيل لبعضهم: بماذا أدركت العلم؟ قال: بالمصباح والجلوس إلى الصباح. وقال غيره: بالسهر والبكور في السحر(١).

وبعد: فما ذكرته لك من أخبار هؤلاء الحفاظ إنما هو مجرد مثال فقط وإلا فعندنا آلاف النماذج التي تُحتذى في الصبر على الطلب والتلقي، وقوة الحفظ، وسرعة الفهم والاستيعاب.

وهذا وإن كان كثيراً فيما مضى من العصور، وفي حياة السلف السابقين، إلا أنه قليل نادر في عصورنا المتأخرة؛ وخاصة في أيامنا هذه، حيث انتشر الجهل، وقلَّ العلماء، وماتت الهمم، وأَخْلَدَ الناسُ بَرُّهُم وفاجِرُهُم - إلا مَنْ رحم ربي - إلى الراحة والدَّعةِ، واشتغلوا بسفاسف الأمور، وتركوا عظائمها.

ولا يعني هذا انعدام أهل الحفظ والإتقان، أو أهل الفهم والاستيعاب، في زماننا؛ بل هم ولله الحمد متوافرون، لكنهم قلة!! ونسأل الله أن يُكَثِّرَهم.

وقد أخبرني أخٌ ثقةٌ عندما كنت أكتبُ مُسودة هذا الكتاب في طبعته

[ص ٥١].

(١) وانظر هنا قاعدة (٢٤): «وقت الحفظ ومكانه».

الأولى أن غلاماً في مدينة الرياض – هنا في بلاد الحرمين – حفظ القرآن كله وهو ابن تسع سنين، وعندما بلغ عمره ثلاث عشـرة سنة كان يحفظ مِن أحاديث النَّبيِّ ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث!! وكان وقتها لا يزال مستمراً في الحفظ والمراجعة، أسأل الله له الثبات على ذلك، والإخلاص فيه، والنفع به، والفهم له، والدعوة إليه، وتعليم المسلمين إياه. آمين[1].

وأعرف شاباً في بلادنا كان جملة ما يحفظه من كتاب الله عز وجل – وهو ابن ثمان عشرة سنة – لا يزيد على ثمانية أجزاء؛ وفي وقت من الأوقات رأى من نفسه التقصير، ووجد فيها من قوة الإرادة والعزيمة ما دفعه إلى أن يُتمَّ حفظ القرآن، فسافر إلى قرية من قرى الصعيد، واعتزل الناس إلا فيما لا بُدَّ منه مِن رَدِّ سلام أو محادثة أهلٍ في وقت طعام أو شراب أو حضور صلاة جماعة أو شهود جنازة... ونحو ذلك، وأما بقية أوقاته فيدخل في غرفة في الدَّوْر العلوي– حيث لا يُشوِّشُ عليه أحد –، ويغلق عليه بابها، ويبدأ في الحفظ والمراجعة.

---

(١) وهناك غيره ولله الحمدُ من أطفال المسلمين كثير؛ ممن نسمع بهم أو نراهم بين حين وآخر، وقد تمكنوا من حفظ كلام الله تعالى في سِنّ مبكرةٍ جدّاً، بل وبعضهم يضم إليه أحاديث من سنة النبي ﷺ، ومتوناً لبعض العلوم؛ وهذا مما يشرح صدورنا، ويبهج قلوبنا؛ فاللهم لك الحمد كله؛ ونسألك سبحانك المزيد من فضلك ورحمتك.

وما أن انتهى شهر واحد عليه إلا وأتمَّ حفظ القرآن بكامله، بل وحفظ معه بعض المتون في بعض العلوم الشرعية..

وصدق الله حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

* * * * *

تنبيهٌ وفائدة[1]

كل الذي تقدّم في هذه القاعدة إنَّما هو عن الحفَّاظ من الرجال؛ وهل يعني هذا أنَّ النساء لا يحفظن القرآن، أو أنَّهنَّ غير مطالباتٍ بالحفظ... أقول لا.

وإليك مزيد بيانٍ وإيضاحٍ لهذا الأمر:

كل أمرٍ ورد بقراءة القرآن فالخطاب فيه للرجال والنساء، وكذا كلُّ نصٍ جاء فيه الحث على استظهاره، والترغيب في تعلمه وتعليمه، يدخل في ذلك النساء، ولذلك عُني النساء من الصحابة بهذا الفضل العظيم، وعلى رأسهن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن أجمعين -.

ومما يدل على عنايتهن بالقرآن اتخاذهنَّ المصاحف، ومَنْ تفحَّصَ كتب المصاحف والتفسير يجد النقل عن مصاحف أمهات المؤمنين: عائشة، وحفصة، وأم سلمة - رضي الله عنهن جميعاً -.

ولكن لم يشتهر من النساء قارئات كما هو الشأن في الرجال، وهذا لا

---

(١) «سنن القراء» [٥٣ - ٥٦].

يدل على عدم الوجود، لأنه حتى لو وجد حافظات للقرآن جامعات له، فإنهنَّ قد لا يُذكرن، لأنهنَّ لا يَبْرُزْنَ، إذ الأصل في المرأة السَّتْر، والقرار في البيوت؛ ألم تُؤمر بأن تُصَلِّيَ في بيتها، فصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، كذلك الشأن في قراءة القرآن، لا يحل لها أن تبرز بها أمام الناس، وتسمعهم صوتها، بل تكنُّ في بيتها [1]، وتُسِرُّ قراءتها ولا تعلنها، إلا عند بنات، أو مع الصغار إن أرادت تعليمهم.

ولكن الغالب على النساء قلة مَنْ جمع القرآن منهنَّ، حتى أمهات المؤمنين مع عنايتهن بتلاوة القرآن وسماعه؛ لَمْ يجمع القرآن كله منهن أحد، هذا هو الذي يظهر لنا من أخبارهن، ويدل عليه: أنَّ أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - كان يؤُمّها عبد لها يُكنى أبا عمرو، وفي رواية عن ابن أُبيّ

---

(١) هذا هو الواجب على كل امرأة مسلمةٍ أن تقرَّ في بيتها، وأن لا تكون خرَّاجةً ولَّاجة، وكم فسدتْ من بيوت، وهُتكت من أعراض، ودُمِّرتْ من أُسر، بسبب كثرة خروج المرأة من بيتها، وجرأتها في مخالطة الرجال.

ألا فلتتق المسلمة ربها، ولتعلم أن بقاءَها في بيتها خيرٌ لها - وأكرم وأتقى - من كنوز الدنيا كلها، وليكن خروجها للضرورة وللمصلحة وللحاجة، والضرورة تقدّر بقدرها، ولا يتوسَّع في مثل ذلك الأمر، فالله الخالق العليم بما فيه صلاحها وسعادتها، هو القائل سبحانه لها ولبنات جنسها: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

والبخاري (معلقاً): أنه كان يؤمُّها في المصحف[١].

ولم يُعرَف من الصحابيات مَنْ جمع القرآن إلا أم ورقة بنت نوفل - رضي الله عنها [٢] - فقد أخرج أبو داود في سننه عنها: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ لما غزا بدراً قالت: قلت له: يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك، أُمَرِّضُ مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادةً، قال ﷺ: «**قَرِّي في بيتك فإنَّ الله عز وجل يرزقك الشهادة**»، فكانت تُسمَّى الشهيدة، قال: وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النَّبيَّ ﷺ أن تتَّخذ في دارها مؤذِّناً لها، قال: وكانت دَبَّرَت غلاماً لها وجاريةً، فقاما إليها بالليل فغَمَّاها بقطيفة لها حتى ماتت، وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس فقال: مَنْ كان عنده علم من هذين فليجيء بهما، فأمر بهما فصُلِبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة».

وفي رواية قال: وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها، وجعل لها مؤذناً يُؤذن لها، وأمرها أن تَؤُمَّ أهل دارها»، قال عبد الرحمن - يعني ابن خَلَّاد الأنصاري الراوي عن أُمِّ ورقة - رضي الله عنها -: «فأنا رأيت مؤذنها شيخاً كبيراً»[٣].

---

(١) «التلخيص الحبير» [١/ ٤٣].

(٢) ترجمتها في «الإصابة» [٨/ ٣٢٢] ط. البجاوي.

(٣) رواه أبو داود[٥٩١، ٥٩٢] كتاب الصلاة، باب: إمامة النساء، وفي إسناده الوليد بن =

دلَّ الحديث على فضل مَنْ تحفظ القرآن من النساء، كما دل على أن المرأة إذا قرأت القرآن وجوَّدته وحفظته لا يجوز لها أن تَبرُز به للرجال ليسمعوا صوتها؛ **تأمل قوله**: «**قَرِّي في بيتك**»، وفي روايةٍ: «اقعدي في بيتك»[(١)] فهذا الأمر للمرأة بالقرار في البيت عام، فلا يُقال إنه متعلق بالجهاد دون غيره، دلَّ على العموم قوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ودل عليه أيضاً ما ورد من أحاديث تبيِّن أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وغير ذلك من الأحاديث، ثُمَّ إنه في حديث الباب أمرَها أن تؤمَّ أهل دارها، فهذه المنقبة أيضاً حُصِرت في أهل الدار، لَمْ يؤهِّلها جمعها للقرآن للإمامة خارج نطاق بيتها.

والحديث دليل على مشروعية إمامة المرأة للنساء، وقد يوهم ظاهره جواز إمامتها لبعض الرجال، لأن قوله: «**أهل دارها**» في ظاهره يشمل ذلك المؤذن والغلام مع الجارية، ومع غيرهم من نساء الدار، وقد أخذ بهذا الفهم أبو ثور، والمزني، والطبري، وهو قول شاذٌّ، جماهير أهل العلم على خلافه.

جميع الأزهري الكوفي، قال المنذري: «فيه مقال، وقد أخرج له مسلم». «مختصر سنن أبي داود» [١/ ٣٠٧].

(١) أخرجها ابن السكن، انظر: «الإصابة» [٨/ ٣٢٢].

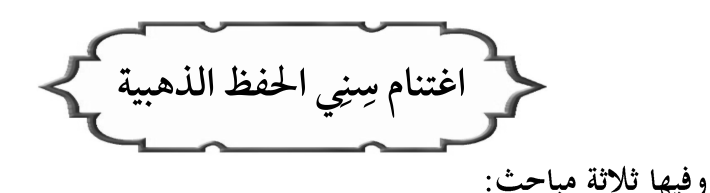
أما إمامة المرأة للنساء، فقال بعض الفقهاء بمشروعيته، فتقوم وسطهن، كما ورد ذلك عن أم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنهما -.

وقال بعضهم: إنه منسوخ[1] فلا إمامة ولا جماعة للنساء، وللمرأة إذا اشتاقت لشهود جماعة، وسماع القرآن في المكتوبة أو في التراويح أن تلحق بآخر الصفوف في جماعة الرجال.

* * * * *

(١) انظر: «نصب الراية» للزيلعي [٢/ ٣٠ - ٣٣]، و«التلخيص» لابن حجر [١/ ٤٣].





وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سِني الحفظ الذهبية

من المعلوم أن الحفظ في الصغر أقوى وأثبت بكثير جداً من الحفظ في الكبر؛ فهو أكثر دقة، وأسرع تذكراً، وأعمق انطباعاً، وأدوم وقتاً... وقد قال الحسن البصري وقتادة وغيرهما: «العلم في الصغر كالنقش على الحجر».

وكان الحسن بن علي - رحمَه الله - يقول: «تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قومٍ تكونوا كبارهم غداً، فمن لَمْ يحفظ فليكتب».

ويروى عن لقمان الحكيم - رحمه الله - أنه قال: «يا بني ابتغ العلم صغيراً، فإن ابتغاء العلم يشق على الكبير»[1].

---

(١) وقد أحسن مَنْ قال:

=

وكان علقمة – رحمه الله – يقول: «ما حفظت وأنا شاب كأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة».

وقال معمر – رحمه الله –: «جالست قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما سمعت منه شيئاً وأنا في ذلك السن إلا وكأنه مكتوب في صدري».

[والحفظ له سنوات ذهبية والمُوَفَّقُ مَنْ اغتنمها، وهي من سن الخامسة إلى الثالثة والعشرين تقريباً، فالإنسان في هذه السن تكون حافظته جيدة جداً، بل هي سنوات الحفظ الذهبية، فدون الخامسة يكون الإنسان دون ذلك[1]، وبعد الثالثة والعشرين تقريباً يبدأ الخط البياني للحفظ في الهبوط، ويبدأ الخط البياني للفهم والاستيعاب في الصعود.

وعلى الإنسان أن يستغلَّ هذه السنوات الذهبية في حفظ كتاب الله تعالى، فالحفظ في هذه السن يكون سريعاً جداً، والنسيان يكون بطيئاً جداً، بعكس ما وراء ذلك، حيث يحفظ الإنسان ببطء وصعوبة، وينسى بسرعة كبيرة، ولذلك قيل: «الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر، والحفظ في

إذا المرء أعيتْه المروءةُ ناشئاً ... فمطلبُها كهلاً عليه شديدُ

(١) هذا في الغالب، وإلا فهناك أطفال في عهد السلف وفي أيامنا هذه يحفظون الشيء الكثير قبل الخامسة، ودون سن التمييز، وربما ختم بعضهم في هذه السن، وهذا واقعٌ مشاهَدٌ، ومسابقات حفظ القرآن الكريم التي تُقام في كثير من بلاد المسلمين خير شاهد على ذلك.

الكبر كالنقش على الماء». فعلينا أن نغتنم سنوات الحفظ الذهبية، وإن لَمْ يكن في أنفسنا ففي أبنائنا وبناتنا][(١)].

وإن مَنْ يُلقَّن القرآن وهو صغير يختلط القرآن بدمه ولحمه، وذلك لأنه تلقاه في المدة الأولى من العمر، والتي يكون فيها العقل في طور النمو والتكامل، فالقرآن عندئذ يتزامن ثباته في القلب مع نمو هذا الجسد والعقل معاً، فعند ذلك يكون قد اختلط بدمه ولحمه ؛ فعن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**مَنْ تعلَّم القرآنَ وهو فَتيٌّ السِّنِّ خلطه الله بلحمه ودمه**»[(٢)].

ويستطيع الطفل بدء الحفظ وهو في الخامسة، وذلك راجع إلى البيئة التي ينشأ فيها الطالب، ويكون مُعدَّلُ حفظه في السنة الواحدة على ما يقرره ذوو الخبرة: ثلاثة أجزاء، ومع زيادة اجتهاد الطفل يصل إلى ثمانية أجزاء سنوياً[(٣)].

وليس معنى ذلك أن الإنسان إذا كبرت سنه لا يستطيع الحفظ والاستيعاب؛ وإنما المراد من ذلك أنَّ الحفظ في الصغر أقوى وأثبت.

---

(١) بتصرف من «القواعد الذهبية» لعبد الرحمن عبد الخالق.

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» [٣/ ٩٤، ٩٥] رقم [٣٣٠] ط.بيروت.

(٣) جريدة «المسلمون»، عدد ٢٣/ ١/ ١٤٠٧هـ، [ص ٦].

وقد تعلم كثير من الصحابة – رضوان الله عليهم – العلم ونقلوه إلى مَنْ جاء بعدهم وهم في سن كبيرة، وكذلك بعض أهل العلم طلبوه على كِبَر، وبرعوا فيه، وأصبحوا أئمةً يشار إليهم بالبنان، واقرأ ترجمة ابن حزم الظاهري، فقد طلب العلم بعد العشرين من عمره(١) وكان كثير من علماء المالكية لا يستطيعون مناظرته [لقوة حجته] وما وقف أمامه إلا أبو الوليد الباجي من كبار فقهاء المالكية. رحمهما الله تعالى.

واقرأ ترجمة القفَّال المَرْوَزي فقد طلب العلم بعد الثلاثين أو الأربعين حتى برع في مذهب الشافعية.

ولهذا قال البخاري– رحمه الله – في «صحيحه» عقب قول عمر بن الخطاب ﷺ: «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا» قال: «وبعد أن تسودوا، وقد تعلم

---

(١) ذكر الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن ابن حزم – رحمَه الله – بدأ طلب العلم وهو ابن ستٍّ وعشرين سنة، فقرأ «الموطأ» للإمام مالك، وبدأ به ثُمَّ تتابعت قراءته على بعض علماء عصره نحواً من ثلاثة أعوام، ثُمَّ بدأ يناظر الفقهاء بعد ذلك!!. وانظر :«نزهة الفضلاء» [٣/ ١٢٧٨، ١٢٧٩].

على أنّ لابن حزم هنات وسقطات؛ وهذا شأن البشر، والكمال عزيز، والإنصاف لا بد منه، ورحم الله القائل:

ومن ذا الذي تُرضى سَجاياه كلُّها　　　كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايبُه

أصحاب رسول الله ﷺ في كِبَرِ سِنِّهم»[١].

* * * * *

(١) انظر: «صحيح البخاري» مع «فتح الباري» [١/ ١٩٩ - ٢٠١] كتاب العلم،باب: الاغتباط في العلم والحكمة، و«جامع بيان العلم وفضله» [١/ ٥٦٢-٥٧٥] ط. ابن الجوزي.

المبحث الثاني: مسؤولية الشباب المسلم

لكن الأولى والأفضل؛ اغتنام أوقات الصِبا والشباب، فالإنسان فيها أقوى وأفرغ، وأسلم من العوائق والمُكَدِّرات، فإذا كبرت سنه زادت مسؤولياته، وضعفت طاقاته، وضاقت أوقاته، مع ضعف جسمه وتدني نشاطه، وكثرة شواغله. وقد صدق الجاحظ حيث قال:

أترجو أن تكون وأنتَ شيخٌ ... كما قد كنت أيامَ الشبابِ

لقد كذبتكَ نفسُكَ ليس ثوبٌ ... دريسٌ كالجديدِ من الثيابِ

وقد قال النَّبيُّ ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[1].

وقال محمود بن الحسن– رحمَه الله –:

بادِرْ شبابَك أن يَهْرما ... وصحةَ جسمكَ أن يسقما

---

(١) رواه الحاكم [٧٩١٦] أول كتاب الرقاق عن ابن عباس – رضي الله عنهما – مرفوعاً، وصححه ووافقه الذهبي. وقال الألباني: «وهو كما قالا». «اقتضاء العلم العمل» بتحقيق الألباني، حديث رقم [١٧٠].

وأيامَ عيشكَ قبلَ المماتِ ... فما دهرُ مَنْ عاشَ أن يَسلما

ووقتَ فراغِكَ بادِر به ... ليالِيَ شغلك في بعض ما

وقَدِّم فكلُّ امريءٍ قادمٌ ... على بعضِ ما كان قد قدَّما

وكانت حفصة بنت سيرين تقول: «يا معشر الشباب: اعملوا فإنما العمل في الشباب».

وقال الضحاك بن مزاحم – رحمَه الله –: «اعمل قبل أن لا تستطيع أن تعمل، فأنا أبغي أن أعمل اليوم فلا أستطيع»[1].

وقال ابن الجوزي– رحمَه الله –: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة من غير قربة. ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل»[2].

فالزمن لا يقف محايداً، فهو إما صديق ودود، أو عدو لدود، فاحرص على اغتنامه في طاعة الله عز وجل والتقرب إليه.

وعلى طالب العلم المبتديء: أن يستغل وقت شبابه وفراغه ونشاطه،

---

(١) «اقتضاء العلم العمل» للخطيب [ص ١٠٠ – ١١٤].

(٢) «صيد الخاطر» لابن الجوزي [ص ٢٠] ط. بيروت.

فيُقبل على الحفظ والدراسة والتحصيل بجدٍ ونَهَمٍ، وأن لا يغترَّ بما قد يحصل له من الحفظ لبعض النصوص والمسائل، فيتعجَّل الرئاسةَ والتصَّدر للفتيا والتدريس، أو الكتابة والتصنيف، فإن في ذلك مفاسد عظيمة جداً.

ومن هذه المفاسد: تأخُّره عن أقرانه في الطلب، فيتعلمون ما لا يتعلمه، ويحفظون ما لا يحفظه؛ وذلك لتفرُّغهم وانشغاله.

قال سفيان- رحمَه الله -: «مَنْ ترأَّس سريعاً أضرَّ بكثيرٍ من العلم، ومَنْ لَمْ يترأس طلب وطلب حتى بلغ».

وقال الشافعي- رحمَه الله -: «إذا تصدَّر الحدَثُ حُرِمَ علماً كثيراً».

وتقدم قولُ عمر ﷺ: «تفقهوا قبل أن تَسُوْدُوا».

* * * * *

المبحث الثالث: مسؤولية الآباء وأولياء الأمور

ويجب على مَنْ رُزِقَ ولداً أن يجتهد معه فيعوِّده النظافة والطهارة منذ الصغر، ويتعَهَّدَه بالآداب والأخلاق الفاضلة؛ فإذا بلغ خمس سنين أخذه بحفظ العلم الشرعي، وليبدأ معه بالقرآن فإنه كلام الرحمن، وأولى ما صرف في حفظه الزمان، ومع الحفظ يعلمه مهمَّات دينه التي لا يسعه جهلها، من أمور التوحيد والصلاة ونحو ذلك، ثُمَّ يرتقي معه في سُلَّم التعلم حتى يبلغ به الغاية[1].

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم».

وفي روايةٍ: أنه قيل له: ما المحكم؟ قال: المفصَّل[2].

---

(١) وانظر هنا: الفصل الثاني، مبحث: «ما يبدأ به في الحفظ».

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» [٥٠٣٥، ٥٠٣٦]كتاب: فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن، والحديث يدل على استحباب تعليم الصغار القرآن كما عنون الإمام البخاري رحمَه الله، ويدل على استحباب البدء بالمفصَّل عند تعليم الصغار لأنه أسهل عليهم، ويمكن تقسيمه حسب حال الصغير، فيُبدأ أولاً بتعليمه من قصار المُفَصَّل: من سورة «الضحى» – مثلاً – إلى «الناس». ثُمَّ مِنَ «النبأ» إلى «الضحى»... وهكذا... وأرى أن نبدأ مع الصغير منذ يعقل أو يميِّز، فنعلمه بعضاً من =

والمفصَّل: السور التي كثرت فصولها، وهي: من الحجرات إلى الناس، فتسمى حزب المفصَّل، ويسمى أيضاً: المحكم، كما دَلَّ عليه الحديث.

وعن عمرو بن شعيب قال: كان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علّمه النَّبيُّ ﷺ هذه الآية سبعاً: ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ١١١][1].

وأما ما ورد عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي - رحمهما الله تعالى - من كراهة تعليم الصغار القرآن[2]، فمحمول على كراهة ذلك قبل سن التمييز، فإن الصبي لا يحتمل ذلك، وقد يحصل له الملال منه، وقد يهين القرآن وهو لا يشعر..، ويدل على ذلك قول إبراهيم النخعي – رحمَه الله –: «كانوا يكرهون أن يعلِّموا أولادهم حتى يعقلوا»[3].

قصار المفصَّل كالمعوذتين والإخلاص مع سورة الفاتحة، يكون ذلك تمهيداً للبدء بتلقي المفصَّل كله، ولا بأس بتعليمه آيات معينة من غير ذلك. «سنن القراء» [ص٥٠ – ٥٢].

(١) «المصنف» [١٠/ ٥٥٦]، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني [ص ١٦٠].

(٢) انظر :«فتح البَارِي» [٨/ ٧٠٢].

(٣) «المصنف» [١٠/ ٥٥٧]، و«المطالب العالية» [٣/ ٢٩٧].

قال الحسن البصري- رحمَه الله -: «قدِّموا إلينا أحداثكم، فإنهم أفرغ قلوباً وأحفظ لِمَا سمعوا، فمن أراد الله أن يتمه له أتمه».

وقال أبو حامد الغزالي- رحمه الله -: «والصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسة خالية من كل نقش، ومائل إلى كل ما يُمال إليه، فإن عوِّد الخير وعُلِّمه، نشأ عليه في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل مُعلِّم أو مؤدِّب له، وإن عُوِّد الشر وأُهمل، شقي وهلك ومهما أهمل في ابتداء نشوئه؛ خرج في الأغلب رديء الأخلاقِ، كذَّاباً سروقاً، نَمَّاماً ذا فضول وضحك ومَجانة، وإنما يُحفظ من جميع ذلك بحسن التأديب»[1].

* * * * *

(١) «إحياء علوم الدين» [٨/ ١٣٠ - ١٣١].

القاعدة الثالثة والعشرون:

إحكام الحفظ القديم قبل الانتقال لحفظ جديد

لا بد على مَنْ أراد الحفظ أن يتقن ما حفظَه أولاً، ثُمَّ ينتقل إلى وِرد جديد يحفظه، فإنَّ ذلك أثبت لحفظه، وقد قيل: «كثرة السماع مضلة في الفهم»، و«الاحتفاظ بها في صدرك أولى من درس ما في كتابك».

وعلى مريد الحفظ أن لا يتجاوز السورة إلى غيرها حتى يربط أولها بآخرها، وحتى يتقن حفظها تماماً، فيجري لسانه بها بسهولة، دون مشقةٍ ولا عناء، ودون إعنات فكر، وكَدٍّ في تذكّر الآيات، بل يقرؤها كما يقرأ سورة من قصار المفصَّل أو كما يقرأ الفاتحة.

ومما يُعِين على إحكام حفظه وإتقانه أن يُكثر من إعادة ما حفظه من السور وتكراره طيلة ساعات ليله ونهاره، فيقرأه في الصلوات السرية، وفي الجهرية إن كان إماماً، وفي النوافل، وفي أوقات انتظاره للصلوات وبعدها وفي قيام الليل، وبهذه الطريقة يثبت حفظه ويسهل عليه جداً.

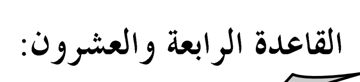
ويستطيع كل إنسان بهذه الطريقة أن يحفظ القرآن ولو كان مشغولاً

بأشغالٍ كثيرةٍ، لأنه لا يجلس وقتاً مخصوصاً للحفظ، وإنما يكفي فقط أن يصحح القدر الذي يريد حفظه من الآيات على قاريء متقن، ثُمَّ يبدأ في الحفظ في أوقات انتظاره للصلوات وفي النوافل والفرائض..

وبذلك لا يأتي عليه الليل إلا وتكون الآيات التي أراد حفظها قد ثبتت تماماً في ذهنه[1].

* * * * *

(١) «القواعد الذهبية» لعبد الرحمن عبد الخالق، بتصرف.



مراعاة وقت الحفظ ومكانه

وفيها مبحثان:

المبحث الأول: الوقت المناسب للحفظ

أما عن الوقت المناسب للحفظ فهو الوقت الذي يصفو فيه ذهن الإنسان عن الشواغل والمكدِّرات، ولهذا فضَّل كثيرٌ من السلف حفظ الليل على حفظ النهار، لأن الذهن فيه أصفى، وأقدر على الحفظ والاستيعاب - بخلاف النهار حيث كثرة الشواغل ومخالطة الناس وضياع الأوقات -.

وقد قال الله تعالى: ﴿ **قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا** ﴾ [المزمل: ٢ - ٦].

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله -: «إن قيام الليل هو أشد مواطأةً بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها

من قيام النهار»[١].

وقال الإمام النَّووي - رحمَه الله -: «.. وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصوَن من الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً، وحديث: «**ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل فيقول: هل من داعٍ فأستجيب له**» الحديث[٢].

وفي «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «**في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء وذلك كل ليلة**»[٣].

وقال أحد علماء السلف: «أجود الأوقات للحفظ الأسحار،

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٤/ ٤٣٥].

(٢) رواه البخاري [١١٤٥]، ومسلم [٧٥٨]، وأبو داود [١٣١٥]، والتِّرمذي [٤٤٦]، وابن ماجه [١٣٦٦]، وأحمد [٢/ ٢٥٨]، والدارمي [١٤٨٦] من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه مسلم [٧٥٧]، وأحمد [٣/ ٣١٣، ٣٣١، ٣٤٨] ، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ولفظه عند مسلم: «**إنَّ في الليل لساعةً، لا يُوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة**». وانظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي [ص ٦٣، ٦٤].

وللبحث الأبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل»[١].

وقال الخطيب البغدادي- رحمَه الله -: «اعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيَها، وللحفظ أماكن ينبغي للمتحفظ أن يلزمها، فأجود الأوقات الأسحار، ثُمَّ بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغَدَوات دون العشيَّات، وحفظ الليل أصلحُ من حفظ النهار[٢].

قيل لبعضهم: بِمَ أدركتَ العلم؟ قال: بالمصباح والجلوس إلى الصباح. وقيل لآخر، فقال: بالسفر والسهر، والبكور في السحر»[٣].

وكان الشافعي- رحمَه الله - يقول: «الظلمة أضوء للقلب»، أي: ظلمة الليل.

وقال أحد علماء السلف لولده - ينصحه -: «أحب لك النظر في الأدب بالليل، فإن القلب بالنهار طائر وبالليل ساكن، فكلما أودعتَ فيه شيئاً عقله».

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة الكناني. [ص ٧٢].

(٢) انتصاف النهار: أي: وقت الظهيرة. والغدوات: أول النهار. والعشيات: آخره. وقد ورد في الحديث: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**».

(٣) «الفقيه والمتفقه» [ص ١٠٣].

وقال أحمد بن الفرات- رحمه الله -: «ليس شيء أبلغ في الحفظ من كثرة النظر، وحفظ الليل غالبٌ على حفظ النهار».

وقال إسماعيل بن أبي أويس - رحمه الله -: «إذا هممت أن تحفظ شيئاً فنَمْ، وقم عند السَّحَر فأسرج وانظر فيه، فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله»[١].

فينبغي على مَنْ أراد الحفظ أن يتشاغل به في وقت جمع الهَمِّ، ومتى رأى نفسه مشغول القلب ترك الحفظ، وليحفظ قدر استطاعته ولا يزِدْ؛ فإن القليل يثبت، والكثير لا يحصل.

* * * * *

---

(١) «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ١٧٧].

المبحث الثاني: المكان المناسب للحفظ

وأما مكان الحفظ: فينبغي أن يختار الحافظُ مكاناً بعيداً عن الملهيات، فلا يحفظ في الحدائق العامة ولا في المتنزَّهات، ولا بحضرة نبات ولا خضرة، ولا على شواطيء الأنهار، ولا على قوارع الطرق، فإنَّ هذه الأماكن ينشغل فيها الذهن بما يراه أو يسمعه عن الذي يريد أن يحفظه.

والنَّبيُّ ﷺ لَّمَّا صلَّى في خميصة لها أعلام نزعَها، وقال: «**إنها أَلْهَتْني آنفاً عن صلاتي**» [(١)].

وينبغي أن يختار المكان الذي يخلو فيه بنفسه، فلا تشغله زوجة ولا أولاد في أثناء حفظه ومدارسته، ولَمَّا قيل ليحيى بن معين - رحمَه الله -: ما تشتهي؟ قال: «بيتٌ خالٍ وإسنادٌ عالٍ».

وقال أحد علماء السلف: «وأجود أماكن الحفظ: الغُرَف[(٢)]، وكل موضع بعيد عن الملهيات، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات

---

(١) رواه البخاري [١/ ٤٠٦]، ومسلم [٥٥٦]، ومالك [١/ ٩٧]، وأبو داود [٤٠٥٢]، والنسائي [٢/ ٧٢] من حديث عائشةَ - رضي الله عنها -.

(٢) جمع غرفة، وهي التي تكون في الأعلى، لبعدها عن الضجيج غالباً، ولهوائها النقي.

والخضـرة والأنهار وقوارع الطرق وضجيج الأصوات؛ لأنها تمنع من خلو القلب غالباً»[1].

[والحفظ والتركيز يختلف عن المطالعة الحرَّة، وإنَّ سَعَة المكان وكثرة المناظر والأشجار تشتِّت الذهن، وتبدِّد التركيز، وتصلُحُ للمطالعة الحرَّة التي لا تحتاج إلى جهدٍ وتركيز، كقراءة كتاب تاريخي، أو قصة. وإنَّ أفضل مكانٍ للحفظ مطلقاً هو المسجد؛ لأنَّ الإنسان يحافظ فيه على منافذ القلب الثلاثة: **العين**؛ فلا يرى المحرَّمات، **والأذن**؛ فلا يسمع ما لا يُرضي الله ﷻ، **واللسان**؛ فلا يتكلم إلا بخير. وهذه المنافذ الثلاثة تُمَثِّل بمجموعها الأداة التي يُحفظ بها القرآن، فإذا كانت سليمةً نظيفةً كان الحفظ جيداً ومُتقَناً][2].

وتقدَّم قول النَّبيِّ ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم**»، وقوله: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله**»، وفي ذلك إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ جوَّ المسجدِ أنسبُ للتعلم والحفظ من غيره، مع ما في المكث فيه من الأجر والثواب[3].

* * * * *

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة الكناني [ص ٧٢] الطبعة الثانية.

(٢) «كيف تحفظ القرآن» للغوثاني [ص ٤٤].

(٣) انظر: ما تقدم في هنا: «فضل تدبر القرآن وتلاوته» [ص ٣٢ ، ٣٣].

القاعدة الخامسة والعشرون:



وفيها مبحثان:

المبحث الأول: الورع وقلة الطعام مما يعين على الحفظ

من أهم ما يعين طالب العلم على استغلال وقته واغتنامه، وتثبيت حفظه وإحكامه، أن يُقلِّل مِقْدار أكله وشربه قدر الاستطاعة، مع مراعاة أن يكون كسبه من الحلال، وأن يتوَرَّع عن كل شبهةٍ: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه**»(١).

وفي الحديث: «**إن أكثر الناس شِبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة**»(٢).

---

(١) رواه البخاري [٢٠٥١]، ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن ماجه [٣٣٥١]، وأبو نُعَيمٍ في «حلية الأولياء» [١/ ١٩٨ - ١٩٩] من حديث سلمان ﷺ ، وحسَّنه الألباني في: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٣٤٣]، و«صحيح الجامع
=

وفي الحديث: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرَّاً من بطنه، بحسب ابن آدم لُقيماتٍ يُقِمن صُلْبَه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه**»[١].

وهذا الحديث أصلٌ جامعٌ لأصول الطب كلها.

قال الحارثُ بنُ كلدَة طبيب العرب: «الحميةُ رأسُ الدواء، والبِطنة رأس الداء». وقال أيضاً: «الذي قتل البريَّة، وأهلك السباع في البرِّيَّة، إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام».

وقلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك.

قال محمد بن واسع- رحمَه الله -: «مَنْ قلَّ طُعْمُهُ فهِمَ وأَفْهَمَ، وصفا ورقَّ، وإنَّ كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد».

وقال أبو سليمان الداراني- رحمَه الله -: «إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورقَّ، وإذا شبعت ورويت عمي القلب».

الصغير» [١٥٧٧].

(١) رواه التِّرمذي [٢٣٨٠]، وابن حبان [١٣٤٩] «موارد»، والحاكم [٤/ ١٢١]، وابن المبارك في «الزهد» [٦٠٣]، وأحمد في «المسند» [٤/ ١٢١]، وغيرهم من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ؛ وصحح الألباني إسناد أحمد. وانظر: «إرواء الغليل» [٧/ ٤٢].

وقال الشافعي- رحمَه الله -: «ما شبعتُ منذ ستة عشر سنة إلا شبعةً أطرحها؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة».

وفي الحديث الصحيح: «**المؤمن يأكل في مِعىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء**»[1].

ولأجل هذا كانت حياة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه حياة الفقراء الزاهدين، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظلّ اليومَ يلتَوي ما يجدُ دقلاً يملأ به بطنه»[2].

فكانوا يجوعون كثيراً، ولا يشربون كثيراً، ويتقلَّلون من الأكل والشَّهوات، وإن كان ذلك لقلة وجود الطعام، إلا أن الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال وأفضلها.

ولهذا كان عبد الله بن عمر؛ وقبلَه أبوه وغيرهما كثيرٌ من الصحابة، ومَنْ نهَج نهجهم وسار على دربهم؛ كانوا يتشبَّهون بالنبيِّ ﷺ في تقليلهم من المآكل والمشارب، مع قدرتهم على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري [٥٣٩٣، ٥٣٩٤]، ومسلم [٢٠٦٠] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - .

(٢) رواه مسلم [٢٩٧٨]، وانظر هنا: قاعدة (٢٠): «التقلل مِنَ الدنيا».

حتى ورَد عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: «والله ما شبعتُ منذ إحدى عشرة سنة، ولا اثنتي عشرة سنة، ولا ثلاث عشرة سنة، ولا أربع عشرة سنة، مرةً واحدة».

وأوقات الجوع أفضل للحفظ من أوقات الشبع، وإن بعض الناس إذا أصابه شدة الجوع والْتَهى به لَمْ يحفظ، فليُطْفِيء ذلك عن نفسه بالشيء اليسير من الطعام، ولا يُكثر، فإن ذلك أعوَنُ له على الحفظ.

قال الأصمعي- رحمَه الله -: «وعظ أعرابيٌّ أخاً له، فقال: يا أخي، إنك طالب ومطلوب، فبادر الموت، واحذر الفَوْت، وخُذ من الدنيا ما يكفيك، ودع منها ما يطغيك، وإياك والبِطْنَة، فإنها تعمي الفطنة».

وقيل في الأمثال: «البطنة تذهب الفطنة».

وقال الفضيل- رحمه الله -: «خصلتان تقسِّيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل»[1].

وقال عقبة الراسبي- رحمه الله -: «دخلتُ على الحسن وهو يتغذى فقال: هَلُمَّ. فقلتُ: أكلتُ حتى لا أستطيع. فقال: سبحان الله؛ أَوَيأكل

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٨/ ٤٤٠].

المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل؟!»[1].

وقال ابن جماعة - رحمه الله -: «من الأسباب المعينة على الاشتغال، والفهم وعدم الملال؛ أكل القدر اليسير من الحلال. وذلك أن كثرة الأكل جالبةٌ لكثرة الشرب، وكثرته جالبةٌ للنوم والبلادة، وقصور الذهن، وفتور الحواس، وكسل الجسم؛ هذا مع ما فيه من الكراهة الشرعية، والتعرض لخطر الأسقام البدنية؛ كما قيل:

فإنَّ الداء أكثر ما تراهُ يكون من الطعام أو الـشرابِ

ولَمْ يُرَ أحدٌ من الأئمةِ الأعلامِ يوصف بكثرةِ الأكلِ؛ ولا حُمِدَ به، وإنما يُحْمَدُ كثرةُ الأكلِ من الدوابِّ التي لا تعقل، بل هي مُرصدة للعمل.

والذهن الصحيح أشرف من تبديده وتعطيله بالقدر الحقير من الطعام، الذي يؤول أمرُه إلى ما قد عُلِمْ، ولو لَمْ يكن من آفات كثرة الطعام والشراب، إلا كثرة دخول الخلاء، لكان ينبغي للعاقل اللَّبيب أن يصون نفسه عنه، ومَنْ رامَ الفَلاح في العلم وتحصيل البغية منه،

---

(١) «فضل العلم وآداب طلبته» لمحمد سعيد رسلان [ص ١٢٢]. ط. دار العلوم الإسلامية. وانظر: «الزهد» للإمام أحمد [ص ٣٢٨] ط. الريان.

مع كثرة الأكل والشرب والنوم، فقد رام مستحيلاً في العادة »[١].

وقال- رحمَه الله -: « وينبغي على الطالب أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه، وأن ينأى عن الشبهات، عملاً بقوله ﷺ: «**فمنِ اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألاَ وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه** »[٢].

فعلى طالب العلم أن يتحرى الحلال في طعامه وشرابه، ولباسه، ومسكنه، وفي جميع ما يحتاجه هو وعياله؛ ليستنير قلبه، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به، ولا يقنع لنفسه بظاهر الحِلِّ شرعاً مهما أمكنه التورُّع ولم تلجئه حاجةٌ، أو يجعل حظه الجواز، بل يطلب الرتبة العالية»[٣].

وقال عمر بن هبيرة لملك الروم: «ما تَعدّون الأحمق فيكم؟». قال: «الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده».

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» [ص ٧٣، ٧٤].

(٢)رواه البخاري [٢٠٥١]، ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٣) «تذكرة السامع والمتكلم» [ص ٧٥].

وقد قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وكانوا يقولون: «الدواء الذي لا داء فيه: أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه، وأن تقوم عنه وأنت تشتهيه»[١].

* * * * *

(١) فائدة:

أورد البيهقي في «شعب الإيمان» [٥٧٩٣] عن طبيب عليٍّ بنِ مُرَّةَ الطائي - وكان له نحو تسعين سنةً - أنه قيل له: أفِدْنا من طبِّك؟... فقال: احفظ أربع خصال:

١- متى مرضتَ: فإن حضرتك شهوةٌ فكُلْ، فإن العافية قد جاءتكَ، وإنْ لَمْ تشتهِ شيئاً، فلا تلتفت إلى كلام أهلك، فإنك إن أكلتَه على غير شهوةٍ فمضرَّته في بدنك أعظم من منفعتِه.

٢- إن يكن لك امرأةٌ أو جارية: فلا تقربها إلا على قرم - شهوة -، فإن فعلتَ كانت بمنزلة الجنابة تصيبك، وإلا كانت مضرَّةً في بدنك.

٣- متى هاج بك داءٌ: فلا تدخل الحمام، فإنه يهيج الداء الساكن، وادخله على الصحة؛ فإنه نافعٌ.

٤- إن أحدهم يدخل بيته، ويغلق بابه ويرخي ستره، ويقول: أريد أن أنام، وليس به نوم، فيتناوم، فيقوم أثقل مما دخل، ولو أنه لَمْ ينم حتى ينعس، قام كأنه نشط من عقال.

المبحث الثاني: أطعمةٌ تسبب الحفظ أو النسيان[1]

قالوا: إن من أنفع ما يعين على الحفظ إصلاح الغذاء، واجتناب الأطعمة الرديئةِ، وتنقية الطبع من الأخلاط المفسدة.

وقد ورد في بعض الآثار - ولا تخلو جملتها من ضعف -: أن هناك أطعمة تساعد على الحفظ، وأخرى ينبغي اجتنابها لمن أراد الحفظ، وسأشير في هذا المبحث إلى شيء من ذلك:

أولاً: الأطعمة التي تُعين على الحفظ:

فمن الأطعمة التي قالوا أنها تُعين على الحفظ:

١- العسل[2]، والزبيب، والرمان الحلو، والبصل، والثوم، والتين، والحلبة، والحبة السوداء، والفول[3]، والسمك، واللبن، -

---

(١) انظر في هذا المبحث: «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص ١٣٤- ١٥٠، ٢٥٠].

(٢) عن الليث عن ابن شهاب أنه قال: «ما استودعت قلبي قط شيئاً فنسيته». قال الليث: «كان يكره أكل التفاح، وسؤر الفأرة، ويقول: إنه ينسي. قال: وكان يشرب العسل، ويقول: إنه يُذكِّره».

(٣) قال الشافعي: «الفول يزيد في الدماغ، والدماغ مِنَ العقل» رواه أبو نُعَيمٍ [٩/ ١٣٧].

قيل: مفيد للحفظ بالتجربة-، والزنجبيل- جيد للمعدة والبصر، ويزيد في الحفظ، ويخرج البلغم-، والكرفس- وهو الكزبرة-، والخل[١].

ثانياً: ما يجتنبه مَنْ أراد الحفظ من الأطعمة:

قالوا: ومن الأطعمة التي ينبغي على مَنْ أراد الحفظ تركها: التفاح وقيل: الحامض منه فقط، والكزبرة الخضـراء، والباذنجان، والرطب، والماء البارد، والحلوى، وكثرة أكل اللحم[٢].

وقيل: إن الحجامة تُعين على الحفظ[٣].

وقيل: إن استعمال السواك مما يُعين على الحفظ.

---

(١) في الحديث: «**نِعْمَ الإدام الخل**» وثبت أنه يضاد البلغم، ويهديء الشهوة، وإذا كان كذلك كان عوناً على الحفظ.

(٢) قال الشَّعبي - رحمَه الله -: «إني لأَدَعُ اللحم مخافة النسيان»، يعني: كثرة أكله. رواه أبو نُعَيمٍ [٤/ ٣١٨].

(٣) يُروى في ذلك حديث: «**الحجامةُ على الريقِ أمثلُ، وفيه شفاء وبركة، وهو يزيد في العقل وفي الحفظ**» «الفقيه والمتفقه»: [٢/ ٢١١،٢١٠] رقم [٨٧٣]ط. دار الجوزي. وقال محققه: «حسن لغيره»، وانظر: «الجامع في الحث على حفظ العلم» [ص١٥١]، و«زاد المعاد» [٤/ ٥٠].

قلتُ: وغالب ما ذُكر في هذا المبحث فإنما هو خاضعٌ للعادة والتجربة، وذلك يختلف من شخص لآخر.

والحفظ عَطِيةٌ من الله، وهِبَةٌ يهَبها من شاء من عباده، وقد يأتي بالتكرار والمران والاكتساب؛ ومن وفَّقه الله تعالى للحفظ فلا يَضُرُّه ما أكل.

وقد كان البخاريُّ- رحمَه الله - وهُو مَنْ هُو عِلماً وحفظاً- لا يتناول شيئاً من ذلك ليَحْفَظ! بل إنه لَمَّا سُئل: هل تتناول شيئاً يُعينك على الحفظ؟ قال: «ما أعلم من ذلك شيئاً إلا نَهْمَةُ الرجل، ومداومة النظر».

وذكروا عن أبي صالح بن محمد البغدادي – رحمه الله – أنه قال: «ولو كان الحفظ بالعلاج والأدوية لغلبنا عليه الملوك، ولكنه خلقة وطبع، فأما مَنْ طُبع على الحفظ فلا يضر حفظَه ما أكل، ومَنْ طُبع على غيره فلا تنفعه المعالجة ولا الدواء».

* * * * *

القاعدة السادسة والعشرون:



المحفِّزات للحفظ

وفيها مبحثان:

المبحث الأول: المراد بالمحفزات والترغيب فيها

أعني بالمحفِّزات: الأمور التي تُحَفِّزُ على الحفظ، وتدفع إليه سواء كانت حسِّية أو معنوية، من خارج الإنسان أو داخله.

والمُعنى بهذه القاعدة؛ ليس هو مريد الحفظ وحده، وإنما كذلك وليُّهُ أو المسؤولُ عنه، أو مدرِّسُهُ أو مَدرَستُهُ، أو أيُّ جهةٍ رسميةٍ أو أهليةٍ أرادت لكتاب الله أن ينتشر، ولحُفَّاظه أن يتكاثروا، وللأُمةِ في مجموعها الصلاحَ والاستقامة.

ولا يخفى ما في الحوافز من استثارة الهمم، والدعوة للتنافس والتسابق للفضائل والخيرات، والدفع للمزيد من الإنجاز والعطاء.

ومَنْ تأمَّل نصوص الوحي المطهر، وجَدَ أنها مليئةٌ بالترغيب والجزاء، والمحفِّزات المعنوية والمادِّية؛ التي تدعو للعمل والتسابق إلى معالي الأمور.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ [النبأ: ٣١ – ٣٤].

والآيات كثيرة جداً في هذا الصدد.

ومن السنَّة قوله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**»، وأشار بالسبابة والوسطى(١).

وقوله ﷺ: «**مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة**»(٢)، وهذا حافزٌ معنويٌّ.

---

(١) رواه البخاري في الطلاق [٥٣٠٤]، ومسلم في الزهد [٧٣٩٤].

(٢) تقدم تخريجه، [ص ٣٠] حاشية [٢].

ومن الحوافز النبوية المادية: إعطاؤه ﷺ المؤلَّفة قلوبهم من سَبْي حُنين؛ فعَنْ رافع بن خديج رضي الله عنه: «**أن النَّبيَّ ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سَبي حُنين، لكل رجل منهم مائةً من الإبل**»[1].

ومن الحوافز النبوية المادية كذلك: ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصُفُّ عبد الله، وعبيد الله، وكثيراً من بني العباس ثُمَّ يقول: «**مَنْ سبقَ إليَّ فله كذا وكذا**»، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهرِه وصدرِه فيقبِّلهم ويلزمهم[2].

وكان السلف يراعون مثل هذه الحوافز، لا سيما الحفز المادي؛ فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى أمراء الأجناد: «أنِ ارفعوا إليَّ كل مَنْ حمل القرآن حتى أُلحقَهم في الشرف من العطاء، وأرسلَهم في الآفاق يعلِّمون الناس» فكتب إليه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «أنه بلغ من قِبلي ممَّن حمل القرآن ثلاث مئة وبضع رجال»[3].

وكتب هارون - رحمَه الله - إلى الولاة، وإلى أمراء الأجناد يقول لهم: «أما بعد، فانظروا مَنْ التزم الأذان عندكم، فاكتبوه في ألفٍ من العطاء، ومَنْ

---

(١) «سيرة ابن هشام» [٤/ ٤٩٢].

(٢) «المسند» [١٨٣٦] ط. الرسالة. وقال محققوه: «إسناده ضعيف».

(٣) «حياة الصحابة» للكاندهلوي [٣/ ٢٣٩].

جمع القرآن، وأقبل على طلب العلم، وعمَّر مجالس العلماء ومقاعد الأدب، فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء، ومن جمع القرآن، وروى الحديث، وتفقَّه في العلم واستبحر، فاكتبوه في أربعة آلاف دينار، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر، من المعروفين به من علماء عصركم، وفضلاء دهركم، فاسمعوا قولهم، وأطيعوا أمرهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وهم أهل العلم».

قال ابن المبارك - رحمه الله تعالى - بعد ذلك: «فما رأيت عالماً ولا قارئاً للقرآن، ولا سابقاً للخيرات، ولا حافظاً للحرمات في أيامٍ بعد أيام رسول الله ﷺ، وأيام الخلفاء والصحابة، أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه، لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين»[1].

* * * * *

(١) «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة. تحقيق طه محمد الزيني. ط. الحلبي [٢/ ١٥٧].

المبحث الثاني: أنواع الحوافز

وللحوافز نوعان أساسيان هما: حوافز معنوية، وحوافز مادِّية؛ ويندرج تحتهما مظاهر شتَّى لكلٍّ منهما، وإليك بعض هذه المظاهر لتلك الحوافز:

أولاً: الحوافز المعنوية:

وهي التي تخاطب العقل والقلب والوجدان، وتؤثر فيه بصورة غير محسوسة، وهي من أخصِّ الأسباب المساعدة على توليد الباعث الذاتي للإقبال على القرآن، وتوليد الحبِّ والهيبة له في النفس.

وقد فطن علماء المسلمين - كابن جماعة وغيره - إلى دورها هذا؛ واعتبروا أن من أهمِّ واجبات المعلم تجاه تلميذه: «أن يُرَغِّبَه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات؛ بذكر ما أعدَّ الله تعالى للعلماء من منازل الكرامات، وأنهم ورثة الأنبياء، وعلى منابرَ من نور يغبِطهم الأنبياء والشهداء، أو نحو ذلك مما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والأخبار والآثار..»[1].

ومن جملة الحوافز المعنوية:

أ - الحافز الأُخروي الغيبي، وهو من الحوافز التي يتميَّز بها منهج

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» [ص ٤٨].

التربية الإسلامية عن غيره من المناهج، ويتمثل الحفز الأخروي في بيان الأجر والثواب، وما أعدَّه الله تعالى من النعيم لمن حفظ القرآن، وعمل به وتخلَّق بأخلاقه، **ومن الموضوعات التي يشملها الحفز الأخروي**: ابتغاء مرضاة الله، والبصيرة بحقيقة الدنيا أمام الآخرة، ونهاية كل حي، وأحداث القيامة وأهوالها، والحساب والجزاء، ثُمَّ بيان نعيم الجنة وعذاب النار، وكل هذه القضايا ورد عنها أخبار شاملة في القرآن والسنَّة النبوية.

ويدخل في هذا الحافز: معرفة منزلة القرآن وقداسته، فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمسُّه إلا المطهرون، وهو النور المبين، والشفيع المشفَّع، والقائد إلى الجنة، مَنْ قرأ منه حرفاً فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، وهو العاصم من الضلال لمن تمسَّك به... وكذلك معرفة فضائل بعض سور القرآن وخصائصها، كسورة المُلك، وآية الكرسي، وخواتيم البقرة، وسورة الإخلاص والمعوذتين...الخ، وكلها حوافز معنوية تجذب القلوب إلى القرآن الكريم، وتُحَبِّبُ النفوسَ بسوره وآياته المباركات.

ويدخل في هذا الحافز أيضاً: معرفة فضل حافظ القرآن والعامل به، ومنزلته عند الله تعالى يوم القيامة، ومنزلة والديه، وأنه أحقُّ الناس بالتقديم في أمور دينه ودنياه، وأنه من أهل الله وخاصته، ومن الذين أوتوا العلم، ومن خير الناس عند الله تعالى... الخ. مما يزيد القلوب شوقاً وانجذاباً لمنشأ تلك

الفضائل وسببها؛ وهو القرآن الكريم.

ويدخل في هذا الحافز أيضاً: معرفة ما ورد في نسيان القرآن وإهماله، وخطورة هجره والغفلة عنه، وأهمية مراجعته ومعاهدته والحفاظ عليه، وهو حافزٌ معنويٌّ عظيم، وإن كان بصورة الترهيب لا الترغيب. فإن أثره كبير في المداومة على الاتصال بكتاب الله، خوفاً من عقابه واتقاءً لسخطه.

ب- تأمُّل القصص القرآنية، وآيات الإعجاز العلمي والبلاغي واللغوي، وآيات الخلق والإحياء، والبعث والنشور، وكل ما يدعو إلى التدبُّر والتفكُّر، ويفتح الذهن والقلب على عظيم صنع الله وإبداعه، ويشعر بقداسة القرآن وشموله: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٣٨].

ج- تأمُّل أحداث السيرة النبوية؛ من خلال الآيات التي تحدثت عن جهاد النَّبيِّ ﷺ وغزواته ودعوته لقريش ومراحلها، وصبره على الأذى، ثُمَّ هجرته إلى المدينة النبوية، وتأسيسه للمجتمع الجديد.

د- استخدام أساليب الرفق واللين- من قِبَل المعلِّم ووليِّ الأمر- خصوصاً مع الناشئة وصغار السن، وعدم اللجوء إلى ما منْ شأنه أن ينفِّرَهم من القرآن، كالقسوة مثلاً - إلا في حالات الضرورة المُلِحَّة -.

ومن ضمن هذه الأساليب:

١ - الودُّ والتواضع من المعلم لطلابه.

٢- الحوار المفتوح والنقاش الهاديء البنَّاء.

٣- الثناء والإطراء بالقول المحمود أو الشكر الجزيل، أو الدعاء الحسن.. كأن يقول له: أحسنتَ، بارك الله فيك، جزاك الله خيراً.. ونحو ذلك، أو يكتب له في دفتر المتابعة عبارات الثناء والتشجيع، أو يمنحه شهادة تقدير، أو خطاب شكرٍ يُرسَل لولي أمره، أو يكتب اسمه في لوحة الشرف في الحلقة أو المسجد أو المدرسة، أو ذكر درجاته في الحفل الختامي إن وُجِدَ، أو إشعار مدرَسَتِه بدرجاته وحفظِه... الخ.

فإن هذه العبارات وهذه الأفعال مما تُسَرُّ بها النفوس، وتتطلع إليها، وهو يدفعها لزيادة إقبالها وإنتاجيتها.

٤- الابتسامة، وإظهار علامات الرضا والفرح، والبشاشة وحُسْنُ الخلق.

والواجب على مُعلِّم القرآن على وجه الخصوص: أن يمتدح طلابه، وأن يكافئهم أكثر مما يوبِّخهم، ويشجِّعهم ولا يثبِّطهم، وأن يُثنيَ ولا يذم، وأن يعفوَ كثيراً، ويحاسب أو يعاقب قليلاً، فإنَّ المدح والثناء، وإشعار المتعلم بأنه شيءٌ؛ له فائدته التربوية الإيجابية على سلوك التلاميذ، مع مراعاة الضوابط الشرعية والتربوية، فلا يكون الإطراء لأعمال سهلة، ولا الدعم المادي لإنجازات يسيرةٍ بسيطة، أو المدح لأمر لا وجود له، بل يُسَدِّد المعلم ويُقارِب.

هـ - الحافز السلبي: وهو حافزٌ مهمٌّ إذا أُحسنَ استخدامه، ولا يُلْجَأُ

إليه إلا آخر المطاف، عندما لا تجدي الحوافز الإنتاجية ولا الأساليب التربوية الأخرى للعلاج والتقويم.

يقول الإمام النَّووي – رحمَه الله –: «ويُثني على من ظهرتْ نجابته مالم يَخْشَ عليه فتنةً بإعجابٍ أو غيره، ومَنْ قصّـَر عنَّفَه تعنيفاً لطيفاً، ما لَمْ يخْشَ تنفيرَه»[١].

ومن مظاهر الحفز السلبي:

١ – الحرمان من المكافأة – إن وُجدَتْ –، أو جزء منها، لا سيما إن كان في حاجةٍ إليها.

٢– الحرمان من التشجيع والمدح والثناء.

٣– عتاب التلميذ على التقصير إما بمفرده أو أمام زملائه، حسب المصلحة الراجحة للمُعَلِّم، لا سيما إن كان الخطأ عاماً، أو من الأخطاء التي لا يجوز تأخير بيانها من الناحية الشرعية.

٤– التجاهل والإعراض عنه في بعض المواقف.

٥– استدعاء ولي الأمر، ومناقشة جوانب التقصير عند التلميذ أمامه، سواء كانت معرفية أو سلوكية، مع التفاهم مع ولي أمر التلميذ على كيفية

---

(١) «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ٣٩] ط. مكتبة المؤيد.

التعامل في مثل هذه المواقف.

٦- حسم بعض الدرجات على التلميذ، من التقرير الشهري أو الأسبوعي، وإطْلاع ولي أمره على ذلك.

٧- معاقبة التلميذ بالوقوف أمام زملائه بالحلْقة.

٨ - حرمانه من حضور الدرس، أو الرحلة، أو المخيم، أو الأنشطة التربوية الأخرى - إنْ وُجدت -.

٩- حرمانه من الجوائز والهدايا التشجيعية، والمشاركات الميدانية كالمسابقات التي تعقد، أو برامج الإذاعة والتلفزيون التي تخصص لطلاب الحلقات.

١٠- العقاب البدني في ضوء الضوابط الشرعية، وبعد موافقة ولي أمر التلميذ.

ثانياً: الحوافز المادية:

وهي المشاهدة المحسوسة، والتي يمكن أن تُقوَّم مادِّياً، وأثرها مباشر وواضح على النفس، كالجوائز الفورية، والمكافآت المالية... الخ.

وتزداد أهمية هذه الحوافز المادية كلما تدنَّى مستوى النضج الإيماني والفكري، ولذا فهي في حق الناشئة وصغار الطلبة آكد وأهم، كما هي في حقِّ حديثي العهد بالإيمان - كالمؤلَّفة قلوبهم - مهمة أيضاً.

وتقلّ أهمية هذه الحوافز المادية كلما ارتقى المسلم في مراتب الإيمان ومعارج الإحسان، ولذلك خاطب النَّبيُّ ﷺ الأنصار بقوله: «**أما ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون أنتم برسول الله إلى رحالكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله رضينا.

وفي هذا إشارةٌ منه ﷺ إلى مقام الأنصار في هذا الشأن، وتنبيه إليه. ثُمَّ قال: «**لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لسلكتُ شِعب الأنصار**»[١].

ودعا لهم ﷺ ولأزواجهم وذرياتهم، ولمن يلوذ بهم، وذا – لا شك – من أرفع الحوافز المعنوية.

ومن جملة الحوافز المادية:

أ – صرف مكافآت مالية – شهرية أو دورية – لطالب القرآن الكريم، تناسب اجتهاده، وتشعره بالاهتمام والرعاية.

ب- الإعانات الشخصية لمن يحتاجها من الطلاب، بحيث تنهض بمستواه المعيشي في تخفيف العبء عن كاهله، وقد تفرِّغه للإقبال على تعلم القرآن وحفظه.

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار [٣٧٧٨]، ومسلم في الزكاة [٢٤٣٦].

ج - الجوائز الدورية أو الفورية؛ فإن لها عظيم الأثر في نفوس الطلاب.

د- الاختبارات الدورية التي يجريها المعلم في الحلقة، فهي من أقوى دوافع التَعَلُّم لأنها تكشف للطالب حصيلته العلمية، والنتائج التي وصل إليها في التعلم، مما يحفِّزه على المزيد من الجِدِّ والمتابعة.

هـ- المسابقات القرآنية، ولها أكبر الأثر في توسيع مدارك الطلاب، وإذكاء روح التنافس بينهم.

و- القيام بالرحلات والزيارات، سواء للأشخاص كالعلماء، أو للأماكن كالمساجد والمزارع، والمتنزهات وأماكن الترفيه.

ز- الأنشطة الرياضية - بشتى أنواعها - من سباحة، وسباقات جري، وركوب خيل... الخ.

وبعد: فهذا الذي تقدم إنما هو أمثلةٌ لبعض المحفِّزات، وهناك غيرها كثير جداً؛ ولا بد من التوازن والوسطية في العمل بتلك المحفِّزات؛ بحيث تؤدي الغرض منها؛ فلا تطغى لتصبح المطلب والمبتغى، ولا تُهمَل فتؤدِّيَ إلى عرقلة السير أو بُطء التقدم، والله المرفِّقُ والهادي إلى سواءِ الصراط.

* * * * *



الفصل الرابع

آداب حامل القرآن

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قرأ القرآن فكأنما استُدرِجت النُّبوةُ بين جَنْبيه، غير أنه لا يُوحَى إليه، ومَنْ قرأ القرآن فرأى أنَّ أحداً أُعطيَ أفضل مما أُعطيَ، فقد عظَّم ما صغَّر الله، وصغَّر ما عظَّم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفَه فيمن يسفَه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتدَّ فيمن يحتدُّ، ولكن يعفو ويصفح؛ لفضل القرآن**»[1].

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قرأ القرآن فقد استدرج النُّبوَّةَ بين جَنْبيه، غير أنه لا يُوَحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجِدَ مع مَنْ وجَد، ولا يجهل مع مَنْ جهل، وفي جوفه كلام الله**»[2].

وقد تقدم جملٌ من تلك الآداب في ثنايا الفصول السابقة:

ومن آدابه كذلك:

أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل، وأن يترفَّعَ عن كل ما نهى عنه القرآن إجلالاً للقرآن، وأن يصون نفسَه عن الكسب الدنيء، وعن

---

(١) ذكره ابن كثير في «فضائل القرآن» [ص ٢٩٧] وهو ضعيفٌ، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ٢٣٥٢] موقوفاً ورجاله ثقات. قاله: أبو إسحاق الحُويني، في تعليقه على «فضائل القرآن». لابن كثير حاشية (٢) [ص ٢٩٦]. ط. مكتبة ابن تيمية.

(٢) رواه الحاكمُ [١/ ٥٥٢] وصححه ووافقه الذهبي.

أكل الحرام، وأن يكون مترفِّعَاً على الجبابرة والجُفاةِ من أهل الدنيا، متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون مُتَخَشِّعاً ذا سكينة ووقار.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «يا معشر القُرَّاء! ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس».

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون»[1].

وعن الحسن البصري – رحمَه الله – أنه قال: «إنَّ مَنْ كان قبلَكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفِّذونها في النهار».

وعن الفضيل بن عياض – رحمَه الله – أنه قال: «ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم».

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» [١٦٢]، والآجري في «أخلاق حملة القرآن» [ص ٤٢]، وأبو نعيم في «الحلية» [١/ ١٢٩]، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» [ص ١١٣].

وقال أيضاً: «حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهوَ مع مَنْ يلهو، ولا يسهو مع مَنْ يسهو، ولا يلغو مع مَنْ يلغو، تعظيماً لحق القرآن».

وينبغي على حامل القرآن: أن يحذر كل الحذر مِن اتخاذ القرآن معيشةً يكتسب بها، فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري ﷺ قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه**»[١].

وعن جابر ﷺ مرفوعاً: «**اقرؤوا القرآن، وابتغوا به الله من قبل أن يأتيَ قوم يُقيمونه إقامة القِدْح، يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه**»[٢].

ومعناه: يتعجَّلون أجره إما بمالٍ أو سُمعة أو بنحوِهما.

وعن فضيل بن عمرو[٣] - رحمه الله - قال: «دخل رجلانِ من أصحاب

---

(١) رواه أحمد [١٥٥٣٥] وقال محققو المسند: «حديثٌ صحيح»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٤/ ٧٣]: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٦٠].

(٢) رواه أبو داود [٨٣٠]، وأحمد [١٤٨٥٥] وقال محققو المسند: «حديث صحيح»، وصحح الألباني إسناده في: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٥٩].

(٣) هو فضيل بن عمرو الفقيمي التميمي، أبو النضر، من رواة الحديث، كان ثقةً [ت ١١٠ هـ].

النَّبيِّ ﷺ مسجداً، فلَمَّا سلَّم الإمام قام رجل فتلا آيات من القرآن، ثُمَّ سأل، فقال أحدهما: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سَيجِيءُ قومٌ يسأَلون بالقرآن، فمن سأل بالقرآن فلا تعطوه**»(١).

وعن أبي الدرداء ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ أخذ على تعليم القرآن قوساً قلَّده الله مكانها قوساً من نار جهنم يوم القيامة**»(٢).

ويمكن إجمالُ القول في مسألة أخذ الأجرة على تلاوة القرآن أو تعليمه فيما يلي:

أولاً: تلاوة القرآن: وهذه لا يجوز أخذ الأجرة عليها مطلقاً، لأنها عبادةٌ، والأصل في العبادة: أن يتعبد لنفسه، فكيف يأخذ على عبادته لربه أجراً من غيره، وهو إنما يؤديها مبتغياً بها وجهه عز وجل؟! ويظهر لك بذلك خطورة ما يقوم به بعض القرَّاء من القراءة على قبور الموتى، أو في المآتم.. وأخذهم الأجور على ذلك، فهي سُحتٌ وحرام، وعليهم أن يتقوا

---

(١) رواه التِّرمذي [٢٩١٨]، وأحمد [١٩٨٨٥] من حديث عمران بن حصين، ولفظه عند أحمد: «**مَنْ قرأ القرآن، فليسأل اللهَ به، فإنه سيجيء قومٌ يقرؤون القرآن يسألون الناس به**» وهو حديث حسن. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٢٥٧].

(٢) رواه أبو نُعَيمٍ في «الحلية» والبيهقي في «السنن الكبرى» وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» [٥٩٨٢].

الله ويتوقفوا عن بدعهم هذه، والله المعين.

ثانياً: أخذ الأجرة على التعليم والرقية بالقرآن:

أما الرقية: فقد ثبت فيها الحديث: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله**»[1].

وأما التعليم: فهل يُلحق بالرقية في الجواز لعموم الحديث أم لا؟.. فيه خلافٌ:

فذهب جمهور أهلِ العلمِ إلى الجواز[2]، وإليه ذهب عطاء والحكم،

---

(١) رواه البخاري في الإجارة، والطب في باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب[٥٧٣٧]، ولفظه عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ مروا بماءٍ فيهم لديغٌ أو سَليمٌ، فعرض لهم رجلٌ من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سَليماً. فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرأ، فجاء بالشاءِ إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذتَ على كتاب الله أجراً!. حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله**»، ورواه أبو داود في البيوع، باب: كسب الأطباء عن أبي سعيد الخدري وفيه: «**من أين علمتم أنها رقية؟ أحسنتم واضربوا لي معكم بسهم**».

(٢) ولا ينبغي لمن يأخذ بالجواز من القرَّاء والمعلّمين أن يُغفِل جانبَ الإخلاص في عمله، مع قصدِهِ التعليم ونفعَ المسلمين بذلك، وأنه إنما يأخذُ لتفرُّغه لذلك العمل، فأما إن كان قصدُهُ التأكلَ بالقرآنِ، وتعجيلَ أجره عليه في الدنيا دون قصد الآخرة؛ فلا شك في حرمة ذلك، والله المستعان.

وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور.

وقال الحسن وابن سيرين والشعبي: لا بأس بأخذ المال ما لَمْ يشترط.

ودليلهم على الجواز هو عموم الحديث السابق.

وذهب جماعةٌ من أهل العلم إلى منعه، وهو قول الزهري وأبي حنيفة وإسحاق بن راهويه(١).

واحتج الحنفية: بأنَّ كل طاعة يختصُّ بها المسلم لا يجوز الاستئجار عليها، وذلك عندهم مثل: تعليم القرآن والفقه والأذان والتذكير والتدريس والحج والغزو، لأن هذه الأشياء طاعة وقربة تقع عن العامل نفسه، كما قال تعا لى: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ [النجم: ٣٩]، فلا يجوز أخذ الأجرة من غيره كالصوم والصلاة (٢).

ويُجاب عن هذا: بالتفريق بين نوعين من العبادات: ما كان نفعه يتعدى لغيره، وهو في الغالب من فروض الكفاية كتعليم القرآن والفقه وكالأذان والغزو.. وما كان نفعه مُقتصراً على فاعله وهو من فروض الأعيان كالصلاة والصوم.

---

(١) «شرح السنة» للبغوي [٨/ ٢٦٨]، و«المغني» ط. التركي [٨/ ١٣٦].

(٢)«عمدة القاري» للعيني [١٢/ ٩٥].

واستدلَّ المانعون بجملة أحاديث لا تخلو في جملتها من ضعفٍ، وما صحَّ منها لا يدل على مرادهم.

منها: ما رَوَاهُ أبو داودَ عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «علَّمتُ ناساً من أهل الصفَّةِ[1] القرآن، فأهدى إليَّ رجل منهم قوساً فقلتُ: ليست بمالٍ، وأرمي عليها في سبيل الله عز وجل، لآتينَّ رسول الله ﷺ فلأسألنَّه، فأتيتُه فقلت: يا رسول الله؛ رجلٌ أهدى إليَّ قوساً ممن كنت أُعَلِّمُه الكتاب والقرآن وليس بمالٍ، وأرمي عنها في سبيل الله؟ قال: «**إن كنت تحب أن تُطوَّق طوقاً من نار فاقبلها**» وهذا الحديث ضعيف[2].

ولو صحَّ فإنه لا يدل على تحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن مطلقاً، مع ورود الإباحة في حديث ابن عباس وأبي سعيد –رضي الله عنهم جمبعاً – ، ويجمع بينهما بأن أهل الصُفَّة كانوا فقراء يعيشون بصدقة الناس، فأخذ الرجل المال منهم مكروه، ودفعه إليهم مستحب، والأولى بعُبادة رضي الله عنه أن يكون قد علمهم القرآن احتساباً وتَبَرُّعاً، ولذلك حَذَّرَهُ النَّبيُّ ﷺ من إبطال

---

(١) الصُّفَّة: مكان في آخر مسجد رسول الله ﷺ، كان يأوي إليه الفقراء مِنَ الصحابة.

(٢) قال المنذري: «في إسناده المغيرة بن زياد أبو هاشم الموصلي، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وتكلم فيه جماعة. وقال الإمام أحمد: ضعيف الحديث، حَدَّث بأحاديث مناكير، وكل حديث رفعه فهو منكر. وقال أبو زرعة: لا يحتج بحديثه». «مختصر السنن» [٥/ ٧٠].

نيته بأخذ العوض.

ومنها: ما روي من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً: «**مَن أخذ قوساً على تعليم القرآن قلَّده الله قوساً من نارٍ**»[(١)]

وقد ذهب جماعةٌ من العلماء إلى الجمع بين الأحاديث في هذه المسألة بما يأتي:

قالوا: إنَّ أخذ الأجرة على تعليم القرآن له حالات:

١ - فإذا كان في المسلمين غيره ممن يقوم به، حلَّ له أخذ الأجرة عليه، لأن فرض ذلك لا يتعيَّنُ عليه.

٢- وإذا كان في حال أو موضع لا يقوم به غيره: لَمْ يحلَّ له أخذ الأجرة[(٢)]. ولكن الأسدّ من هذا أن نقول: إنه حتى في هذه الحالة لا يجوز له الاشتراط على مَنْ يعلمهم، أما لو أعطوه من غير شرط منه، ولا استشراف

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» [٦/ ١٢٦]، وابن عساكر في «تاريخه» [٧/ ٢٧١، ٨/ ٤٣٧، ٤٣٨] وإسنادُهُ مُدَلَّسٌ واهٍ، وروي بمعناه من حديث عُبادةَ بن الصامتِ، وأُبَيِّ بنِ كعبٍ، والطفيلِ بن عمرو الدوسيِّ، وعوفِ بن مالكٍ، ولا يثبت منها شيءٌ، بل ليس فيها ما يقوِّي بعضُهُ بعضاً.

انظر: «المقدمات الأساسية في علوم القرآن» [ص ٤٩٠].

(٢) «معالم السنن» للخطابي [٥/ ٧٠].

نفس فله أن يأخذ.

٣- ثم حالة أخرى وهي أن الأجرة إذا كانت من وقف أوقفه أهل الخير على ذلك، أو من بيت مال المسلمين - أي: تدفعها له الدولة-، فلا بأس بأن يأخذ؛ وحاجة المسلمين في كثير من البلاد ماسَّة إلى مَنْ يتفرَّغ لهم من أجل ذلك، فإذا انقطع لهذا العمل فمن أين ينفق على نفسه وأهله، فالتشديد في هذه المسألة قد يؤدي إلى تعطيل هذه الحاجة الضرورية للمسلمين، وهي تعليم القرآن.

وقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يرزق المُعلِّمين، وأنه كتب إلى بعض عُمَّاله: أن أعط الناس على تعليم القرآن[(١)].

وقال أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي [ت٣٧٥ هـ] في كتابه «بستان العارفين»: [التعليم على ثلاثة أوجه: أحدها: للحسبة ولا يأخذ به عوضاً، والثاني: أن يُعلِّم بالأجرة، والثالث: أن يُعلِّم بغير شرط، فإذا أهدي إليه قبل.

(١) «سنن القراء» [٥٧ - ٦٠]، وهو هنا منه بتصرف يسير، وراجع في المسألة: «عمدة القاري» [١٢/ ٩٥ - ٩٧]، و«نصب الراية» للزيلعي [٤/ ١٣٤ - ١٣٩]، و«مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» للبقاعي [١/ ٣٥٠]، ورسالة «إقامة البرهان على حكم أخذ الأجرة على تلاوة القرآن» لعبد العزيز المانع.

فالأول: مأجورٌ عليه، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والثاني: مختلف فيه، قال أصحابنا - أي: الحنفية - المتقدمون: لا يجوز، لقوله ﷺ: «**بلِّغوا عني ولو آية**». وقال جماعة من المتأخرين: يجوز.

قالوا: والأفضل للمُعَلِّم ألا يُشارِط الأجرة للحفظ وتعليم الكتابة، فإن شارط لتعليم القرآن أرجو أن لا بأس به، لأن المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه.

وأما الثالث: فيجوز في قولهم جميعاً، لأن النَّبيَّ ﷺ كان معلِّماً للخلق، وكان يقبل الهدية، ولحديث اللديغ لما رقوه بالفاتحة، وجعلوا له جُعلاً، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**واضربوا لي معكم فيها بسهم**»][1].

وعودٌ - بعد هذا الاستطراد - لآداب حامل القرآن، فأقول:

وينبغي أن يُكثر من تلاوة القرآن، وأن يداوم عليها، وأن يكون له مع كتاب الله وِرْدٌ يلازمه ولا يتركه بحال - وقد تقدم الكلام على ذلك بشيءٍ من التفصيل -.

---

(١) نقلاً عن «البرهان» للزركشي [١/ ٤٥٧، ٤٥٨].

تنبيه: لقد يسَّر الله تعالى لي بحث مسألة أخذ الأجرة على تعليم القرآن باستفاضة وتفصيلٍ، مع التطرق لمسائل أخرى مرتبطة بالتكسب بالقرآن، وطُبع ذلك في بحث مُطوَّلٍ عنوانه: «التكسب بالقرآن وأخذ الأجرة عليه، دراسة مقارنة».

وينبغي أن يداوم على قراءة القرآن في قيام الليل،وأن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر، قال تعالى: ﴿**مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾[آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

وثبت في الصَّحيحَيْنِ أن رسول الله ﷺ قال في عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما -: «**نِعم الرجل لو كان يصلي من الليل**»(١).

وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثُمَّ تركَه**»(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس**»(٣)، وقد تقدَّم الكلام في قيام الليل فراجعه.

---

(١) رواه البخاري [١١٢٢]، ومسلم [٢٤٧٨] من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً.

(٢) رواه البخاري [١١٥٢]، ومسلم [١٨٥] في الصيام، وأحمد [٢/ ١٧٠]، وابن ماجه [١٣٣١] من حديث عبد الله بن عمروٍ - رضي الله عنهما -.

(٣) قطعة من حديث طويل رواه الطبراني وغيره، وهو حديث حسن. وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [٨٣١][١٩٠٣].

وينبغي على حامل القرآن أن لا يكون جافياً ولا غافلاً، ولا صَخّاباً ولاحديداً[1].

وينبغي أن لا يكون له إلى أحدٍ من الخلق حاجة، وأن تكون حوائج الخلق إليه.

وينبغي أن يعمل بكل ما علمَه من الفضائلِ والوظائفِ والأورادِ، فإنه أولى بامتثالها من غيره.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «يا أهل القرآن! اعملوا بما علمتم، فوالله إني لا أعلم أحداً أفضل منكم لو عملتم بما علمتم».

الإمام القرطبي يُجمل بعض آداب حامل القرآن :

قال- رحمَه الله - في مقدمة تفسيره: (باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه):

«فأول ذلك أن يخلص لله عز وجل كما ذكرنا، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه... وينبغي له أن يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه متوكلاً، وبه مستعيناً، وإليه راغباً، وبه معتصماً، وللموت ذاكراً، وله مُستعدَّاً.

---

(١) الصَخَب: شدة الصوت وارتفاعه، والحدة: شدة الغضب.

وينبغي له أن يكون خائفاً من ذنبه، راجياً عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذ لا يعلم بمَ يُختم له، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، ويحسِّن الظن بالله؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**»[1]، أي: أنه يرحمه ويغفر له.

وينبغي له أن يكون عالماً بأهل زمانه، متحفِّظاً من سلطانه، ساعياً في خلاص نفسه، ونجاةِ مهجته، مقدِّماً بين يديه ما يقدر عليه من عَرَض دنياه، مجاهداً لنفسه في ذلك ما استطاع.

وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه، واستعمال تقوى الله، ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طُرق الشبهات، ويقل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار.

وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنَّب التكبُّر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدالَ والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب.

---

(١) رواه مسلم [٢٨٧٧] في كتاب صفة الجنة ونعيمها.

وينبغي له أن يكون ممن يؤمَنُ شرُّه، ويُرجى خيره، ويُسلَم من ضره، وألا يَسمع مِمَّن نَمَّ عنده، ويصاحبَ مَنْ يعاونه على الخير، ويدلّه على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزينه ولا يشينه.

وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مرادَه وما فرض عليه، فينتفعَ بما يقرأ، ويعملَ بما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مَثَلُ مَنْ هذه حالته إلا كمَثَل الحمار يحمل أسفاراً!.

وينبغي له أن يعرف المَكِيَّ من المَدنِيِّ، ليفرِّق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله عليهم في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكيُّ المدنيَّ، لأن المنسوخَ هو المتقدِّم في النزول قبل الناسخ له.

ومن كماله أن يعرف الإعرابَ والغريبَ، فذلك مما يسهِّل عليه معرفة ما يقرأ، ويزيلُ عنه الشك فيما يتلو.

ثُمَّ ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فبها يصل الطالب إلى مراد الله عز وجل في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً؛ وقد قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿**وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا**

﴿ كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩] قال: حقٌّ على كل مَنْ تعلَّم القرآن أن يكون فقيهاً [(١)].

قال: فإذا حصلَتْ هذه المراتبُ لقاريء القرآن كان ماهراً بالقرآن، وعالماً بالفرقان، وهو قريب على مَنْ قرَّبه الله عليه، ولا ينتفع بشيء مما ذكرنا حتى يخلص النيةَ فيه لله جل ذكره عند طلبه، أو بعد طلبه كما تقدم. فقد يبتديء الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فلا يزال به فهمُ العلم، حتى يتبين أنه على خطأٍ في اعتقاده، فيتوبُ من ذلك، ويخلص النية لله تعالى، فينتفع بذلك ويحسن حاله.

قال الحسن- رحمه الله -: «كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة». وقاله سفيان الثوري- رحمه الله - أيضاً.

وقال حبيب بن أبي ثابت- رحمه الله -: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية، ثُمَّ جاءت النيةُ بعد»[(٢)].

وأختم هذا الفصل بما قاله ثوبانُ وأبو هريرة صاحبا رسول الله ﷺ ؛

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» [١/ ١٠١] (٣٣٣).

(٢) «مقدمة تفسير القرطبي» دراسة وتحقيق: محمد طلحة بلال.ص[٦٣-٦٧] ط. دار ابن حزم. وقال: محققه: «هذا الفصل اقتبسه القرطبي من كتاب «الرعاية» للداني [ص ٧٧- ٨٨]».

ورضوان الله عليهما.

قال ثوبان ﷺ: «طُوبى للسابقين إلى ظل الله؛ الذين إذا أُعطوا الحق قبِلُوه، وإذا سُئلوه بذَلُوه، والذين يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم»[١].

وقال أبو هريرة ﷺ: «طوبى لمن تواضع في غير منقصةٍ، وذلَّ نفسَه في غير مسكنةٍ، وأنفقَ من مالٍ جمعَه في غير معصيةٍ، وخالطَ أهل الفقه والحكمةِ، ورحمَ أهل الذل والمسكنةِ.

طوبى لمن ذلَّ نفسَه، وطاب كسبُه، وحَسُنت سريرته، وكرُمَتْ علانيتُه، وعزل عن الناس شرَّه.

طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قولِه»[٢].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الحكيم التِّرمذي عن ثوبان ﷺ.

(٢) أورده البخاري في تاريخه، والطبراني والبيهقي عن أبي هريرة.



الفصل الخامس

آداب تـلاوة القـرآن

أذكر في هذا الفصل جملةً مختصرة من الآداب التي ينبغي على قاريء القرآن أن يتحلى بها، ومن أبرز هذه الآداب :

١- الإخلاص لله عز وجل في تلاوته، وأن لا يريد بها سوى وجه الله ومرضاته، وأن يقرأ على حال مَنْ يرى الله تبارك وتعالى، فإنه إن لَمْ يكن يراه فإن الله تعالى يراه، ومطَّلع على سرِّه ونجواه[١].

٢- أن يكون القاريء للقرآن على أكمل الصفات، وأن يكون فمه نظيفاً، ويستعمل السواك، وذلك أن التلاوة عبادةٌ لسانيةٌ، فتنظيف الفم عند ذلك أدبٌ حسن، ويستحب أن يقرأ القرآن وهو على وضوء وطهارة.

فعن أبي الجهيم ﵁ قال: «أقبل النَّبيُّ ﷺ من نحو بئر جمل، فلقيَه رجلٌ فسلَّم عليه، فلَمْ يردَّ عليه النَّبيُّ ﷺ السلامَ حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه، ثُمَّ ردَّ عليه السَّلام»[٢].

فإذا كان هذا في مجرد رد السلام، فلأَن يكون في تلاوة كتاب الله تعالى التي هي أعظم الذكر من بابِ أولى.

---

(١) انظر ما تقدم في الفصل الثالث، قاعدة (١): «الإخلاص لله تعالى».

(٢) رواه البخاري [٣٣٧]، ومسلم [٣٦٩]، وانظر: «المجموع» للنووي [٢/ ٢١٤].

وفي روايةٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**كرهتُ أن أذكر الله إلا على طُهرٍ**»، «**إنه لَمْ يمنعني أن أردَّ عليك السلام إلاَّ أنِّي لَمْ أكن على طهرٍ**»(١).

وإذا قرأ القرآن وهو مُحْدِثٌ جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة ومعروفة، قال إمام الحرمين – رحمه الله –: «ولا يقال: ارتكب مكروهاً، بل هو تارك للأفضل».

٣- أن يكون مكان التلاوة نظيفاً خالياً من الشواغل والملهيات.

وذلك لأن النظافة والتنزُّه عن الأقذار والنجاسات مندوبٌ إليها مطلقاً، ففي حالة التلاوة والذكر من بابٍ أولى، ومن هنا مدح الذكر والتلاوة في المساجد والمواضع الشريفة، قال أبو مَيْسرة – رحمه الله –: «لا يُذكر الله تعالى إلا في مكان طيب»..

وقد استحبَّ جماعةٌ من العلماء القراءة في المسجد، وذلك أنه بالجلوس في المسجد تحصل فضيلة أخرى؛ هي الاعتكاف، فإنه ينبغي لكل جالس أن ينويَ الاعتكاف، سواء أطال في جلوسه أو قصر، بل ينبغي له أول دخوله المسجد أن ينويَ الاعتكاف، وهذا الأدب ينبغي أن يُعتنى به، ويُشاع ذكره، وتعرفه الصغار والعوام، فإنه مما يغفل عنه.

---

(١) رواية ابن عباس: رواها أبو داود [٣٢٩، ٣٣٠]، وصححها ابن خزيمة.

وينبغي أن يكون المكان خالياً عن كل ما يشغل البال، ويحصل من وجوده الوسواس والاشتغال، فإن ذلك أقرب إلى حضور القلب، وأبعد عن الرياء والمباهاة، وأعوَنُ على تدبر ما يتلوه من الآيات، ولا شك أن هذه الحال أكمل مما يخالفها.

٤- ويستحبُّ للقاريء أن يستقبل القبلة - فإنها الجهة التي يتوجه إليها العابدون لله سبحانه، والداعون له، والمتقرِّبون إليه - وأن يجلس متخشِّعاً بسكينة ووقار، مطرقاً رأسه في أدب وخضوع.

وهذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً، أو مُضْطجعاً، أو في فراشه، أو غير ذلك من الأحوال جاز وله أجر، ولكن دون الأول.

قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وثبت في «الصحيح» عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ يتكيء في حجري وأنا حائضٌ فيقرأ القرآن»(١) وفي روايةٍ: «يقرأ القرآن ورأسُه في حجري».

---

(١) رواه البخاري [٧٥٤٩]، ومسلم [٣٠١]، وأبو داود [٢٦٠]، والنسائي [١/ ١٩١]، وأحمد [٦/ ٩٦]، وابن ماجه [٦٣٤].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «إني أقرأ القرآن في صلاتي، وأقرأ على فراشي».

وعن عائشةَ – رضي الله عنها – قالت: «إني لأقرأ حزبي وأنا مُضْطَجعةٌ على السرير».

وثبت عنها في «الصحيح» أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه»(١).

٥ – فإذا أراد الشروع في القراءة استعاذ، فقال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أو يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزِه ونفثِه ونفخِه».

وذلك لقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ** ﴾ [النحل: ٩٨]، والتقدير: «فإذا أردت القراءة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» كما في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ** ﴾ الآية [المائدة: ٦]، أي: إذا أردتم القيام للصلاة».

قال الإمام الفخر الرازي – رحمَه الله –: «إن سرَّ الاستعاذة هو اللجوء إلى قادرٍ يدفع الآفات عنك، ثُمَّ إنَّ أجلَّ الأمور التي يُلقي الشيطان وسوسته

---

(١) رواه مسلم [٣٧٣]، وأبو داود [١٨]، والتِّرمذي [٣٣٨١].

فيها قراءة القرآن؛ لأن مَنْ قرأ القرآن ونوى به عبادة الرحمن، وتفكَّر في وعده ووعيده، وآياته وبيناته، ازدادت رغبته في الطاعات، ورهبته عن المحرمات، فلهذا السبب صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات، فلا جرَم أن كان سعي الشيطان في الصَّدِّ عنه أبلَغ، وكان احتياج العبد إلى مَنْ يصونه عن شر الشيطان أشدّ، فلهذه الحكمة اختصت قراءَة القرآن بالاستعاذة»[1].

٦- وينبغي أن يحافظ على قراءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أول كل سورةٍ سوى «براءة»، فإن أكثر العلماء على أنها آيةٌ، حيثُ كُتبت في المصحف، وقد كُتبت في أوائل السور كلها إلا سورة «التوبة» «براءة»، وذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا فيما بينهم: هل هي تتمة لسورة الأنفال أو أنها سورةٌ مستقلةٌ بذاتها؟ وكان النبيُّ ﷺ تُوفِّي ولم يبيّن لهم في ذلك شيئاً، فرأَوْا أن يفصلوها في المصحف، ولا يضعوا قبلها البسملة.

و(الاستعاذة طلب دفع الشر، والبسملة طلب جلب الخير، والمسلم حين يشرع في قراءة القرآن الكريم بحاجةٍ إلى الأمرينِ، فهو بحاجةٍ إلى دفعِ تعلّق القلب بغير الله واستيلاء الشيطان عليه، وبحاجة إلى التأثر بالقرآن والتدبر لآياته مُستعيناً بالله على ذلك، ولذلك يجمع بين الاستعاذة

---

(١) «التفسير الكبير» للفخر الرازي [١/ ٩].

والبسملة)[١].

٧- فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبُّر عند القراءة، فإنه هو المقصود والمطلوب من التلاوة، وبه تنـشرح الصدور وتستنير القلوب. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً[٢].

---

(١) «خصائص القرآن الكريم» د. فهد الرومي. [ص ١٤٩].

(٢) قال الإمام النووي - رحمَه الله -: «وقد بات جماعات مِنَ السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح، وقد صعق جماعات مِنَ السلف عند القراءة، ومات جماعات منهم حال القراءة». «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ٨١].

قلت: وقوله -رحمَه الله-: «وقد صعق جماعات مِنَ السلف عند القراءة، ومات جماعات منهم حال القراءة». مما ينكر على الإمام ذكره وإيراده، فهذا هو النبي ﷺ وهو أخشع الخلق وأفضلهم، وأتقاهم لله وأخوفهم منه، كان يقرأ القرآن وكان يبكي، وكان يُسمَع لصدرِه أزيز كأزيز المرجل مِنَ البكاء.. ومع ذلك لَمْ يكن يصعق، ولَمْ يكن يغشى عليه، وهكذا كان أصحابه من بعده، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، لَمْ يكن هذا حالهم؛ مع شدة خوفهم مِنَ الله تعالى، وتعظيمهم إياه ومراقبتهم له، بل أنكروا مثل ذلك وتعجبوا منه.

قال الشيخ الفاضل محمد الخضر حسين - شيخ الجامع الأزهر سابقاً - في كتاب «محاضرات إسلامية» [ص٨٢]: [ومما حدث في عهدهم - أي: عهد الصحابة رضوان الله عليهم - أن أناساً لَمْ يدركوا زمن النُّبوَّة، يسمع أحدهم آيةً فيخرُّ كأنه مغشيٌّ عليه، فكان الصحابة الأكرمون لا يرضون

=

عمن هذا شأنه، ويقابلونه بتعجب وإنكار.

مرَّ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - برجل ساقط فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قُرِيء عليه القرآن يصيبه هذا، فقال: إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط.

وقال حصين بن عبد الرحمن: قلت لأسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنهما - كيف كان أصحاب النَّبيِّ ﷺ عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله، تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم. فقلت لها: هاهنا رجال إذا قُرِيءَ على أحدهم القرآن غُشي عليه، فقالت: أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم.

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير: جئت إلى أبي يوماً فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت قوماً ما رأيت خيراً منهم، يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله، فقعدت معهم. فقال لي: رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر يتلون القرآن ولا يصيبهم هذا، أَفَتَراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟! قال: فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم.

رحم الله أصحاب رسوله الكريم، لَمْ يعدوا في كمال معرفة الله، أو في كمال خشيته أن يسمع الرجل القرآن فيقع مغشياً عليه، إنهم كانوا على بصائر مشرقة، وأحلام راجحة، ويعرفون كيف يتقربون إلى الله زلفى، وكيف يتدبرون آياته بسكينة وحسن سمت، حتى تمتليء له أعين الناظرين مهابة وإجلالاً».

وعن قتادة - رحمه الله - أنه تلا قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ثم قال: «هذا نعت أولياء الله تعالى، نعتهم الله فقال: تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله تعالى، ولم ينعتهم الله تعالى بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو مِنَ الشيطان» [رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٧٢)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥)].

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «ذكر عند ابن سيرين الذين يُصرعون إذا قُرِيء عليهم القرآن، فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجليه، ثُمَّ يُقرأ عليه القرآن من أوله

=

٨ - ويستحب أن يُردِّدَ الآية ويكرِّرَها للتدبُّر، وذلك أن الفهم والتدبُّر هو المقصود الأعظم من التلاوة، فإن لَمْ يحصل إلا بترديد الآية فليرُددها.

(والمتأمِّل في القرآن يجده زاخراً بجوامع الكلم، وجواهر الحكم وكنوز المعارف، وحقائق الوجود، وأسرار الحياة، وعوالم الغيب، وذخائر القيم، وروائع الأحكام، وعجائب التوجيه، وغرائب الأمثال، وبيِّنات

إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق» [تفسير القرطبي ١٥/ ١٦٢]. وهذا إشارة منه - رحمَه الله - إلى أنهم يتصنَّعون ذلك.

وقال هشام بن حسان - رحمه الله -: «قيل لعائشة - رضي الله عنها -: إن قوماً إذا سمعوا القرآن صُعِقُوا، فقالت: إن القرآن أكرَم أن يُنْزَفَ عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال ﷻ: ﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾». [فضائل القرآن لأبي عبيد ص١١٢].

وإن مِنَ العجب العجاب ما نراه في كثير مِنَ المساجد في صلاة التراويح؛ حيث يقرأ الإمام في صلاته آيات مِنَ القرآن وهو كلام ربنا الرحمن، وهو سبحانه عزيز متكبر جبار، وآياته تحرك الجبال الرواسي، ومع ذلك لا يتأثر بها إلا أقل القليل؛ فإذا جاء إلى دعاء الوتر، أو دعاء الختم، وهو من كلام البشر، وكله سجع مُتَكَلَّف، وقد يوجد فيه مِنَ التطويل والملال ما يخرج به عن حد الاعتدال، وهو بذلك على خلاف السنة - وبالرغم من ذلك كله -؛ ترى الكثيرين من هؤلاء الذين ما حركت آيات القرآن فيهم ساكناً، تراهم يرفعون أصواتهم عند سماعهم للدعاء بالصياح والنواح!! وتسمع أصوات النساء من وراء الصفوف؟! وتا الله ما هذا بخشوع، وما هكذا كان السلف في خشوعهم وبكائهم، فالله المستعان.

الآيات، وسواطع البراهين، وبالغ النذر. ولذا قالوا: إن في القرآن علم الأوَّلين والآخرين... وإنما تدرك هذه الأمور بطول التأمُّل والتدبُّر، لا بالخطف والاستعجال...

قال بعض السلف: إني لأفتتح السورة، فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الصبح.

وكان بعضهم يقول: كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعدُّ لها ثواباً.

وعن أبي سليمان الداراني قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليالٍ، وخمس ليالٍ، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها)[(١)].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها»[(٢)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النَّبيُّ ﷺ بآية يرَدِّدُها حتى أصبح ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[المائدة: ١١٨]»[(٣)].

---

(١) «كيف نتعامل مع القرآن» [ص ١٧٠، ١٧١].

(٢) وانظر هنا: قاعدة (٩):« الفهم طريق الحفظ» في الفصل الثالث.

(٣) رواه النسائي [٢/ ١٧٧]، وابن ماجه [١٣٥٠] وهو صحيح.

وعن عائشةَ – رضي الله عنها – قالت: «قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة» [(١)].

وهذا من غاية التدبُّر، وكمال التفكُّر، واستحضار معاني القرآن في القلب، واستحضار عظمة الله المتكلم بهذا القرآن العظيم.

وهذا هو شأن السلف الصالح اقتداءً بنبيهم ﷺ:

فعن زيد بن ثابت ﷺ أن رجلاً سأله: «كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال: ذلك حسن، ولأَن أقرأه في نصف شهر أو عشرين أحبَّ إليَّ، وسلني لِمَ ذلك؟ قال: فإني أسألك؟ قال زيد: لكي أتدبر وأقف عليه وأدعو» [(٢)].

وذُكِرَ عن تميم الداريِّ ﷺ أنه كَرَّر هذه الآية حتى أصبح: ﴿**أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[الجاثية: ٢١].

وعن عبّاد بن حمزة – رحمه الله – قال: دخلتُ على أسماء – رضي الله

---

(١)رواه أحمد في المسند[٥/ ١٤٩]، والبغوي في «تفسيره » [٤/ ٤٠٨].

(٢) رواه مالك في «الموطأ» [١/ ٢٠٠]، وعبد الرزاق في «المصنف» [٣/ ٣٥٤]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ٩]، وذكره الزبيدي في «الإتحاف» [٤/ ٤٧٨].

عنها - وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]، فوقفَتْ عندها وجعلت تعيدها وتدعو، فطال عليَّ ذلك، فذهبتُ إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثُمَّ رجعتُ وهي تعيدها وتدعو.

ورُوي ذلك عن عائشةَ - رضي الله عنها - أيضاً.

وردَّدَ ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤]، وردَّد سعيد بن جبير - رحمه الله -: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وردَّد أيضاً: ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴾ [غافر: ٧٠ - ٧١]، وردَّد أيضاً: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦].

وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ﴾ [الزمر: ١٦] يرددها إلى السحر.

وورد مثل ذلك عن غيرهم من السلف، وهو كثير.

والطريق إلى التدبُّر: هو تعظيمُ كلام الله عز وجل، وتعظيم المتكلم به سبحانه؛ واستحضار أن هذا الكلام إنما هو كلامُ ربِّ البشر، وخالق الكون كله بعوالمه السفليَّة والعلويَّة، وليتفكر في صفاتِ الله وجلاله وأفعاله.. فإذا حضر بباله العرش والكرسي، والسموات والأرض، وما بينهما من الجنِّ

والإنس، والدوابِّ والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها، والقادر عليها، والرزاق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته، متردِّدون بين فضله ورحمته، وبين نقمته وسطوته، وبين عدله وحِكْمته، إن أنعمَ فبفضله ورحمته، وإن عاقب فبعدله وحكمته.

وهذا غاية العظمة والتعالي، فبالتفكير في أمثال هذا، يحضر تعظيم المتكلِّم، ثُمَّ تعظيم الكلام.

ومما يوصل للتدبُّر كذلك: حضور القلب وترك حديث النفس؛ وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢] أي: بِجِدٍ واجتهاد. وأخذه بالجد: أن يكون مُتجرِّداً عند قراءته، منصرف الهِمَّة إليه عن غيره. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧] ، فليحضِّر قلبه، وليقدِّر نفسه كأنما يسمع القرآن من ربه يخاطبه به - سبحانه وتعالى -.

قيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدِّث نفسك بشيء؟ فقال: أَوَشيءٌ أَحبّ إليَّ من القرآن حتى أحدث به نفسي؟! وكان بعض السلف إذا قرأ آية لَمْ يكن قلبه فيها أعادها ثانيةً.

وحضور القلب وترك حديث النفس يتولَّدُ عما قبله من التعظيم؛ فمن عظَّم الكلام الذي يقوله اسْتَبْشَر به، وأَنِسَ به، ولم يغفل عنه، ولم

ينشغل عنه بغيره..

ومما يوصل للتدبُّر كذلك: التخلي والبُعد عن موانع التدبُّر، ومن أعظمها: الإصرار على الذنب، والاتِّصاف بالكبر، والابتلاء بهوىً في الدنيا مطاع.. فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حُجب الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أشدّ تراكماً، كانت معاني الكلمات أشد احتجاباً، وكلما خَفَّ عن القلب أثقال الدنيا، قرُبَ تجلي المعنى فيه.

فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصَّدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، وتنقية القلب من الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة.

وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكّر، فقال تعالى: ﴿ **تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ** ﴾ [ق: ٨]، وقال عز وجل: ﴿ **وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ** ﴾ [غافر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ** ﴾ [الزمر: ٩]، [الرعد: ١٩].

فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة؛ فليس من ذوي الألباب، فلذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب ؛ وقد قال الله عـز وجل: ﴿ **سَأَصْرِفُ**

﴿عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، قال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: «سأنزع عنهم فهم القرآن»(١).

ومما يوصلُ للتدبُّر كذلك: أن يقرأ في موضع سكونٍ، ويجتنب القراءة في مواضع اللغط والأصواتِ المرتفعة، لما يقع بها من التشويش عليه، فلا يتحقق خشوعه ولا تدبره على الوجه الأكمل.

ومما يوصل للتدبُّر: التأدبُ بآداب تلاوة القرآن الواردة في هذا الفصل؛ فامتثالها والعملُ بها مما يوصلُ للتدبُّرِ ويعين عليه بإذنه سبحانه.

٩- ويستحب أن يبكيَ في أثناء تلاوته للقرآن، فإن لَمْ يكن بكاء فليتباكى.

فالبكاء من خشية الله تعالى، وعند تلاوة آياته؛ من صفات العارفين، وشعار عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

عن عبد الأعلى التيمي قال- رحمه الله -: «مَنْ أُوتيَ من العلم ما لا

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٢/ ٢٧]. وما ذكر في الطريق إلى التدبُّر مُستفادٌ من كلام للإمام الغزالي في «الإحياء»، وهو هنا بتصرفٍ وزيادةٍ ونقصٍ، وتقديمٍ وتأخير، وكذا مستفاد من كلام للإمام ابن القيم رحمَه الله في «الفوائد» و«المدارج» فليتنبَّه لذلك.

يُبكيه فليس بخليق أن يكون أُوتيَ علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعتَ العلماء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]»[1].

وقال سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]؛ قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: «إنَّ الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]».

وقال الحافظُ ابن كثير - رحمَه الله -: «نهى الله تعالى المؤمنين أن

---

(١) «فضائل القرآن» لأبي عبيد [ص ٢٣]. وانظر: «الحلية» [٥/ ٨٧، ٨٨] وفيها ترجمة لعبد الأعلى التيمي.

يتشبَّهوا بالذين حُمِّلوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لَمَّا تطاول عليهم الأمد، بدَّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة، والأقوال المؤتفكة، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعدٍ ولا وعيد»(١).

وقال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال جل شأنه: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[الأنفال: ٢].

وهذه هي صفات أهل الإيمان عند سماع وتلاوة كتاب ربهم الرحمن وليسوا كالقاسية قلوبهم، اللَّاهين عند سماعه أو تلاوته، والمنشغلين عنه بغيره، والمنغلقة قلوبهم عن فهم معانيه وتدبُّر مراميه، ولا كأهل البدع الذين يتصارخون عند سماعه أو تلاوته، ويتكلفون ما ليس فيهم، ويتصنَّعون الصعق والغشيان عليهم.. فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٤/ ٣١٠] ط. الحلبي.

وماذا يجدي تصنُّع البكاء بدون تدَبُّرٍ ولا خشوع في القلوب، ولا لين في الجلود؟ إنها ليست صنعة ليتخذها المتأكِّلون بالقرآن، المشترون به عرَضاً قليلاً من الدنيا [(١)].

وقد مدَح الله النصارى الذين آمنوا برسالة النَّبيِّ محمد ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال سبحانه مبيناً عظمة هذا القرآن: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن هذا القرآن نزَل بحزن. فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لَمْ تبكوا فتباكَوْا، وتغنَّوا به. فمن لَمْ يتغنّ بالقرآن فليس منا**»[(٢)].

والمراد بالتباكي: التَدَبُّر، واستحضار معاني الآيات، وعظمة الكلام

---

(١) «سنن القراء» [ص ١٦٤ – ١٦٥].

(٢) رواه ابن ماجه [١٣٣٧]، وقوله: بحُزْن – أو بحَزَن – بضم فسكون أو بفتحتين؛ قال في «الزوائد»: «في إسناده أبو رافع؛ اسمه إسماعيل بن رافع، ضعيف متروك».

والمتكلم سبحانه، واستحضار أنه المخاطب به من الله، فهذا مما يجلب له البكاء، وليس المراد تصنُّع البكاء وتكلُّفه، وتوليده كما يفعله بعض أهل المحاريب..

وقال الحسن البصري - رحمَه الله -: «يا ابن آدم! والله إن قرأت القرآن ثُمَّ آمنتَ به: ليطولنَّ في الدنيا حزنك، وليشتدنَّ في الدنيا خوفك، وليَكثُرنَّ في الدنيا بكاؤك».

بعض أحوال السلف في البكاء أثناء التلاوة:

وقد كان البكاء الصادق الذي يجلبه التدبر والتفكر من عادة السلف الصالح - رحمهم الله -:

فعن أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ أنه ابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فتتقصف عليه نساء المشركينَ وأبناؤهم يتعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكرٍ رجلاً بكَّاءً لا يملك دمعَه حين يقرأ القرآن[1].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى

---

(١) رواه أبو نُعَيمٍ في «الحلية» [١/ ٢٩].

يسقط، ويلزم بيته اليوم واليومين حتى يُعاد، يحسبونه مريضاً[(١)].

وعن عبد الله بن أبي مليكة - رحمه الله - قال: «صحبتُ ابن عباس من مكَّة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكَّة، وكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن يقرأ حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب، ويقرأ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩]»[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة الصبح، فقرأ سورة يوسف، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته. وفي رواية: أنه كان في صلاة العشاء. فيدل على تكرره منه، وفي رواية: فبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف، وهو يقرأ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦][(٣)].

---

(١) رواه أبو نُعَيمٍ [١/ ٥١]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [١٣/ ٢٦٩]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ٢٠]، وأحمد في «الزهد» [ص ١١٩].

(٢) رواه أبو نُعَيمٍ [١/ ٣٢٧]، وابن أبي شيبة [١٤/ ١٦]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ٢٣].

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» [٢/ ١١٤]، وابن أبي شيبة [١/ ٣٥٥]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ٢٠].

وعن أبي رجاء قال: «رأيت ابن عباس - رضي الله عنهما - وتحت عينيه مثل الشِّراك[(١)] البالي من الدموع».

وفي «الصحيح» عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**». قلت: يا رسول الله، أقرأُ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**». قال: فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء: ٤١]. قال: «**حسبك**». فنظرت فإذا عيناه تذرفان»[(٢)].

وأخرج البَيْهَقيُّ عن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: «لما نزلت: ﴿ **أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ** ﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠]، بكى أهل الصُّفَّة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلمَّا سمع رسول الله ﷺ حِسَّهم بكى معهم، فبكينا ببكائه. فقال: «**لا يلج النار مَنْ بكى من خشية الله**».

وعن نافع - رحمه الله - قال: «كان ابن عمر يُصلي بالليل فيمرّ بالآية

---

(١) الشِّراك: أحد سيُور النَّعل التي تكون على وجْهِها. «النهاية» [٢/ ٤٦٨،٤٦٧] مادة «شرك».

(٢) رواه البخاري [٤٥٨٢]، ومسلم [٨٠٠]، والتِّرمذي [٣٠٢٧]، وأبو داود [٣٦٦٨]، وأحمد [١/ ٣٨٠، ٤٣٣]، وابن ماجه [٤١٩٤].

فيها ذكر الجنة فيقف ويسأل الله الجنة ويدعو، وربما بكى، ويَمُرّ بالآية فيها ذكر النار فيقف ويتعوذ بالله من النار، ويدعو وربما بكى، وكان إذا أتى على هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكى وقال: بلى يا رب؛ بلى يا رب»[١].

وقرأ عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – سورة المطففين فلَمَّا بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] بكى حتى خُنَّ، وامتنع عن قراءة ما بعدها [٢].

وعن مزاحم بن زفر – رحمه الله – قال: «صلَّى بنا سفيان الثوري المغرب حتى بلغ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] بكى حتى انقطعت قراءته، ثُمَّ عاد فقرأ الحمد».

وعن إبراهيم بن الأشعث – رحمه الله – قال: «سمعت الفضيل يقول ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد ويبكي ويردِّد هذه الآية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وجعل يقول: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ وتبلو أخبارَنا؟ إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا وهتكت

---

(١) «مختصر قيام الليل» للمروزي [ص ٦١].

(٢) «مختصر قيام الليل» للمروزي [ص ٦١]، ومعنى خُنَّ: انقطع من شدة البكاء.

أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذَّبتنا. ويبكي».

والآثار عن السلف في هذا كثيرة جداً، وفيما أشرت إليه كفاية للعاقل اللبيب.

قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله -: «والبكاء مستحب مع القراءة، وإنما طريق تكلُّف البكاء: أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، ووجه إحضار الحزن: أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثُمَّ يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لَمْ يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية، فليبكِ على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب»[1].

١٠- وينبغي أن تكون قراءته مرتَّلة متأنِّية، وقد اتفق العلماء - رحمهم الله تعالى- على استحباب الترتيل.

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[2] [المزمل: ٤]، والترتيل أقرب إلى

---

(١) «إحياء علوم الدين» [١/ ٢٧٧].

(٢) هذا أمر مِنَ الله بالترتيل، والأصل في الأمر الوجوب ما لم يصرفه صارف لغيره، وليس ثَمَّ صارف.. فلو قيل بوجوب التجويد لكان هو الأولى، ولذا قال الزركشي - رحمه الله -: «على كل مسلم قرأ القرآن أن يرتله». «البرهان» [١/ ٤٤٩] وهو الذي عليه عامة القراء - أعني: وجوب التجويد -.

=

الإجلال والتقدير،وأشد تأثيراً في القلوب، وهو قبل هذا وذاك، مأمورٌ به، ومؤكَّدٌ عليه في الشرع، وفعله التزام لسنَّة النبيِّ ﷺ .

فعن أم سلمة – رضي الله عنها – «أنها نعتت قراءة النَّبيِّ ﷺ، قراءةً مُفَسَّرةً حرفاً حرفاً»(١).

وعن أمِّ المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها» (٢).

وعن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ يوم فتح مكَّة على ناقته يقرأ سورة الفتح فَرَجَّعَ في قراءتِه»(٣).

وقال رجل لابن عباس – رضي الله عنهما –: إني أقرأ القرآن في ثلاث؛ فقال ابن عباس: «لأن أقرأ البقرة فأدَّبَّرُها وأرتِّلُها أحب إليّ من أن

والترتيل: هو التأنِّي والتمهُّل في القراءة، وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتَّل؛ أي: المستوي الأسنان. «النهاية» [٢/ ١٩٤]، و«أساس البلاغة» [١/ ٣٢١].

(١) رواه أبو داود [١٤٦٦]، والتِّرمذي [٢٩٢٤]، والنسائي [٣/ ٢١٤]، وأحمد [٦/ ٢٩٤، ٣٠٠] وقال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) رواه مسلم [١١٨] في صلاة المسافرين.

(٣) رواه البخاري [٤٢٨١]، ومسلم [٧٩٤]، وأبو داود [١٤٦٧].

أقرأ القرآنَ أَجْمَعَ هَذْرَمَةً»[١].

وسُئِلَ مجاهدٌ عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران، والآخر البقرة وحدها، وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء؟ قال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رجلاً قال له: إني أقرأ المفصَّل في ركعة واحدة، فقال ابن مسعود: «هذًّا كَهَذِّ الشعر، إنَّ أقواماً يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيَهم، ولكن إذا وقع في القلب فَرَسَخَ فيه نفع»[٢].

وأخرج الآجُرِّيُّ في «أخلاق حَمَلَة القرآن» عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال في القرآن: «لا تنثروه نثر الدقل، ولا تَهذّوه هَذَّ الشِعر، قِفوا عند عجائبه وحَرِّكوا به القلوب، ولا يَكُنْ هَمُّ أحدِكُمْ آخرَ السورة»[٣].

وعند البخاريِّ من حديث أنس ﷺ أنه سُئل عن قراءة النَّبيِّ ﷺ فقال: «كانت مَدًّا، ثُمَّ قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يمدُّ الله، ويمد الرحمن،

---

(١) «فضائل القرآن» لابن كثير [ص ٧٥]، و«مصنف» عبد الرزاق [٢/ ٤٨٩]، و«شعب الإيمان» للبيهقي [٥/ ٧] وعندهما أن السائل هو أبو جمرة نصر بن عمران الضُّبعيّ.

(٢) رواه البخاري [٧٧٥]، ومسلم [٨٢٢] واللفظ له، وأحمد [١/ ٣٨٠، ٤١٧].

(٣) ورواه ابن أبي شيبة [٢/ ٥٢١]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ٨].

ويمدُّ الرحيم»[١].

وقال قتادة - رحمه الله -: سألت أنس بن مالك عن قراءة النَّبيِّ ﷺ فقال: «كان يَمُدُّ مَدَّاً»[٢].

وقال أهل العلم: والترتيل مستحب للتدبُّر ولغيره، ولهذا يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب.

وفي «النشر»: «اختُلِف: هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرتها؟ وأحسَنَ بعض أئمتنا فقال: إن ثواب قراءة الترتيل أجلّ قدراً، وثواب الكثرة أكثر عدداً، لأن بكل حرف عشر حسنات»[٣].

١١- ويستحب للقاريء إذا مرَّ بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مَرَّ بآية عذاب أن يستعيذ بالله منه، وأن يسأله العافية والسلامة، وإذا مرَّ بآية تنزيهٍ لله سبحانه وتعالى نزَّهَه فيقول: سبحانه وتعالى، أو تبارك

---

(١) رواه البخاري [٥٠٤٦] باب مد القراءة، وانظر: «فتح الباري» [٨/ ٧٠٩].

(٢) رواه البخاري [٥٠٤٥].

(٣) «النشر» [١/ ٢٠٨].

وتعالى، أو جَلَّت عظمة ربنا ونحو ذلك[(١)].

فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - قال: «صلَّيت مع النَّبيِّ ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثُمَّ مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثُمَّ افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلاً؛ إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بآية سؤال سأل،وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ»[(٢)]، قال النَّووي - رحمَه الله -: «وكانت سورة النساء في ذلك الوقت مُتقدِّمة على آل عمران»[(٣)].

وعن عوف بن مالك ﷺ قال: «قمتُ مع النَّبيِّ ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمةٍ إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذابٍ إلا وقف وتعوَّذ»[(٤)].

وأخرج ابن أبي داود عن مسلم بن مخراق - رحمه الله - قال: «قلت لعائشة: إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً، فقالت: قرؤوا

---

(١) وانظر هنا قاعدة (٩): الفهم طريق الحفظ.

(٢) رواه مسلم [٧٧٢]، وأحمد [٥/ ٣٨٤، ٣٩٧]، وأبو داود [٨٧١، ٨٧٤]، والنسائي [٢/ ١٧٦، ١٧٧].

(٣) «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ٩٠].ط مكتبة المؤيد.

(٤) أبو داود في الصلاة [٧٢٣].

ولَمْ يقرؤوا! كنت مع رسول الله ﷺ ليلة التمام، فيقرأ بالبقرة، وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب، ولا آية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ».

وقال الحسين الكرابيسي - رحمه الله -: «بتُّ مع الشافعي ليلةً، فكان يصلي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثرَ فمئة آية، وكان لا يمر بآية رحمةٍ إلا سأل الله، ولا بآية عذاب إلا تعوَّذ، وكأنما جُمِع له الرجاء والرهبة جميعاً»[(١)].

وجماهير أهل العلم - رحمهم الله - على أن هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح، مستحبٌ لكل قارىء سواء كان في الصلاة أو في خارجها[(٢)].

قالوا: ويستحب ذلك في الصلاة للإمام والمأموم والمنفرد، لأنه دعاء، فاستوَوْا فيه كالتأمين عقب الفاتحة.

١٢- ومما يُعتَنى به، ويتأكد الأمر به: احترام القرآن من أمورٍ قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين، فمن ذلك اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة، إلا كلاماً يُضطر إليه، وليتمثل أمر الله

---

(١) «نزهة الفضلاء» [٢/ ٧٣٦].

(٢) خالفَ في هذا أبو حنيفة - رحمَه الله - فقال: «يُكره ذلك في الصلاة»، والصواب قول الجمهور. انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي - رحمَه الله - [ص ٩١].

تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وليقتد بما رواه ابن أبي داود عنِ ابنِ عُمَر - رضي الله عنهما - «أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ مما أراد أن يقرأه».

وكذلك يتجنَّب العبث باليد وغيرها، فإنه يناجي ربه سبحانه وتعالى فلا يعبث بين يديه، ويتجنب النظر إلى ما يلهيه ويشرد بذهنه عن التلاوة.

١٣- ويستحب للقاريء أن يقرأ من المصحف، وذلك أفضل من القراءة غيباً، لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر[١].

وتقدم حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: «**مَنْ سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»[٢].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: [وقد صرَّح كثيرٌ من العلماء بأن القراءة من المصحف نظراً أفضل من القراءة عن ظهر قلب، وأخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن» من طريق عبيد الله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ رفعه قال: «فضل قراءة القرآن نظراً، على من يقرؤه ظهراً، كفضل الفريضة على النافلة» وإسناده ضعيف. ومن طريق ابن مسعود موقوفاً: «أديموا النظر في المصحف». وإسناده صحيح، ومن حيث المعنى: أنَّ القراءة في المصحف أسلم من الغلط، لكن القراءة عن ظهر قلب أبعد عن الرياء، وأمكن للخشوع، والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص»]. «فتح الباري». [٨/ ٦٩٦، ٦٩٧].

(٢) تقدم تخريجه [ص ٣٦] حاشية [٢].

وذكر الغزالي- رحمه الله - : «أن كثيرين من الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يقرؤون من المصحف، ويكرهون أن يخرج يوم ولا ينظرون إلى المصحف»[(١)].

قال الإمام النَّووي - رحمَه الله -: «ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فتختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدَبُّره في حالتي القراءة من المصحف وعن ظهر القلب، وتختار القراءة عن ظهر القلب لمن لَمْ يكمل بذلك خشوعه وتدبره ويزيدُ خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف، لكان هذا قولاً حسناً، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل»[(٢)].

١٤- ويستحب أن يقرأ القرآن مُرَتَّباً بلا تنكيسٍ لسورِهِ أو آياته، وأن لا يترك سورةً بدأها حتى يُنفذها، وهذا كان هدي السلف الصالح عليهم رحمة الله.

رَوَى أبو عبيد عن سعيد بن المسيب - رحمه الله - أن النَّبيَّ ﷺ قال لبلال: «**مررتُ بك وأنت تقرأ من هذه السورة، ومن هذه السورة**»؟ فقال:

---

(١) «إحياء علوم الدين» [١/ ٢٧٩].

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» [ص ٩٨].

أخلط الطيِّب بالطيب، فقال له: «**اقرأ السورة على وجهها**»، وفي روايةٍ: «**إذا قرأت السورة فأنفذها**»[1].

وعن خالد بن الوليد ﷺ أنه أمَّ الناس بالحيرة فقرأ من سور شتى، ثُمَّ التفت إلى الناس حين انصرف وقال: «شغلَني الجهاد عن تَعلُّمِ القرآن» [2].

وعن عبد الله بن عون – رحمه الله – قال: «سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثُمَّ يدعها ويأخذ في غيرها، ثُمَّ يدعها ويأخذ في غيرها، فقال: ليتَّقِ أحدكم أن يأثم إثماً كبيراً وهو لا يشعر»[3].

قال أبو عبيد – رحمه الله –: «الأمر عندنا على الكراهية في قراءة القُرّاء هذه الآيات المختلفة، كما أنكر رسول الله ﷺ على بلال، وكما اعتذر خالد من فعله، وكراهية ابن سيرين له»[4].

وأما كراهة مخالفة ترتيب السور، فقد قيل لعبد الله بن مسعود ﷺ:

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» [ص ٣٨]، وعبد الرزاق في «المصنف» [٢/ ٤٩٥]، وابن أبي شيبة في «مصنفه» [١٠/ ٥٥].

(٢) «فضائل القرآن» لأبي عبيد [ص ٣٨].

(٣)«المرجع السابق» لأبي عبيد [ص ٣٨].

(٤) «المرجع السابق» [ص ٣٨].

«إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال عبد الله: ذاك منكوس القلب»[1].

قال أبو عبيد - رحمه الله -: «وجهه عندي أن يبدأ من آخر القرآن من المعوذتين، ثُمَّ يرتفع إلى البقرة، كنحو ما يتعلم الصبيان في الكتَّاب، لأن السنَّة خلاف هذا، وإنما جاءت الرخصة في تعليم الصبي والعجمي في المُفَصَّل، لصعوبة السور الطوال عليهما» [2].

١٥- ويستحب الاجتماع على تلاوة القرآن، وقد دَلَّ على ذلك أدلة كثيرة، وهو ثابت من فعل السلف - رحَمَهم الله تعالى -:

فعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[3].

وعن معاوية ﷺ: أن رسول الله ﷺ خرج على حلْقة من أصحابه فقال: «**ما يجلسكم ؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده لما هدانا للإسلام، ومَنَّ علينا به. فقال: «**أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي**

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» [١٠/ ٥٦٤]، وعبد الرزاق في «مصنفه» [٤/ ٣٢٣]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥/ ٢٥٤].

(٢) نقلاً عن«سنن القراء» [١٧٣ - ١٧٨].

(٣) رواه مسلم [٢٧٠١]، وأبو داود [١٤٥٥]، وأحمد [٢/ ٢٥٢، ٤٠٧].

بكم الملائكة»[١].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «مَنْ استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كانت له نوراً»[٢].

وروى ابن أبي داودَ: «أن أبا الدرداء ﷺ كان يدرس القرآن مع نَفَرٍ يقرؤون جميعاً».

ويستحبُّ للقاريء أن يجمع غيره على القراءة، وأن يحثّهم على الاجتماع للتلاوة، فقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**الدال على الخير كفاعله**»[٣].

وقال ﷺ: «**مَنْ دَلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**»[٤].

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ: «**لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»[٥]. والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة.

---

(١) رواه مسلم [٢٧٠١]، وأحمد [٤/ ٩٢]، والتِّرمذي [٣٣٧٦]، والنسائي [٨/ ٢٩٨].

(٢) رواه الدارمي [٣٣٧٠] موقوفاً على ابن عباس – رضي الله عنهما –.

(٣) حديث صحيح مروي عن عدد مِنَ الصحابة منهم ابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وغيرهم. وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» [١٦٦٠]، و«صحيح الجامع الصغير» [٣٣٩٩].

(٤)رواه مسلم [١٨٩٣]، وأحمد [٤/ ١٢٠]، وأبو داود [٥١٢٩]، والترمذي [٢٦٧١].

(٥) رواه البخاري [٢٩٤٢]، ومسلم [٢٤٠٦]، وأحمد [٥/ ٣٣٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ومعلوم أن الاجتماع على الطاعة مما يزيد في نشاط الفرد، ويدعوه لمنافسة أقرانه في أعمال الخير، بخلاف الانفراد الذي ربما يعتري صاحبَه كسل أو فتور.

١٦- ويستحب الدعاءُ عند ختم القرآن، وأن يجمع أهله ومن يحبه على ذلك.

رَوَى الطبراني عن ثابت - رحمه الله -: «أن أنس بن مالك ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم»[١].

وعن مجاهد - رحمه الله - قال: «كانوا يجتمعون عند ختم القرآن، ويقولون: تنزل الرحمة»[٢].

١٧- ومن آداب تلاوة القرآن أن يسجد عند تلاوة الآيات التي فيها سجود سواء كان الوقت وقت نهي أو غيره، لأن سجود التلاوة من ذوات الأسباب، والصحيح المعتمد أن سجدة «ص» محلٌّ للسجود.

---

(١) قال في «مجمع الزوائد» [٧/ ١٧٥]: رجاله ثقات.

(٢) «الأذكار» للنووي [ص ١٥٦].

وهل لسجود التلاوة في غير الصلاة تكبير عند الرفع، وسلامٌ؟ مَحَلُّ خلاف بين أهل العلم، والأمر واسع إن شاء الله. ويقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، وإن زاد: سجد وجهي لله الذي خلقه فصوَّره وشقَّ سمعه وبصره بحوله وقوته، اللهم اجعل لي بها ذُخراً، وضع عني بها وِزراً، وتَقَبَّلْها مني كما تَقبَّلتَها من نبيك داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسَّلام؛ فهذا حسن.

ويستحب السجود للسامع والمستمعِ تبعاً للتالي.

وجمهور أهل العلم على أن سجود التلاوة مستحب وليس بواجب، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس وسلمان الفارسي وعمران بن الحصين ومالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وداود وغيرهم - رضي الله عن الجميع ورحمهم -.

وذهب أبو حنيفة- رحمَه الله - إلى أن سجود التلاوة واجب؛ واستدل بقوله تعالى: ﴿ **فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ** ﴾ [الانشقاق: ٢٠ - ٢١].

واستدل الجمهور بما صحَّ عن عمر بن الخطاب ﷺ: «أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجَد، وسجَد الناس؛ حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأها حتى جاء السجدة قال: يا أيها

الناس! إنما نمرُّ بالسجود فمن سجَد فقد أصاب، ومن لَمْ يسجد فلا إثم عليه..»[١]، وهذا الفعل والقول من عمر في هذا المجمع دليل ظاهر.

قال الإمام النَّووي - رحمَه الله -: «وأما الجواب عن الآية التي احتجَّ بها أبو حنيفة - رحمَه الله - فظاهر، لأن المراد ذمهم على ترك السجود تكذيباً، كما قال تعالى بعده: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴾[الانشقاق: ٢٢]».

ويشترط في سجود التلاوة ما يشترط لصلاة النافلة من الطهارة عن الحدث وعن النجاسة، واستقبال القبلة، وستر العورة، فيحرم السجود على مَنْ على بدنه أو ثوبه نجاسةٌ غير معفوٍّ عنها، ويحرم السجود على المحدث إلا إذا تيمم في موضعٍ يجوز فيه التيمم، ويحرم السجود إلى غير القبلة إلا في السفر حيث تجوز النافلة فيه إلى غير القبلة.

قال النَّووي - رحمَه الله -: «وهذا كله متفق عليه»[٢].

١٨ - وينبغي على القاريء أن لا يقرأ في أماكن مستقذرة كدورات المياه، وأماكن المنكرات والمعاصي، أو في مجتمع لا يُنصِتُ له؛ كمجتمع البيع

---

(١) رواه البخاري [١٠٧٧] في سجود القرآن.

(٢) وانظر كتاب: «التبيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي فهو هام جداً، وفيه فوائد يحسن الاطلاع عليها، وكثيرٌ مما في هذا الفصل مستفادٌ منه، فليتنبه لهذا.

والشراء، أو مجتمع الرياضة، أو مجتمع لعب الورق، وغير ذلك من المجتمعات المشغولة، لأن القراءة في هذه الأماكن إهانةٌ لكتاب الله تعالى.





الفصل السادس

في التحذير من نسيان القرآن وإهماله وعدم استذكاره

إنَّ الإعراض عن القرآن وإهماله، والتغافل عنه ونسيانه؛ من الذنوب العظام، والخطايا الجسام، حتى عدَّه بعض أهل العلم - رحمَهم الله تعالى - من الكبائر.

وممن قال بأنه كبيرةٌ من الكبائر: الإمام الرافعي، والإمام النَّوويُّ وغيرهما من أهل العلم.

قال النَّووي - رحمه الله -: «اختياري أن نسيان القرآن من الكبائر لحديثٍ فيه».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «واختلف السلف في نسيان القرآن فمنهم من جعل ذلك من الكبائر، وأخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً قال: ما من أحد تعلَّم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، لأنَّ الله يقول: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ** ﴾ [الشورى: ٣٠]، ونسيانُ القرآن من أعظم المصائب.

وقد قال به من الشافعية: أبو المكارم والروياني واحتج بأنَّ الإعراض عن التلاوة يتسبب عنه نسيان القرآن، ونسيانه يدل على عدم الإعتناء به، والتهاون بأمره.

وقال القرطبي: من حفظ القرآن أو بعضه فقد عَلَتْ رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخل بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يُعاقب على ذلك، فإن ترك معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل، والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد. وقال إسحاق بن راهويه: يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن» (١) .

قال الجلال البلقيني والزركشي وغيرهما: «محل كون نسيانه كبيرةً عند مَنْ قال به إذا كان عن تهاونٍ وتكاسل».

وهذا احترازٌ عما لو اشتغل عنه بنحو إغماءٍ، أو مرضٍ مانع له من القراءة، أو غيرهما من كل ما لا يتأتى معه القراءة، وعدم التأثيم بالنسيان حينئذٍ واضح، لأنه مغلوبٌ عليه لا اختيار له فيه، بخلاف ما إذا اشتغل عنه بما يمكنه القراءة معه؛ فحينئذٍ يدخل في الذم ويستحقه.

وحمل أبو شامة - شيخ النَّووي وتلميذ ابن الصلاح - الأحاديث في ذم نسيان القرآن على ترك العمل به؛ لأن النسيان هو الترك لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥].

قال: «وللقرآن يوم القيامة حالتان: أحدهما: الشفاعة لمن قرأه ولَمْ

---

(١) انظر: «فتح الباري» [٨/ ٧٠٤، ٧٠٥] بتصرف يسير.

ينسَ العمل به، والثانية: الشكاية على مَنْ نسيَه؛ أي: تركَه تهاوناً ولَمْ يعمل بما فيه، ولا يبعد أن يكون مَنْ تهاونَ به حتى نسي تلاوته كذلك».

ومما يدل على خطورة نسيان القرآن وإهمال استذكاره بسبب الإعراض التامِّ عنه، ما قاله الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في كتابه «فضائل القرآن»: «وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى - أي: نسيان القرآن - في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

وهذا الذي قاله وإن لَمْ يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإنَّ الإعراض عن تلاوة القرآن، وتعريضه للنسيان، وعدم الاعتناء به فيه تهاونٌ كبيرٌ وتفريطٌ شديد، نعوذ بالله منه»[(١)].

وقال في «تفسيره»[(٢)]: [وقوله: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى** ﴾، أي: خالفَ أمري وما أنزلتُه على رسُولي؛ أَعرَضَ عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، ﴿**فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراحَ

---

(١) «فضائل القرآن» [ص ٢٢١].ط. مكتبة ابن تيمية.

(٢) [٥/ ٢٢٩٩-٢٣٠١]ط. ابن حزم.

لصدره، بل صَدْرُهُ ضيِّقٌ حَرِجٌ لضلالِه، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإنَّ قلبه مالم يخلُصْ إلى اليقين والهُدَى، فهو في قَلَقٍ وحَيْرةٍ وشكٍّ، فلا يزالُ في ريبةٍ يتردَّد، فهذا من ضَنْكِ المعْيشةِ... ونقل البزَّار مُسنداً إلى أبي هريرة ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾، قال ﷺ: «**عذاب القبر**». قال الحافظ: إسنادٌ جيّد [1].

قال: وقوله: ﴿ **وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ** ﴾، قال مجاهد وأبو صالح والسدّيُّ: لا حُجَّةَ له. وقال عكرمة: عُمِّيَ عليه كلُّ شيءٍ إلا جهنّم.

قال: ويَحتَمِلُ أن يكون المراد أنه يُحشر أو يُبعثُ إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضاً، كما قال تعالى: ﴿ **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٩٧]، ولهذا يقول: ﴿ **رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا** ﴾ أي: في الدنيا ﴿ **قَالَ**

---

(١) جاء في « مسند البزار» المنشور باسم «البحر الزخار» [٩٤٠٧]، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾، قال: «المعيشة الضنك الذي قال الله تبارك وتعالى: أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة».

وانظر أيضاً: «فتح الباري» [٨/ ٤٣٣].

﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ أي: لمّا أعرضت عن آيات الله، وعاملتها معاملة من لم يذكرها، بعد بلاغها إليك، تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك نُعامِلكَ معاملَة مَن ينساك ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، فإنَّ الجزاء من جنس العمل.

فأمّا نسيانُ لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه، فليس داخلاً في هذا الوعيد الخاص، وإن كان مُتَوَعّداً عليه من جهةٍ أخرى، فقد وردت السنّةُ بالنهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك.

ثم أورد حديث سعد بن عبادة مرفوعاً: «ما من رجلٍ قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجذم»].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠]، قال الحافظُ ابن كثير – رحمَه الله –: «يقول الله تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد – صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين – أنه قال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾، وذلك أن المشركينَ كانوا لا يُصغون للقرآن ولا يسمعونه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وكانوا إذا تُلي عليهم القرآن أكثَروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعوه؛ فهذا من

هِجرانه، وتركُ عملِه وحفظِه أيضاً من هِجرانه، وترك تفهُّمه وتدبُّرِهِ من هِجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هِجرانه، وترك العمل به من امتثال أوامره واجتناب زواجره، والعدول عنه إلى غيرِه من شعرٍ أو قولٍ أو غناءٍ أو لهوٍ أو كلامٍ أو طريقةٍ مأخوذةٍ من غيره من هِجرانه... فنسأل الله الكريم المنَّان القادر على ما يشاء أن يخلِّصنا مما يُسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يُحبه ويرضاه، إنه كريمٌ وهَّاب»[1].

ومما يدل على خطورة نسيان القرآن وعدم المراجعة له: ما ثبت في حديث سمرة بن جندب ﵁ قال: «كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيانِ وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق. وإني انطلقتُ معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجعٍ وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسَه، فيتدَهْدَهُ الحجرُ هاهنا، فيتبعُ الحجرَ فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يُصبح رأسُه كما كان، ثُمَّ يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى.**

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٦/ ٢٥٥١] ط. ابن حزم، وانظر أيضاً: «تفسير الطبري» ط. دار هجر [١٧/ ٤٤٢ - ٤٤٤].

قال: قلت لهما: سبحان الله، ما هذان؟ قالا: انطلق، انطلق. فانطلقنا فأتينا على رجل مستلقٍ على قفاه...» الحديث.

وفي آخره قال النَّبيُّ ﷺ: «**قلت لهما: فإنّي قد رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيتُ؟ قالا: أَمَا إنا سنخبركَ؛ أما الرجل الأول الذي أتيتَ عليه يُثلَغ رأسُه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة...»** الحديث[1].

وفي رواية: «**والذي رأيته يُشدخ رأسه فرجل علَّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولَمْ يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة**».

قال الحافظ ابن حجر - رحمَه الله -: «قوله: «فيرفضه» بكسر الفاء ويُقال بضمها، قال ابن هُبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يُوهِمُ أنه رأى فيه ما يوجبُ رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عُوقِبَ في أشرف أعضائه وهو الرأس.

قوله: «**ينام عن الصلاة المكتوبة**» هذا أوضح من رواية جرير بن حازم بلفظ: «**علَّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولَمْ يعمل فيه بالنهار**» فإن

---

(١) رواه البخاري [٧٠٤٧] باب «تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح» وهو حديث رائع في الترغيب والترهيب، ويحسن بالوعَّاظ والخطباء أن يوضحوه للناس ويشرحوه لهم، بدلاً مما يأتون به مِنَ الطَّامَّات والأكاذيب. والله المستعان.

ظاهره أنه يُعذَّب على ترك قراءة القرآن بالليل، بخلاف رواية عوف؛ فإنه على تركِه الصلاة المكتوبة، ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرينِ: ترك القراءة وترك العمل»[١].

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[٢].

وأخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً: «ما من أحدٍ تعلم القرآن ثُمَّ نسيَه إلا بذنبٍ أحدثَه؛ لأن الله يقول: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ** ﴾ [الشورى: ٣٠]، ونسيان القرآن من أعظم المصائب»[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عليَّ أجور أمتي؛ حتى القذاةَ يخرجها الرجل من المسجد، وعُرضت عليَّ ذنوب أمتي فلَمْ أرَ ذنباً**

(١) «فتح الباري» [١٢/ ٤٦٤، ٤٦٥].

(٢) رواه التِّرمذي [٢٩١٣] وقال: «حسن صحيح»، والحاكم [١/ ٥٥٤] وقال: «صحيح الإسناد»، وتعقبه الذهبيّ بقوله: «قابوس ليّن»، وضعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» [١٥٢٤]، وانظر: «مشكاة المصابيح» [٢١٣٥].

(٣) ورواه ابن المبارك في «الزهد» رقم [٧٥]ط.دار المعراج الدولية.

أعظم من سورة من القرآن، أو آيةٍ أوتيها رجلٌ ثُمَّ نسيَها»[١].

ورَوَى ابن أبي داود من وجهٍ آخر مرسَل نحوه ولفظه: «... **فلَمْ أرَ ذنباً أعظم من حامل القرآن وتاركه»**.

وعن أبي العالية - رحمه الله - قال: «كنا نَعُدُّ من أعظم الذنوب أن يتعلَّم الرجل القرآن ثُمَّ ينام عنه حتى ينساه»[٢].

وعن ابن سيرين أنه قال في الذي ينسى القرآن: «كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً»[٣].

فعلى مَنْ ابتلي بالنسيان أن يتوب إلى ربه، ويبادر بمعاودة الحفظ والاستذكار للقرآن، واستعادة ما سبق أن حفظه أيسر وأقل وقتاً بكثيرٍ من ابتداء الحفظ.

وعن سعد بن عبادة ﷺ مرفوعاً: «**مَنْ قرأ القرآن ثُمَّ نسيَه لقيَ الله يوم**

---

(١) رواه أبو داود [٤٦١]، والتِّرمذي [٢٩١٧] وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرتُ به محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - فلم يعرفه واستغربَه». وقال الحافظ ابن حجر: «في إسناده ضعف»، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» رقم [٧١].

(٢) قال في «فتح الباري» [٨/ ٧٠٥]: «إسناده جيد».

(٣) قال في «فتح الباري» [٨/ ٧٠٥] «إسناده صحيح».

القيامة وهو أجذم»[١].

وعن أنس ﷺ قال: «مَنْ تعلم القرآن وعلَّق مصحفه ولَمْ يتعاهده ولَمْ ينظر فيه؛ جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب العالمين إنَّ عبدَك هذا اتخذني مهجوراً فاقضِ بيني وبينه»[٢].

وعن عكرمة ومجاهد - رحمهما الله - قالا: «إذا علِمَ الرجل القرآن ثُمَّ نسيَه يجيء يوم القيامة فيقول: لو حفظتَني لبلغتُ بك المنزل، ولكنك

(١) رواه أحمد [٥/ ٣٢٧]، والدارمي [٣٣٤٣]، وأبو داود [١٤٧٤]، وقال الحافظ ابن حجر: «في إسناده مقال»، وقال الإمام المنذري: «في إسناده يزيد بن أبي زياد، ولا يُحتج بحديثه، وهو مُنقَطعٌ أيضاً». «مختصر السنن» [٢/ ١٣٩].

واختُلف في معنى: «**أجذم**»: فقيل: مقطوع اليد، وقيل: مقطوع الحجة، وقيل: مقطوع السبب مِنَ الخير، وقيل: خالي اليد مِنَ الخير، وهي متقاربة، وقيل: يحشر مجذوماً حقيقةً، ويؤيده رواية زائدة بن قدامة، وفيها: «**أتى يوم القيامة وهو مجذوم**». «فتح الباري» [٨/ ٧٠٥].

قال الشيخ يوسف القرضاوي: «وإذا كانت الأحاديث التي استند عليها مَنْ قال بأن نسيان القرآن كبيرة؛ قد ثبت ضعفُها، فلَمْ يبقَ إلا أن نسيانه في موضع الذم، لتركِه تعاهد القرآن، لكنه لا يفيد التحريم، ناهيك بأن يكون كبيرةً، بل الذي يتَّجه أنه مكروهٌ كراهية شديدة، ولا يليق بالمسلم الذي يملك هذا الكنز النفيس بأن يفرِّط فيه، حتى يضيع منه. وإن الذي جعلني أقول هذا: هو خشيتي أن يتقاعس الناس عن حفظ القرآن، إذا كان معرَّضاً لأن ينساهُ، فيُكتب عليه كبيرةٌ مِنَ الكبائر، مع أنه لو لَمْ يحفظه أصلاً، لَمْ يكن عليه أيُّ شائبةٍ من إثم». «كيف نتعامل مع القرآن» [ص ١٤٠ - ١٤١].

(٢) «تفسير القرطبي» [١٣/ ٢٧، ٢٨].

قصَّرتَ فقَصَّرتُ بك»(١).

قال القرطبي- رحمه الله -: «مَنْ حفظ القرآن فقد علَتْ رتبتُه، وشرف في نفسه وقومه، وكيف لا؟ ومَنْ حفظَه فقد أُدرجت النُّبوَّةُ بين جنبيه وصار ممن يقال فيه: هو من أهل الله وخاصته، فإذا كان كذلك فمن المناسب تغليظ العقوبة على مَنْ أخلَّ بمرتبته الدينية، ومؤاخذته بما لا يؤاخذ به غيره، وترك معاهدة القرآن يؤدي إلى الجهالة؛ والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد».

ولأجل ما تقدم ذكره: أمرَنا النَّبيُّ ﷺ باستذكار القرآن وتعاهده وكثرة تلاوته، وحذَّرَنا من تركه وإهماله، ففي «الصحيح» من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «**إنما مثَل صاحب القرآن كمثَل صاحبِ الإبل المعقَّلة، إنْ عاهدَ عليها أمسكَها، وإنْ أطلقَها ذهبت**»(٢).

---

(١) «قيام الليل» للمروزي [ص١٨٧].

(٢) رواه البخاري [٥٠٣١]، ومسلم [٧٨٩]، ومالك في «الموطأ» [١/ ٢٠٢]، والنسائي [٢/ ١٥٤]، وأحمد [٢/ ١٧، ٦٤، ١١٢]، وابن ماجه [٣٧٨٣]. وتأمل قوله: «صاحب القرآن»، والصاحب هو الذي يُؤلف ويُحبّ. وانظر ما تقدم هنا [ص ٣١] حاشية [١].

وقوله «**كمثل صاحب الإبل المعقَّلة**» أي: مع الإبل المعقّلة، والمُعقّلة أي: المشدودة بالعقال وهو الحبلُ الذي يُشدُّ في ركبة البعير، شَبَّه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه =

وفي رواية أبي موسى ﷺ مرفوعاً: «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّياً - أي: تفلتاً - من الإبل في عُقُلِها**»(١).

[وفي هذين الحديثين الشريفين وقع التشبيه بين ثلاثةٍ بثلاثة - كما يقول الحافظ ابن حجر -: فحامل القرآن شُبِّه بصاحب الناقة، والقرآن بالناقة، والحفظ بالربط. وخصَّ البعير بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة...

وقوله: «**لهو أشدُّ تَفَصِّياً من الإبل في عُقُلِها**» قال ابن حجر: لأن من شأن الإبل تطلُّب التفلّت ما أمكنَها، فمتى لَمْ يتعاهدها برباطها تفلَّتت؛ فكذلك حافظ القرآن إن لَمْ يتعاهده تفلَّت؛ بل هو أشدُّ في ذلك.

وقال ابن بطَّال: هذا الحديث يوافق الآيتين: قوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ [المدثر: ٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ**﴾ [القمر: ١٧]، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يُسِّر له، ومن أعرض عنه تفلَّت منه.

الشراد، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ. انظر: «فتح الباري» [٨/ ٦٩٧، ٦٩٨].

(١) البخاري [٥٠٣٣]، ومسلم [٧٩١].

قال الحافظ ابن حجر: **وفي هذه الأحاديث الحضُّ على محافظة القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته،** وضرب الأمثال لإيضاح المقاصد، وفي الأخير: القسم عند الخبر المقطوع بصدقه مبالغة في تثبيته في صدور سامعيه][1].

وتقدّم حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً: «**بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كَيْتَ وكَيْتَ، بل نُسِّيَ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصِّياً من صدور الرجال من النَّعم**»[2].

وقوله: «**بل هو نُسِّيَ**» ورد بالتخفيف والتثقيل.

قال الإمام القرطبي - رحمَه الله -: «التثقيل معناه: أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره. ومعنى التخفيف: أن الرجل ترك - أي: القرآن - غير ملتفت إليه»[3].

وقال الإمام البغوي - رحمَه الله -: (قوله: «**نُسِّيَ**» أي: عوقبَ بالنسيان على ذنبٍ اقترفَه أو سوء تعاهده للقرآن بترك مراجعته.

---

(١) «فتح البَارِي» [٨/ ٦٩٧ - ٧٠١].

(٢)رواه البخاري [٥٠٣١، ٥٠٣٢]، ومعنى قوله: «استذكروا القرآن» أي: واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به، وانظر هنا قاعدة (١٠): «المراجعة المستمرة».

(٣) نقلاً عن «فتح البَارِي» [٨/ ٦٩٨].

قال أبو عبيد: إنما هو على التارك لتلاوة القرآن الجافي عنه، ويبين ذلك قوله ﷺ: «**استذكروا القرآن**»[(١)].

ومتعلّق الذمِّ[(٢)] في قوله ﷺ: «**بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت**»: ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن؛ إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكّره، فإذا قال الإنسان: نسيت الآية الفلانية، فكأنه شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم تركُ الاستذكار والتعاهد، لأنه الذي يورث النسيان.

قال القاضي عياض - رحمَه الله -: «أولى ما يتأول عليه ذم الحال لا ذم القول، أي: بئس حال مَنْ حفظَه ثُمَّ غفَل عنه حتى نسيَه».

نسأل الله أن يَمُنَّ علينا بحفظ كتابه، ويُتِمَّ علينا نعمته بدوام تلاوته واستذكاره، وأن يحول بيننا وبين نسيانه والغفلة عنه. آمين.

* * * * *

(١) «شرح السنَّة» [٤/ ٤٩٥].

(٢) ذكر الحافظ في «فتح الباري» [٨/ ٦٩٨، ٦٩٩] أوجهاً ستةً للمراد به، والمذكور هنا هو الوجه الثاني منها، وهو الذي رجَّحه الحافظ رحمه الله.



الخاتمة

وفيها «برنامج عملي لحفظ القرآن»

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ١٧ - ٢٠].

قال الحافظ ابن كثير - رحمَه الله -: «قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ نزلت في زيد بن عمرو ابن نفيل، وأبي ذر، وسلمان الفارسي - رضي الله تعالى عنهم -، والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان، وأناب إلى عبادة الرحمن، فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ أي: يفهمونه ويعملون بما فيه، كقوله تعالى لموسى عليه الصَّلاة والسَّلام، حين آتاه التوراة: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: المتَّصفون بهذه

الصفة، هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: ذوو العقول الصحيحة، والفطر المستقيمة ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ يقول الله تعالى: «أفمن كتب الله أنه شقي» تقدرُ أن تنقذَه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لا يهديه أحد من بعد الله لأنه مَنْ يضلل الله فلا هاديَ له، ومَنْ يهدِه فلا مضل له.

ثُمَّ أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور الشاهقة ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ طباقٌ فوق طباقٍ، مبنيَّاتٌ محكَماتٌ، مزخرَفاتٌ عاليات»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمَه الله -: «﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ والمراد بالطاغوت في هذا الموضع: عبادة غير الله، فاجتنبوها في عبادتها ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بعبادته وإخلاص الدين له، فانصرفَتْ دواعيهم عن عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلاَّم، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا مَنْ أكرمهم بها. وهذا شاملٌ للبشرى في

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٤/ ٥٠].

الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون من خلالها، أنه مريدٌ لإكرامهم في الدنيا والآخرة. ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر وفي القيامة.

وخاتمة البشرى، ما يُبشِّرهم به الربُّ الكريم، من دوام رضوانه، وبِرِّه وإحسانه، وحلول أمانه في الجنة. ولَمَّا أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصفَ الذي استحقوا به البشارة فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾، وهذا جنس يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول، ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا كان من حزمهم وعقلهم، أنهم يتبعون أحسنَه، وأحسنُه على الإطلاق: كلام الله، وكلام رسوله ﷺ ، كما قال سبحانه في هذه السورة: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ الآية [الزمر: ٢٣] .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنَه ﴿ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ لأحسن الأخلاق والأعمال ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: العقول الزاكية، ومن لُبِّهم وحزمهم، أنهم عَرَفوا الحسن وغيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال حسَنها وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن لَمَّا غلبت شهوته على عقله، فبقي عقله تابعاً

لشهوته، فلَمْ يؤثِر الأحسن كان ناقص العقل.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: أفمن وَجَبَت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيِّه وعناده وكفره، فإنه لا حيلة لك في هدايته، ولا تَقْدر أن تنقذ مَنْ في النار لا محالة.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ لكن الغنى، والفوز كل الفوز للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة وأنواع النعيم، ما لا يقادر قدره.

﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ أي: منازل عالية مزخرفة، من حسنها، وبهائها وصفائها؛ يُرى ظاهرُها من باطنِها، وباطنُها من ظاهرِها، ومن علوها وارتفاعها تُرى كما يُرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أي: بعضها فوق بعض ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ بذهب وفضة، ومِلاطُها المسك الأذفر.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ المتدفِّقَة التي تسقي البساتين الزاهرة، والأشجار الطاهرة، فتغل أنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضيجة.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد

من الوفاء به فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيَهم أجورهم»[(١)].

وبعدُ: أخي الكريم، فقد ذكرت فيما سبق شيئاً يتعلق بالحفظ، وبيَّنتُ بعض الأمور المعينة عليه، ونظراً لأهمية التزام ما أوردته في هذا البحث وضرورته - خاصَّةً لمن أراد حفظ كلام الله عز وجل - رأيت أن أضع برنامجاً لحفظ القرآن يشتمل على بعض القواعد السالف ذكرها.

وهو برنامج «عملي» تستطيع من خلاله - إذا التزمت به، ولم تفرِّط فيه -[(٢)] أن تحفظ كلام الله عز وجل كله مع إتقان الحفظ وإحكامه ومعرفة

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» [٦/ ٤٥٨ - ٤٦١] بتصرف يسير. وموضع الشاهد: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾.

وإنما آثرتُ إيراد شرح الآيتين معاً، لِمَا فيهما مِنَ الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، عسى أن يحرِّك ذلك في قلوبنا ساكناً؛ فيتنبه الغافل، وينشط الكسول، ويتوب العاصي، ويتذكر الناسي. والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

(٢) والالتزام والصبر، والمداومة والثبات، شروطٌ لا بُدَّ منها لتحصيل أي عمل؛ فكيف إذا كان هذا العمل من أفضل الأعمال؛ وهو حفظ كتاب الله عز وجل، فجِدَّ واجتهد، واصبر وصابر؛ فإنْ غيَّرتَ وكسلتَ، وأبطأتَ وتراجعتَ، فدونكَ خرط القتاد؟ وكيف يحفظ القرآن مَنِ انصرف عنه إلى غيره؟!! وانشغل عنه بسواه؟!! وكيف يحفظ القرآن مَنْ كان لُعبةً بيد الأشغال وأعمال الدنيا؟!! فالكيْس الكيْس، والله أسأله العَونَ لي ولك على مرضاته وسلوك طريق الجادَّة. آمين.

معاني الآيات وما قيل في تفسيرها، إضافةً إلى ما تحصِّله من الأجرِ العظيم والثواب العميم عند ربك الجواد الكريم في دنياك وأخراك.

والبرنامج على النحو التالي:

١- تحفظ كل يوم «صفحة واحدة» فقط من المصحف، واجعل حفظك بعد صلاة الفجر مباشرةً، ولا تغادر المسجد إلا بعد طلوع الشمس وبعد أن تصلِّيَ ركعتين، فإنك إن فعلتَ ذلك حصَّلت أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً.

فقد ورد في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ صلَّى الغّداةَ - الصُبحَ - في جماعةٍ ثم قَعدَ حتى تطلع الشمس، ثُمَّ صلَّى ركعتين كانت له كأجر حجَّةٍ وعمرةٍ، تامة تامة تامة**»[١].

وعن جابر بن سَمُرة ؓ قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا صلَّى الفجر قعد في مُصلاَّه حتى تطلُع الشمسُ»[٢].

---

(١) رواه التِّرمذي [٥٨٦] من حديث أنس بن مالك ؓ، وقال: «حديث حسن غريب». وحسَّنه الألباني، في «صحيح الترغيب والترهيب» [٤٦٤].

(٢) رواه مسلم (٦٧٠)، والترمذي (٥٨٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، ورواه أبو داود (٤٨٥٠) بلفظ: «كان النبي ﷺ إذا صلَّى الفجر تربَّع في مَجلسه حتى تطلُع الشمسُ حَسْناء». وقوله: «تربَّع» أي: جلس مُتربِّعاً. و«حسناء» أي: ارتفعت وظهر ضوؤها، وهذا في وقت =

وورد في الحديث: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»[١].

مع ما في هذا الوقت من صفاء الذهن، وخلوِّه من الشواغل والمكدِّرات[٢].

٢- تراجع يومياً وبعد صلاة العشاء مباشرةً وقبل أن تغادر المسجد[٣] ما حفظتَه في الصباح، إضافةً لِـ «حزب» - كحد أدنى - من الحفظ القديم.

وعوِّد نفسك أنْ لا تنام إلا بعد المراجعة مهما كنت الظروف.

٣- تستيقظ قبيل صلاة الفجر- كل ليلة - بنصف ساعة - كحدٍّ أدنى - وتتوضأ وتقف بين يدي الله عز وجل متضرعاً، ساجداً قائماً.

وتبدأ الركعتين الأولَيَيْن بما راجعتَه قبل نومك- بعد العشاء -، وذلك من أقوى ما يُثبت الحفظ، ثُمَّ تكمل بقية الركعات بحفظك القديم.

الضُحى.

(١) رواه أبو داود [٢٦٠٦] والتِّرمذي [١٢١٢] وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه [٢٢٣٦]،وابن حبان [٢٧٣٥].

(٢) فإن شق عليك ذلك فاجعل الصفحة قسمين: فاحفظ نصفها بعد الفجر والنصف الثاني بعد العصر أو المغرب.

(٣) وذلك لأن الإنسان ضعيف، وربما إذا عاد إلى منزله شُغل بأهله وولده وترك المراجعة، مما يؤثِّر سلباً على مستوى حفظه أو على مداومته في الحفظ والمراجعة.

فإذا قرأتَ كل ما حفظته وانتهيت منه، كرَّرته وبدأت في صلاةٍ جديدةٍ... وهكذا.

فإن فاتك قيام ليلةٍ لمرضٍ أو نومٍ أو كسلٍ أو عارضٍ من العوارض؛ فاقضِ ذلك في نهارك، وعوِّضه بأن تصلِّيه بين طلوع الشمس إلى الظهر - كما في السنَّة - فإن لَمْ تستطع فجَزِّيءْ ما لَمْ تقرأه بالليل، واجعله في صلواتك كلها ذلك اليوم؛ فاقرأ بمعدَّل ربع صفحة في كل ركعة في الصلوات العادية، والباقي في النوافل، بحيث يصل المجموع إلى (حزب) وهو قرابة عشر أو أحد عشر صفحة.

٤- تحافظ على قراءة «جزء» من المصحف نظراً - وذلك كل يوم - ولا تفرط في ذلك بحال؛ فإن له أعظم الأثر في حفظك واستقامتك.

ويمكن أن تقسم الجزء على أوقات الصلوات بدءاً من صلاة الظهر وانتهاءً بصلاة العشاء، فتقرأ قبيل كل صلاة وبعدها مباشرة [ربعَيْن فقط]، فإذا صليت العشاء وجدت نفسك قد انتهيت من قراءة جزء كامل من القرآن دون أي مشقة أو عناء، ودون الحاجة إلى تخصيص وقت معين للقراءة.

٥ - تُخَصِّص وقتاً ثابتاً للتسميع - يومياً أو أسبوعياً - فتقرأ من حفظك على حافظ متقن، وذلك فيه تصحيح لِمَا قد يتخلل حفظك من

أخطاء، مع ما فيه من إحكام الحفظ وإتقانه.

٦- حاول أن تقيم حلْقة صغيرة - في مسجد الحي الذي تسكنه أو في منزلك - وتعلِّم فيها غيرك من المسلمين ما حفظتَه من كلام الله عزَّ وجل -'ولو أنْ يكون ذلك مع إخوتك الصغار أو أبناء الجيران - فذلك مما يعين على إحكام الحفظ وإتقانه، مع ما فيه من الأجر والثواب.

٧- حاول أن تقرأ تفسير آياتٍ من القرآن - ولو قليلة - يومياً وبصفة دائمة، لأن الفهم طريق الحفظ.

ولو بدأتَ بتفسير مختصر وانتهيتَ منه[1] ثُمَّ توسعتَ في كتب التفاسير، لحصل لك من العلم الشرعي، والفقه في دين الله عز وجل، ومعرفة مراده من كلامه، وما قيل في تفسير آياته، ما لا تتصور حصول عُشْرِ مِعْشاره لك قبل أن تقرأ.

ولك أن تعلم أن «تفسير ابن كثير» - وهو من أفضل كتب التفاسير وأجلِّها-، تستطيع أن تقرأه بكامله في سنةٍ واحدةٍ إذا داومتَ على قراءة عشـر صفحات فقط كل يوم - بشرط المداومة-.

---

(١) كـ «تفسير الجلالين»، أو «أو التفسير الميسّر» ط. مجمع الملك فهد، أو «مختصر ابن كثير» لمحمد نسيب الرفاعي، أو غيرها.

من ثمرات الالتزام بهذا البرنامج

وأنت إذا التزمتَ بما تقدَّم ذكره في هذا البرنامج تحصل فوائد عظيمة، وثماراً يانعة، ومن ذلك ما يلي:

١ - تحفظ القرآن كله «حفظاً جيداً متقناً» في أقل من ثلاث سنوات.

٢ - تختم القرآن كله «قراءة» مرة كل شهر.

٣- تدرك فضيلة قيام الليل، وتُحَصِّل ثوابها، وتظفر بنزول الرب تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر، فإذا نادى: «هل من داعٍ فأستجيب له، هل من تائبٍ فأتوب عليه، هل من سائلٍ فأعطيه...» كنت أنت بين يديه راكعاً ساجداً خاشعاً متضرِّعاً، تسأله حاجتك فيهبها لك، وتستغفره من ذنوبك فيغفرها لك، وتدعوه فيستجيب لدعائك، فياله من فضل عظيم وثواب عميم.

٤ - تدرك فضيلة «صلاة الفجر» في الجماعة، وتحصل على أجر قيام ليلة كاملة كما في الحديث الصحيح.

فإذا كان حفظك بعد الفجر في المسجد حتى تطلع الشمس وصليت ركعتين؛ كُتب لك أجر حجة وعمرة كما تقدم.

٥- إتقان حفظك للقرآن وإحكامه، وذلك لكثرة مراجعتك له، وتسميعك إياه لغيرك، وصلاتك في الليل به.

٦- تكون على علم بمعاني آيات القرآن كلها، ومعرفة بما قاله أهل العلم في تفسيرها، فإذا قرأت القرآن أو سمعته خشع قلبك، وحصل لك من الفهم والتدبر وزيادة الإيمان ما لا يحصل لغيرك.

٧- أن تُحصّل ما لا عدَّ له ولا حصرَ من الثواب والحسنات، والأجر العظيم عند الله تعالى، فكل حرف تقرؤه بعشر حسنات - والله يضاعف لمن يشاء - فكم تقرأ كل يوم، وكم تكرر من آيات في أثناء حفظها، وكم تكرر من آيات في أثناء مراجعتك لها وتسميعك إياها.. وكم وكم... وكل ذلك يسجِّله ملائكة الحسنات، ويُحفَظُ لك عند رب الأرض والسموات، وتنعَم به في نعيم الجنات، وترتقي بسببه إلى أعالي الدرجات.

أضف إلى ما تقدم:

٨ - أن الذي يعلِّم غيرَه كتاب الله عز وجل يكون له من الأجر والثواب مثل أجر مَنْ علَّمه -'دون أن ينقص من أجره شيئاً - فكلما قرأ حرفاً من القرآن، كُتب لِمُعَلِّمه مِثْلُ أَجرِهِ، وذلك لأن الدَّالَّ على الخير كفاعله.

* * * * *

جدول للحفظ والمراجعة

وهذا جدول بإمكانك أن تحاسب نفسك عن طريقه، فتعرف من خلاله مدى التزامها أو تقصيرها في تنفيذ ما تقدم إيراده في هذا البرنامج.

طريقة استخدام هذا الجدول:

تكتب ما تمَّ حفظه ومراجعته وقراءته، وتسميعه، وكذا ما قمت به من تعليم غيرك للقرآن وما قرأته من التفسير وقيامك الليل... ثُمَّ تحدد آخر كل ليلة [بناء على ذلك] النتيجة الإجمالية، وهل التزمتَ بما كنتَ مكلفاً به أم لا.

فإنْ وفِّقتَ إلى التنفيذ الجيد فاحمد الله عز وجل، وواصل السير بجد ونشاط، وإن كانتَ الأخرى فأكثر من الاستغفار على تفريطك وتقصيرك في هذه الطاعات، وكن عازماًعلى استدراك ما فاتك من فجر غدك. والله المستعان.

* * * * *

جدول تنفيذي لبرنامج الحفظ والمراجعة

اليوم	التاريخ	مقدار الحفظ	صفحات المراجعة	ورد القراءة	مقدار التسميع	قيام الليل	قراءة التفسير	تعليم الغير	النتيجة الإجمالية	ملاحظات

«يصور من هذا النموذج، ويوضع في ملف خاص بالحافظ للمتابعة فيه»

وفي الأخير أتوجَّه إلى الله عز وجل بالشكر والحمد والثناء، أن وفقني لإتمام هذا البحث.

وأسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يتقبله مني في ميزان حسناتي، وأن يجعله صدقة جارية لي بعد مماتي، وأن ينفع به مَنْ كتبَه، ومَنْ قرأه، ومَنْ أعان على تصحيحه ونشره بين المسلمين – آمين.

وأستغفره سبحانه مما قد يكون فيه من خطأ وزَلل... فإن هذا ديدن البشر، وهل من معصومٍ إلا الأنبياء؟!

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كفى المرء نبلاً أن تُعَدَّ معايبُهْ

ورحم الله عبداً أهدى إليَّ عيوبي.

وما كان في هذا البحث من إصابة وإحسان فمن توفيق الله عز وجل الوهاب المنان، وما كان فيه من خطأ وزَلَل فهو من نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان[1].

---

(١) أعني: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد أستشهد بآية أو حديث لمعنى فهمته منهما، ثُمَّ يتبين أن الصواب خلافه؛ فالعهدة حينئذ على الفهم السقيم، لا على نصوص الوحي الكريم.

والحمد لله رب العالمين.. وصلى الله وسلم على رسوله الكريم، وآله وصحبه ومَنْ نهَج نهجَهم واقتفى أثرَهم إلى يوم الدين.

تم الفراغ من مراجعته للطبعة الرابعة في عصر يوم الأحد ٢١من شوال١٤٣٥هـ، الموافق ١٧ من أغسطس ٢٠١٤م .

وكتبه أفقر العبيد إلى ربه الحميد المجيد

أبو الحارث

محمد بن مصطفى بن أحمد بن شعيب

أهم المصادر والمراجع

(أ) مراجع قرآنية

١ - القرآن الكريم .

٢ - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي.

٣- أخلاق حملة القرآن، الآجُرِّي.

٤ - إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي.

٥ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي.

٦ - التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا النووي.

٧- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلِّي.

٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي.

١٠ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري.

١١ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

١٢ - الجامع والتركيز لحفظة الكتاب العزيز، محمد طاهر الرحيمي.

١٣ - الحلقات القرآنية، دراسة منهجية شاملة، عبد المعطي محمد طليمات.

١٤ - خصائص القرآن الكريم. فهد الرومي.

١٥ - سنن القرّاء ومناهج المجوّدين، عبد العزيز القاري.

١٦- فضائل القرآن، ابن كثير.

١٧- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام.

١٨- القواعد الذهبية لحفظ القرآن، عبد الرحمن عبد الخالق.

١٩- كيف تحفظ القرآن الكريم، عبد الرب نواب الدين.

٢٠- كيف تحفظ القرآن الكريم، يحيى عبد الرزاق الغوثاني.

٢١- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي.

٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلس.

٢٣- معرفة القراء الكبار، الذهبي.

٢٤- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي.

٢٥- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله الجُدَيْع.

٢٦- «مقدمة تفسير القرطبي» تحقيق محمد طلحة بلال.

٢٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني.

٢٨- مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، علي الزهراني.

٢٩- النشر في القراءات العشر، ابن الجوزي.

٣٠- ورتل القرآن ترتيلاً، أنس كرزون.

(ب) مراجع حديثية

١- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري .

٢- الترغيب والترهيب، عبد العظيم المنذري.

٣- تذكرة الحفّاظ، الذهبي.

٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ابن الأثير الجزري.

٥- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي.

٦- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، ابن علان.

٧- رياض الصالحين، للنووي، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

٨- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني.

٩- سنن التِّرمذي، أبو عيسى التِّرمذي.

١٠- سنن النَّسائي «بحاشية السندي والسيوطي»، أبو عبد الرحمن النسائي.

١١- سنن ابن ماجه [بحاشية السندي]، ابن ماجه القزويني.

١٢- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.

١٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني.

١٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني

١٥- شرح السنَّة بتحقيق شعيب الأرناؤوط، البغوي.

١٦- شرح النووي لصحيح مسلم، أبو زكريا النَّووي.

١٧- صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني.

١٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان الفارسي.

١٩- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني.

٢٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني.

٢١ - صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني.

٢٢- صحيح سنن التِّرمذي، محمد ناصر الدين الألباني.

٢٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري.

٢٤- ضعيف الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني.

٢٥- ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني .

٢٦- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني.

٢٧- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام.

٢٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.

٢٩- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي.

٣٠- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الذهبي، تحقيق: محمد عوّامة، وأحمد محمد نمر الخطيب.

٣١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي.

٣٢- مستدرك الحاكم و«تلخيص الذهبي»، أبو عبد الله الحاكم.

٣٣- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني.

٣٤- مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني، التبريزي.

٣٥- معالم السنن، الخطابي.

٣٦- المعجم الأوسط، للطبراني.

٣٧- الموطأ، للإمام مالك.

٣٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.

(ج) مراجع أخرى

١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم.

٢- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.

٣- أخبار الحمقى والمغفلين، ابن الجوزي.

٤- الأذكار، أبو زكريا النَّووي.

٥- اقتضاء العلم العمل بتحقيق الألباني، الخطيب البغدادي.

٦- البحر الرائق في الزهد والرقائق، أحمد فريد.

٧- تاريخ الإسلام، للذهبي.

٨- تاريخ الدعوة الإسلامية، جميل عبد الله المصري.

٩- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون.

١٠- تذكرة السامع والمتكلم بآداب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكناني.

١١- تصحيفات المحدثين، أبو محمد العسكري.

١٢- التعريفات، الجرجاني.

١٣- تعليم المتعلم طرق التعلم، الزرنوجي.

١٤- تقييد العلم، الخطيب البغدادي.

١٥- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي.

١٦- جامع بيان العلم وفضله، ابنُ عبد البَرِّ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري.

١٧- الجامع في الحث على حفظ العلم، [أبو هلال العسكري، والخطيب البغدادي، وابن عساكر، وابن الجوزي] تحقيق محمود الحداد.

١٨- رهبان الليل، سيد حسين العفاني.

١٩- الرقائق، محمد أحمد الراشد.

٢٠- الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، تحقيق: أحمد فريد.

٢١- الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي.

٢٢- سلاح المؤمن في الذكر والدعاء، ابن الإمام، تحقيق محي الدين مستو.

٢٣- سير أعلام النبلاء، الذهبي.

٢٤- السيرة النبوية، ابن هشام.

٢٥- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدة.

٢٦- صلاح الأمة في علو الهمة، سيد حسين العفاني.

٢٧- صيد الخاطر، ابن الجوزي.

٢٨- ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم .

٢٩- علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم.

٣٠- فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه، محمد سعيد رسلان.

٣١- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي.

٣٢- الفوائد، ابن القيم.

٣٣- فيض الرحيم الرحمن في أحكام ومواعظ رمضان، عبد الله الطيار.

٣٤- قيمة الزمن عند العلماء، عبد الفتاح أبو غدة.

٣٥- كتاب الدعوة؛ الفتاوى ج [١، ٢]،عبد العزيز بن باز .

٣٦- الكلم الطيب - تحقيق الألباني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

٣٧- لسان العرب، ابن منظور.

٣٨- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي.

٣٩- مجالس شهر رمضان، محمد بن صالح العثيمين.

٤٠- مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن تيمية.

٤١- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي

٤٢- مختصر قيام الليل، المروزي .

٤٣- مختصر منهاج القاصدين - تحقيق علي حسن عبد الحميد، أحمد عبد الرحمن المقدسي.

٤٤- مدارج السالكين، ابن القيم.

٤٥- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس.

٤٦- المغني، ابن قدامة.

٤٧- مفتاح دار السعادة، ابن القيم .

٤٨- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد عقيل موسى.

٤٩- النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة، محمد إسماعيل.

٥٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فهرس الكتاب

كتب وأبحاث أخرى للمؤلف

- **كتابة وتأليف**:

١ – رسالة ماجستير في الفقه والأصول بعنوان : (القواعد الأصولية التي بنى عليها ابن رشد الخلاف في كتاب البيوع من بداية المجتهد، دراسة تطبيقية مقارنة).

٢ – رسالة ماجستير (٢) في الفقه المقارن بعنوان: (القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المعاملات المالية المعاصرة من خلال كتاب البيوع من «بداية المجتهد» لابن رشد، دراسة فقهية مقارنة) .

٣– رسالة دكتوراه في المقاصد الشرعية والاقتصاد الإسلامي، بعنوان: (مقاصد الشريعة الخاصة بكسب المال واستثماره وإنفاقه دراسة فقهية مقاصدية مقارنة بالاقتصاد المعاصر) .

٤ – رسالة دكتوراه (٢) في الشريعة والقانون، بعنوان: (الإعجاز التشريعي في فقه المواريث ورد الشبهات المثارة حوله).

٥ – (الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن) مطبوع عدة طبعات .

٦ – (هكذا فلنحفظ القرآن)، مطبوع عدة طبعات .

٧– (التكسب بالقرآن وأخذ الأجرة عليه، دراسة مقارنة) مطبوع .

٨– (الروضة الندية في شرح المنظومة البيقونية) وهو منهج تعليمي (مستوى

أول) مختصر في مادة مصطلح الحديث، يُدرَّس في المعاهد القرآنية التابعة للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، مطبوع .

٩- (الجامع المختصر في مصطلح أهل الأثر) وهو منهج تعليمي في مادة مصطلح الحديث (مستوى ثاني)، يُدرَّس في كليات ومعاهد تأهيل الحفاظ، التابعة للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، مطبوع .

١٠- (برنامج عملي لحفظ القرآن الكريم) مطبوع.

١١- (دور المؤسسة القرآنية في إعداد وتأهيل حفاظ القرآن الكريم) مطبوع.

١٢- (بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، دراسة مقارنة لأبرز القضايا المالية المعاصرة) ، مطبوع.

١٣- (الضوابط الشرعية للمعاملات المالية) مطبوع .

١٤- (كسب المال واستثماره وإنفاقه في ضوء المقاصد الشرعية) .

١٥- (الوسائل المشروعة لكسب الأموال واستثمارها دراسة مقارنة) .

١٦- (أقسام الناس واتجاهاتهم حيال الفقر والغنى) .

١٧- (نقل الأعضاء البشرية وزراعتها) .

١٨- (سد الذرائع وفتحها ومآلات الأفعال) .

١٩- (نظر الخاطب وما يتعلق به في الشريعة الإسلامية) .

٢٠- (التعزير بنزع المال في الشريعة الإسلامية) .

٢١- (موقف علماء الكلام من أسماء الله وصفاته) .

٢٢- (شروط تولي القضاء) .

٢٣- (شروط المجتهد) .

٢٤- (جريمة الزنا بين الشريعة والقانون، دراسة مقارنة) .

٢٥- (المنهج النبوي في تلقي القرآن الكريم).

٢٦- (الوسطية والاعتدال في ضوء القرآن والسنة).

- **تحقيق وتصحيح ومراجعة**:

٢٧- تحقيق ودراسة كتاب (التفسير المكي) للشيخ العلَّامة المؤرِّخ: محمد طاهر الكردي، مشاركةً مع باحِثَيْنِ آخرَيْن .

٢٨- مراجعة وتصحيح وضبط وتخريج كتاب (فتح العزيز بشرح الوجيز) للإمام الرافعي، في فقه الشافعية، مشاركةً مع باحِثِين آخرِين .

٢٩- تحقيق وتصحيح عشرات البحوث والكتب من مطبوعات الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، ودار نور المكتبات للنشر والتوزيع.